المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



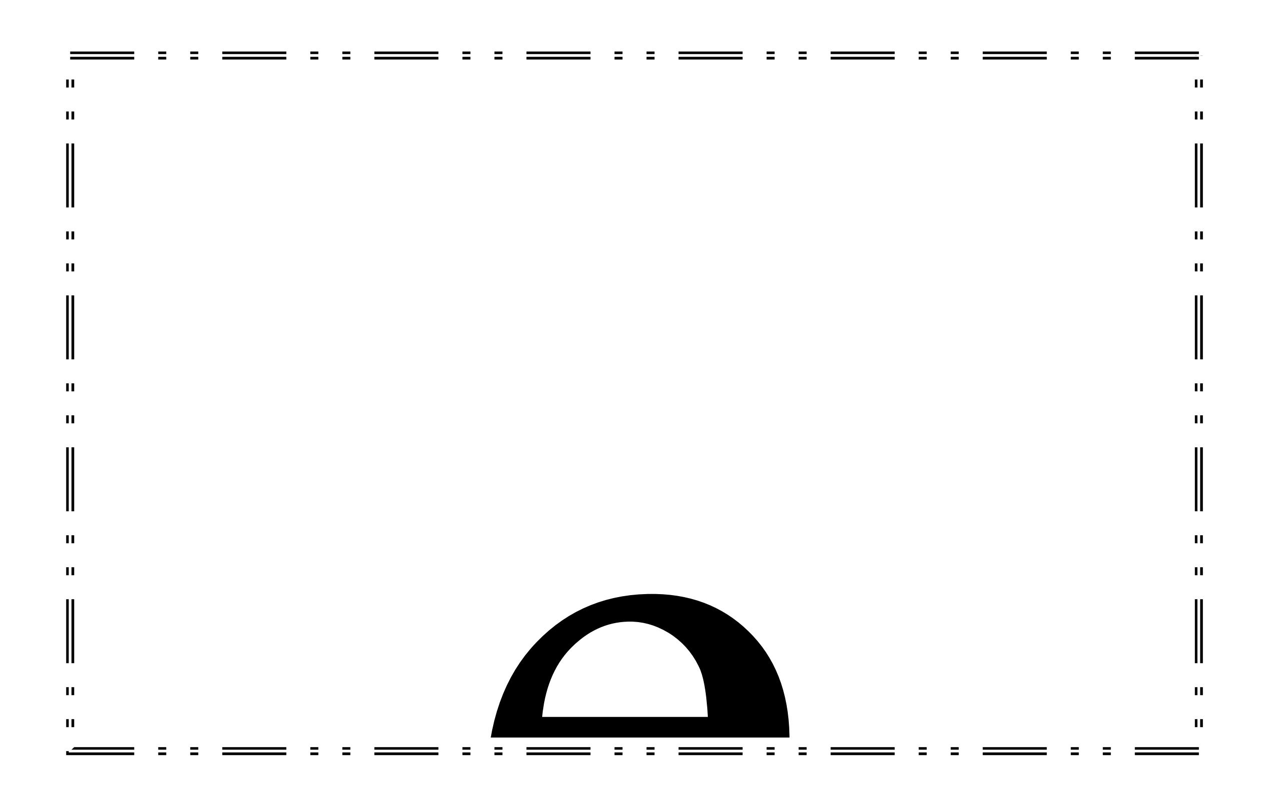
المآخذ العقدية على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي – ربع المهلكات –

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير
قسم العقيدة

إعداد
فالح بن مفلح بن خاف الدوسري
الرقم الجامعي : ٤٢٦٨٨١١٤

إشراف
فضيلة الشيخ أ . د / سالم بن محمد القرني

١٤٢٨هـ / ١٤٢٩هـ



ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فهذه الرسالة يمكن تلخيصها في النقاط التالية :-

١- عنوان الرسالة : المآخذ العقدية على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي – ربع المهلكات – .

٢- اسم الباحث : فالح بن مفلح بن خلف الدوسري

٣- الدرجة : الماجستير – قسم العقيدة – بكلية الدعوة وأصول الدين – بجامعة أم القرى .

٤- فكرة الموضوع : الرغبة في تهذيب كتب المتقدمين ، وتصحيح ما وقع فيها من أخطاء عقدية ، سواء كانت مقصودة أو كان أصحابها معذورين فيها .

٥- هدف الدراسة : حماية العقيدة الإسلامية مما ورد في كتاب الغزالي إحياء علوم الدين – ربع المهلكات – من مخالفات لها .

٦- موضوع الرسالة : هو تتبع كلام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات – وحصر المآخذ العقدية الموجودة في كلامه ، أو ما ينقله عن غيره ولم يتعقبه برد أو توضيح ، ثم الإجابة عنها وتصحيح خطئها ، وبيان مخالفتها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

٧- أبواب الرسالة : الرسالة مشتملة على مقدمة ثم تمهيد فيه بيان أن الرد على المخالف إنما هو حماية للعقيدة الإسلامية وذب عن الشريعة ، ولا يفهم منه تنقص المخالف أو ذمه أو سوء الأدب معه .

ثم الباب الأول : وفيه الكلام عن الغزالي ترجمته وعصره ، ثم الكلام عن كتابه الإحياء وآراء العلماء حوله قديماً وحديثاً ، وبيان منهج السلف في باب تزكية النفوس ورياضة الأخلاق ، لأن ربع المهلكات عند الغزالي يتكلم عن تزكية النفس ورياضتها لكن على طريقة أهل التصوف المحدثة المنحرفة .

ثم الباب الثاني : في بيان المآخذ العقدية عليه وقد جعلته فصولاً تتمشى مع ترتيب الغزالي لكتابه في – ربع المهلكات – كما يلي :

الفصل الأول : المآخذ العقدية في كتاب أحوال القلوب ورياضة النفوس .

الفصل الثاني : المآخذ العقدية في كتاب آفات اللسان وذم الغضب والحقد والحسد .

الفصل الثالث : المآخذ العقدية في كتب ذم الدنيا وذم البخل وحب المال .

الفصل الرابع : المآخذ العقدية في كتب ذم الجاه والرياء والكبر والعجب والغرور .

ثم الخاتمة :

٨- أهم النتائج والتوصيات :- من خلال الدراسة توصلت لبعض النتائج منها :-

١- إن تقلب الغزالي في أطوار متعددة كالفلسفة وعلم الكلام ثم التصوف كان له أثر كبير في اضطراب حاله وامتزاج أفكاره مما جعله يقع في أخطاء كبيرة في مؤلفاته .

٢- إن كتاب إحياء علوم الدين وإن كان الظاهر كثرة المعجبين به ، لكن الصواب إنه متعقب ومردود عليه منذ زمن مؤلفه ، بل أُمر بإحراقه لعظيم ضرره على العقيدة الإسلامية .

٣- إن أئمة الإسلام كانوا على إدراك بخطر الكتاب فقاموا بالرد عليه فيما وقع فيه من أخطاء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الجوزي والذهبي وابن الصلاح وغيرهم .

٤- إن الغزالي كان بعيداً عن طريقة السلف أهل الحديث ، ولم يعرفها إلا في أخر حياته فرجع إليها ، لذا وُجد في مؤلفاته عدم معرفته بأقوالهم في تفسير الآيات وأورد فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

٥- إن الغزالي بكتابه إحياء علوم الدين قد أسهم أسهاماً كبيراً في ترويج الفكر الصوفي المنحرف ، ونشر مبادئه من خلال قصص العباد والزهاد وغرائبهم .

أما التوصيات :-

١- أرى أن تفرد جميع كتب الغزالي بمثل هذه الدراسة ليتضح حال كل كتاب منها ، وما احتواه من مخالفات لكي لا يكون سبباً في انحراف ملايين المسلمين لأجل قبولهم للغزالي ومؤلفاته .

٢- أن تنتهج الجامعات هذه المواضيع في تهذيب ما وقع في كتب المتقدمين من أخطاء خاصة الأخطاء العقدية .

٣- أن دراسة حال العالم وبيان عقيدته لا يكفي دون التعليق على كتبه واحداً واحداًوالتعليق على ما وقع فيه من أخطاء وذلك حفاظاً على العقيدة الإسلامية من كل شائبةٍ أو فكر دخيل .

٤- نظر لانتشار الفكر الصوفي المنحرف وكثرة طرقه ووقوع ملايين من المسلمين فيه دون أن يعلموا ، كان لابد من دراسات متخصصة في بيان انحراف هذا الفكر وزيغ طرقه ، وما جره على المسلمين من البدع والشركيات والشطحات ليحذر منه المسلمون وينجو من شره .

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

Abstract

Praise be to Allah, peace and prayer be upon the final messenger.

This thesis can be summed up in the following points:

١. Title: The Faith objections on Al Ghazali's book: The Revival of the sciences of Islamic Religion (Ihya Oloom Eddin), the chapter entitled: the serious sins.
٢. Researcher: Falih Ibn Muflih Ibn Khalaf Al Dosari
٣. Degree: Master in Islamic Faith, from the faculty of Osool Eddin, University of Um Al – Qura.
٤. Proposal: Seeking to rectify the dogmatic faults of the books of ancestors, whether these faults are intentionally made or not.
٥. The objective of the study: To protect the Islamic faith against the irregularities included in the chapter entitled: the serious sins of Al Ghazali's The Revival of the sciences of Islamic Religion (Ihya Oloom Eddin).
٦. The subject of the thesis: It is a tracing of Al Ghazali's opinions compiled in his book: The Revival of the sciences of Islamic Religion (Ihya Oloom Eddin), the chapter entitled: the serious sins and to count out the faith objectionable issues existent in that chapter or the issues quoted from others without being commented on or explained by him. Then to give the counter arguments of these issues, rectify faults and explain in the light of the faith of people of Sunnah and gathering the irregularities made by the author.
٧. The thesis consists of two parts, introduction and a preface which indicates that answering one who disagrees with the people of Sunnah is but a protection of the Islamic faith and it should not be understood as being impolite with him or censuring him.
   a. First Part: this deals with Al Ghazali's biography, comment on his book and the opinions of the earlier and contemporary scholars on this book. It explains the ancestors' method in up lifting selves because the chapter of the serious sins deals with up lifting selves but in the perverted way of the Sufism people.
   b. Second Part: This deals with the objections to Al Ghazali. It is divided into chapters in compliance with the order of the chapter of the serious sins of Al Ghazali as follows:

The first chapter: the faith objections in the section of conditions of hearts and uplifting of selves.

The second chapter: the faith objection in the section of evils of tongue and censuring anger, malice and envy.

The third chapter: The faith objections in the section of humiliating this life, miserliness and liking of money.

The fourth chapter: the faith objections in the section of showiness, vanity and conceit.

Conclusion:

Most important findings:

١. Al Ghazali has been influenced by philosophy, scholastic theology and Sufism where such thoughts have mixed up his opinions and make him commit mistakes in his authorships.
٢. The book Ihya Oloom Eddin, although admired by many readers, yet it is objectionable since the age of its author, even it is ordered to be burnt for it has a great effect on the Islamic faith.

Recommendations:

١. To single out all Al Ghazali's books and others for study and verification to explain the situation of each book and its irregular contents, so that millions of Muslims might not get misled by accepting the opinions of Al Ghazali.
٢. Because of the spread of the perverted Sufism thought and its diversification and having many Muslims being misled by it without being aware, it is necessary to conduct specialized studies on explaining the perversion of this thought and its impact on Muslims in terms of polytheism and invented practices in Islam, so that Muslim could be warned and protected against the evils of such thought.

المقدمة

المقدمة

الحمد الذي امتن على عباده ببعثة نبيه محمد - ﷺ - فأكمل به الدين وأقام به الملة وأتم به النعمة ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، أشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ذب عن جناب التوحيد وأرسى قواعده ، وترك أمتـه علـى محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى ا عليـه وعلـى آلـه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فإن الحفاظ على العقيدة الإسلامية صافية نقية ، والـذب عـن جنـاب التوحيـد وحمايته من أهم المهمات وأوجب الواجبات على أهل الإسلام في كل زمان ومكان ، لذا يقول - عليه الصلاة والسلام – (يحمل هذا العلم من كل خاف عدوله ينفون عن دين ا تحريف الغالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ...)[1] .

لذا كانت جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة ، ممن لها دور بارز في هذا الميدان ، ومن ذلك تبنيها لمشروع (بيان المآخذ العقدية فـي كتاب إحياء علوم الدين) ، وذلك لما لهذا الكتاب من انتشار في أوساط المجتمعـات الإسلامية ، نظراً لجودة أسلوب مؤلفه وحسن عبارته ولشمولية موضوعاته ، ففيـه العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فينهل منه العلمـاء والـدعاة والخطبـاء وعوام الناس ، ممن قد لا ينتبهون لهذه المخالفات العقدية ، أو يحملهـم الإعجـاب بالمؤلف لتجاهلها أو التأول له فيها بما لا يسوغ ، مما يسبب رواج هذه المخالفـات العقدية ، مع أن الغزالي نفسه قد رجع في آخر حياته لطلب الحديث ، وقـرر فـي كتابه الإحياء أن أكمل الهدي إتباعه - ﷺ - وأنه يرد كل قول خالفه ، ولو مـد ا في عمره لكان الظن به أن يكتب رداً على هذه المخالفات بنفسه ، فإنه لمـا تـرك الفلسفة كتب رداً عليها في كتابه (تهافت الفلاسفة) ، ولما ترك علم الكـلام عابـه وذمه ، وإن كان قد بقي عليه شيء من آثارهما .

---

[1] . سيأتي تخريجه .

هذا وقد من ا   علي أن أكون من ضمن المشاركين في هذا البحث العلمي ، فكان نصيبي منه ربع المهلكات حيث أن كتابه قد قسمه إلى (ربع العبادات ، وربع المعاملات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات) فكان موضوعي في برنامج الماجستير (المآخذ العقدية على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي – ربع المهلكات) .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

للموضوع أهمية كبيرة ، ودفعني لاختياره أسباب كثيرة أذكر منها :

١ – مكانة الكتاب وكثرة المعجبين به ، مما يوجب تنقيحه وبيان المآخذ عليه .

٢ – أن هذا الكتاب قد كتبت عليه ملاحظات وردود من عصر مؤلفه ، وهي خافية على كثير من المعجبين به والذين يسلمون له في كل ما يدعو إليه وإن كان مما يخالف العقيدة الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة .

٣ – أن هذا فيه حماية لأصل الأصول وأهم الأمور وهي عقيدة الإسلام الصافية النقية التي هي سبب لكل خير للإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة .

٤ – أن هذا من باب الإحسان للغزالي نفسه حيث يصحح كتابه من هذه المخالفات العقدية ، وهو إحسان لمحبي الغزالي والمعجبين به وحمايتهم من الانزلاق في هذه المخالفات ، وهو من الإحسان لعموم المسلمين وتنبيههم على هذه الأمور المخالفة لعقيدتهم وهدي نبيهم - ﷺ - ، والإحسان أمر يحبه ا   وا   يحب المحسنين .

٥ – أن الغزالي قد قرر في ربع المهلكات المبادئ الصوفية ، واستدل عليها بالآيات القرآنية التي لم يصب في توجيه الاستدلال منها ، أو استدلاله على ما يراه بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة وأخبار العباد والصالحين والزهاد مما قد يصح عنهم ولا يوافقون عليه ، أو يكون كذباً عليهم ومدسوساً في أخبارهم ، فإذا سمع عوام المسلمين هذه المبادئ الصوفية مستدلاً عليها بالقرآن والحديث وأخبار العباد سلّموا لها وقبلوها فوجب التنبيه على ذلك والتحذير منه .

٦ – أن الغزالي كما وصف بأنه أخذ الفلسفة وكساها بكساء الشريعة[1] ، فقد وصف أيضاً بأنه أول من أظهر العلوم الصوفية في صورة شرعية ، حتى عادت المبـادئ الصوفية مقبولة مستحسنة في أوساط المسلمين ، بعد أن كانت تعد شذوذات ومحدثات[2] ، وا المستعان ، لذا وجب بيان هذه المخالفات ، وكشفها والرد عليهـا بنصـوص الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح رضوان ا عليهم أجمعين .

٧ – أنه راج عند كثير من الناس أنه لا طريق للزهد والورع والعبادة إلا من طريق الأحوال الصوفية وقصص عبادهم وزهادهم ، فوجب بيان أن الطريق الحق للعبادة والزهد والورع هو طريق محمد ﷺ وأصحابه وما كانوا عليه من عقائد وسلوك .

منهج البحث :

منهجي في البحث الرد على المآخذ العقدية الموجودة في كتاب إحياء علوم الدين ، سواء ما كان من كلام الغزالي نفسه ، أو نقله عن غيـره دون تعليـق عليـه أو استنكار له .

١ – ابتدأت البحث بباب كامل فيه سيرة الغزالي والكلام عـن الملاحظـات عليـه والكلام على كتابه إحياء علوم الدين وموقف العلماء منه إجمالاً .

٢ – قمت في الباب الثاني بتقسيمه إلى فصول مراعياً توافقها مع أبواب الغزالي في ربع المهلكات لتكون سهلة التناول للقراء والباحثين .

٣ – قمت باستقراء الكتاب كاملاً وجمعت ما وجد فيه من المآخذ العقدية حسب ترتيب الكتاب ، ثم ناقشتها على ضوء الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف – رحمهم ا - .

٤ – قمت بعزو الآيات القرآنية إلى أماكنها من السور مع ذكر رقم الآية .

٥ – قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث من المصادر المعتمدة من كتب السنة مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما ، فإن لم يكـن فيهمـا أُخرجـه مـن المصادر الأخرى مع ذكر الحكم عليه من خلال كلام العراقي في تخريج أحاديـث الإحياء ، وقد أذكر غيره .

---

[1] . الفتاوى ١٠ / ٣٩٣ .

[2] . انظر سيرة الغزالي ، لعبد الكريم عثمان ، ص ١٣ ، والحقيقة في نظر الغزالي ، ص ٥٢ .

٦ – قمت بالتعريف بالأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث .
٧ – قمت بالتعريف بالأماكن والبلدان والفرق والألفاظ الغريبة الـوارد ذكرهـا في البحث .
٨ – ألحقت البحث بفهارس علمية تشمل : فهرس الآيات ، فهرس الأحاديث والآثار ، فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس الفرق ، وفهرس الألفاظ الغريبة ، ثـم فهرس المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .
٩ – اعتمدت في هذه الدراسة على كتاب إحياء علوم الدين النسخة المطبوعة فـي خمسة مجلدات ، المجلد الثالث منها وهي مطبوعة في دار الحديث بالقاهرة ، عـام ١٤٢٥هـ ، بتحقيق سيد إبراهيم عمران ، وبهامشه المغني عن حمل الأسـفار فـي الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للحافظ العراقي - رحمه ا - .

خطة البحث :

مقدمة وتمهيد وبابان وثمانية فصول كما يلي :

١ – المقدمة : وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجي في البحث .

٢ – التمهيد : وفيه بيان أن توضيح الأخطاء والمخالفات على من وقع فيها هو من النصيحة له وليس من العدوان عليه .

٣ – الباب الأول : مكانة الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات ، وفيـه أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة الإمام الغزالي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية في عصره .

المبحث الثاني : نسبه وسيرته العلمية .

الفصل الثاني : موقف علماء السلف من الإمام الغزالي .

الفصل الثالث : مصادر الغزالي في ربع المهلكات من كتابه وتقويم تلك المصادر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بيان أهم المصادر التي اعتمد عليها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات .

المبحث الثاني : تقويم مصادر الغزالي في ربع المهلكات .

الفصل الرابع : موقف السلف إجمالاً من كلام الغزالي في ربع المهلكات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج السلف في تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق .

المبحث الثاني : نقد السلف إجمالاً لمنهج المتصوفة في باب تزكية النفوس .

المبحث الثالث : المآخذ العامة على الغزالي في ربع المهلكات .

٤ – الباب الثاني : المآخذ العقدية على قسم ربع المهلكات ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : المآخذ العقدية في كلام الغزالي عن أحوال القلوب ورياضة النفوس وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن القلب والروح .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن الإيمان .

المبحث الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن بعض صفات ا تعالى .

المبحث الرابع : اعتماد الغزالي على طريق الإلهام والكشف الصوفي .

المبحث الخامس : المآخذ العقدية في كلامه عن رياضة النفوس .

الفصل الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان والغضب والحقد والحسد ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد .

الفصل الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الدنيا والبخل وحب المال ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية على كتاب ذم البخل وحب المال .

الفصل الرابع : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الجاه والرياء والكبر والعجب والغرور ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كتاب ذم الجاه والرياء .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب الكبر والعجب والغرور .

٥ – الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات .

٦ – الفهارس العلمية .

وفي الختام أشكر ا عز وجل على توفيقه وإعانته ، ثم أشكر كل من ساعدني أو أرشدني من المشايخ وأخص بالشكر جامعة أم القرى ، ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة ، على اتاحة الفرصة لي في إكمال دراستي ، وما لقيته منهم من تشجيع وتسديد وإعانة ، فجزاهم ا عني خير الجزاء .

وأخص بالشكر فضيلة الشيخ / أ . د . سالم بن محمد القرني ، والذي تفضل مشكوراً بالإشراف على الرسالة وتقويمها ، جزاه ا عني خير الجزاء ، ومتعه بالصحة والعافية ، كما أشكر فضيلة الشيخ / أ . د . علي بن نفيع العلياني ، والذي له الفضل بعد ا علي في اختيار هذا الموضوع ، فجزاه ا عني خير الجزاء ، كما أتقدم بالشكر والتقدير للشيخين الفاضلين وهما :

أ . د . يحيى ربيع .　　　　　　　　د . لطف ا خوجه .

على تفضلهم بمناقشة البحث ، جعل ا ذلك في ميزان حسناتهما ، كما أشكر كل من أفادني في هذا البحث أو دلني على كتاب أو موطن فائدة .

سائلاً ا للجميع العلم النافع والعمل الصالح ، وصلى ا وسلم وبارك على نبينا محمد .


التمهيد

تمهيد

(في بيان أن الرد على المخالف من الإحسان إليه وليس من العدوان عليه)

من المعلوم عند أهل العقل والديانة أن رد المخالفات وتصحيح الأخطاء التي يقع فيها البعض هو من النصح لهم والإحسان إليهم وتخفيف التبعة عليهم ، وليست من الإساءة لهم أو التنقص لقدرهم كما قد يتوهم البعض .

والرد على المخالف للحق أمر مشروع ، تظاهرت على ذلك أدلة الكتاب والسنة ، ومن استقراء الوحيين الشريفين رأى في مواقف الأنبياء مع أممهم والمصلحين مع أهليهم مواقف الحجاج والمجادلة والرد على كل ضلالة ومخالفة ، وهكذا ورثتهم من بعدهم على تطاول القرون[1] .

وقد أمر الله هذه الأمة عند الاختلاف إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - والتحاكم إليها والرضى والتسليم لهما تماماً دون أدنى حرج ، يقول تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وذم غاية الذم ، بل وصف المنافقين بإعراضهم عن هذا المبدأ ، فقال عنهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النساء : ٤٨] .

فالقرآن الكريم حجة بالغة جاء فيه الرد على كثير من الدعاوى والمخالفات ، وها هو النبي- ﷺ - رد على كثير من الناس ما وقعوا فيه من الألفاظ الشركية أو التجاوزات البدعية ، فنهى عمر - رضي الله عنه - عن الحلف بالآباء والأمهات[2] ، ورد على عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - التبتل[3] ، وأنكر على الثلاثة نفر

---

١ . الرد على المخالف ، بكر أبو زيد ، ص٢٢ .

٢ . أخرجه البخاري من حديث عمر ٦ / ٢٤٤٩ ، ح ٦٢٧٠ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم .

٣ . أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والاختصاء ٥ / ١٩٥٢ ، ح ٤٧٨٦ ، وأخرجه مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ٢ / ١٠٢٠ ، ح ١٤٠٢ .

شدتهم على أنفسهم[1] ، بل أنه حاج وفد نصارى نجران ثم دعاهم إلى المباهلة[2] ، بل جاء عنه عليه الصلاة والسلام كما رواه جماعة من أصحابه كعلي بن أبـي طالـب ومعاذ وابن عمر وأسامة بن زيد وغيرهم - رضي ا عنهم - أن رسول ا - ﷺ - قال : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغـالين وإنتحـال المبطلين وتأويل الجاهلين)[3] .

فالرد على المخالف أمر قرره القرآن ، وطبقه الرسول - ﷺ - في سنته ودعا له ، فلا شك إذاً أنه من الإحسان ومن الحفظ لدين ا صـافياً نقيـاً مـن المخالفـات والمحدثات والتبديل والتغيير .

يقول شيخ الإسلام - رحمه ا - : ((فالمرصدون للعلم عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه فإذا لم يبلغوهم علم الدين أو ضيعوا حفظه كان ذلـك مـن أعظـم الظلـم للمسلمين ...))[4] .

وقال ابن القيم موضحاً موقف السلف وحمايتهم للدين من البدع : ((واشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحـذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان ، إذ مضرة البـدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد))[5] .

والغزالي - رحمه ا - على سعة علمه وكثرة معارفه وفرط ذكائه قد حصل له أمران هامان لهما أثر كبير في وقوعـه فـي كثيـر مـن المخالفـات لنصـوص الكتاب والسنة :

---

١ . أخرجه البخاري ٥ / ١٩٤٩ ح ٤٧٧٦ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . وأخرجه مسلم في كتـاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم ١٤٠١

٢ . حديث المباهلة أخرجه البخاري من حديث حذيفة رضي ا عنه ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجـران ٤ / ١٥٩٢ ، ح ٤١١٩ .

٣ . أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن ١٠ / ٢٠٩ ، ح ٢٠٧٠٠ ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١ / ٥٣ ، ح ٢٤٨ .

٤ . الفتاوى ٢٨ / ١٨٧ .

٥ . مدارج السالكين ، ١ / ٣٧٢ .

أولهما : عدم معرفته بطريق السلف إلا في آخر عمره ، لذا تنقل بين الأشعرية ثم الفلسفة ثم الصوفية وفضح الباطنية ، وحصر السالكين في هؤلاء الطرق الأربع[1] ، ولا ريب أن هذا سبب عظيم وكبير في عدم معرفته لطريقة السلف ومنهجهم في التلقي والاستدلال وما كانوا عليه من عقائد صافية وسلوك منضبط بالكتاب والسنة .

الثاني : ما قاله عن نفسه بضاعتي في الحديث مزجاه[2] وهذا يجعله لا يفرق بين صحيح الحديث وضعيفه ، فيعتمد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويقرر بها أموراً مخالفة وهو لا يعلم ببطلان هذه الأحاديث .

لذا كان من الواجب على كل مسلم أن يتجرد للحق وأن يعلم أن لهذين السببين وغيرهما أثراً واضحاً في وجود مخالفات عند الغزالي ، وقد يكون الغزالي فيها معذوراً ، لذا من النصح للمسلمين عموماً وللمعجبين بالغزالي خصوصاً أن يتضح لهم ما في مصنفاته من أمور خالف فيها الكتاب الكريم وصحيح السنة النبوية وهدي السلف الصالح في اعتقادهم أو سلوكهم وهذا كله حفاظاً على دين ا وصفائه ونقائه .

وهو أيضاً من الإحسان للغزالي لأن كل مؤلف صادق يحب أن تنقى كتبه مما وقع فيه من أخطاء ومخالفات ، لأن كل عمل بشري فيه من النقص والخلل ، وفيه من الخطأ والزلل ما يجعل من صاحبه يحب أن ينبه عليه ويرشد إليه ، خاصة إذ كان يتعلق بالأمور العقدية .

ثم إن الرد على الغزالي ليس حديث وقته أو غريب زمانه بل رد عليه معاصروه ورد عليه بعض طلابه كابن العربي وكذلك رد عليه السبكي[3] ، ورد عليه ابن الجوزي وابن تيمية وغيرهم من أهل العلم ، بل كان الطرطوشي وهو من معاصريه عازم لتتبع كتاب الإحياء للغزالي حيث قال : ((... وإني لعلى عزم أن أنفرد له ، فأستخرج جميع هفواته ، وأوضح سقطاته ، وأبينها حرفاً حرفاً ، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين وطبقات الصالحين ...))[4] ، وهذه الردود منهم حملهم عليها النصح للغزالي والإحسان إليه وهو من حق المؤمن على أخيه

---

١ . المنقذ من الضلال ص ٣١ .

٢ . قانون التأويل ص١٢ .

٣ . العواصم من القواصم ص٧٨ ، وانظر طبقات الشافعية ٦ / ٢١١ .

٤ . انظر إلى مقدمة كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ط٢ ١٤١٧هـ ، ص ١٧ – ١٨ .

المؤمن ، لذا قال شيخ الإسلام : ((المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين))[1] .

ويقول شيخ الإسلام : ((ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية ومن يغلط في الرأي والفتيا ، ومن يغلط في الزهد والعبادة وإن كان المخطئ المجتهد مغفوراً له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له ، فإن ا غفر له خطؤه بل يجب لما فيه الإيمان والتقوى .

وليس هذا مخالفاً لقوله - ﷺ - : (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره)[2] فإن الأخ هو المؤمن ، والأخ المؤمن إن كان صادقاً في إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذي يحبه ا ورسوله ، وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه بل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهداً ولو على نفسه أو والديه أو أقربيه ، ومتى كره هذا الحق كان ناقصاً في إيمانه ينقص من أخوته بقدر ما نقص من إيمانه ، فلم يعتبر كراهته من الجهة التي نقص منها إيمانه ، إذ كراهته لما يحبه ا ورسوله توجب تقديم محبة ا ورسوله كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وقد نقل عن الإمام أحمد ، أن رجلاً قال له : أنه يثقل علي أن أقول فلان كذا وفلان كذا – أي الجرح فيهم – فقال : ((إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم))[3] .

وأنه قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : ((إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل)) .

---

١ . الفتاوى ، ٢٨ / ٥٣ .

٢ . حديث الغيبة ، أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة ٤ / ٢٠٠١ ، ح ٢٥٨٩ .

٣ . ينظر الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ١ / ٤٦ ، والضعفاء والمتروكين ١ / ٦ ، لابن الجوزي .

ثم قال : ((فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم ، وهو من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً))[1] .

ويؤكد ابن الجوزي - رحمه الله - أن بيان الأغلاط من النصيحة فيقول : ((ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم ، والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل ، وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم ، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط ، ولا اعتبار بقول جاهلٍ يقول : كيف يرد على فلان الزاهد ، لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زللـه))[2] .

وقال في معرض رده على من أنكر علم الجرح والتعديل بقوله : ((كيف تتكلمون على أقوام قد حطوا رواحلهم في الجنة) فقال : (ثم كون القوم في الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء))[3] .

وقال ابن القيم في مدارج السالكين : ((ولولا أن الحق لله ورسوله وأن كل من عدا الله ورسوله فمأخوذ من قوله ومتروك ، وهو عرضة للوهم والخطأ ، لما اعترضنا على من لا نلحق غبارهم ولا نجري معهم في مضمارهم ، ونراهم فوقنا في مقامات الإيمان ومنازل السائرين ، كالنجوم الدراري ، ومن كان عنده علم فليرشدنا إليه ومن رأى في كلامنا زيغاً أو نقصاً أو خطأً فليهدي إلينا الصواب ، نشكر له سعيه ونقابله بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم ، والله اعلم وهو الموفق))[4] .

---

١ . الفتاوى ، ٢٨ / ٢٣١ – ٢٣٦ ، ملخصاً .

٢ . تلبيس إبليس ، ص٢٠٩ .

٣ . تلبيس إبليس ، ص ٤٠٩ .

٤ . مدارج السالكين ، ص٤٦٩ .

الباب الأول : مكانة الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة الإمام الغزالي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية في عصره .

المبحث الثاني : نسبه وسيرته العلمية .

الفصل الثاني : موقف علماء السلف من الإمام الغزالي .

الفصل الثالث : مصادر الغزالي في ربع المهلكات من كتابه وتقويم تلك المصادر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بيان أهم المصادر التي اعتمد عليها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات .

المبحث الثاني : تقويم مصادر الغزالي في ربع المهلكات .

الفصل الرابع : موقف السلف إجمالاً من كلام الغزالي في ربع المهلكات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج السلف في تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق .

المبحث الثاني : نقد السلف إجمالاً لمنهج المتصوفة في باب تزكية النفوس .

المبحث الثالث : المآخذ العامة على الغزالي في ربع المهلكات .

الفصل الأول : ترجمة الإمام الغزالي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية في عصره .

المبحث الثاني : نسبه وسيرته العلمية .

الفصل الأول

ترجمة الإمام الغزالي رحمه ا

المبحث الأول : الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية في عصره

تمهيداً لترجمة الغزالي لا بد أن أوضح بإيجاز عصره الذي كان له أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية والعملية ، وكاشفاً لأسباب تأثر الغزالي بالفلسفة والتصـوف وعلم الكلام :

الحالة السياسية في عصره[1] :

لقد عاش الغزالي من سنة (٤٥٠هـ) إلى (٥٠٥هـ) أي في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري ، وهذه الفترة هي الفترة الأخيرة في حياة الدولة العباسـية ، والتي تولى فيها خلفاء عرفوا بالضعف والانهماك في ملذات الحياة ، وتسليم زمـام أمور الدولة للوزراء والأمراء ، فكثرت الفتن واضطربت الدولة الإسلامية كثيـراً ، وقد أدرك الغزالي منهم آخر ثلاثة وهم : القـائم بـأمر ا [2] والـذي تـولى مـن (٤٢٢هـ – ٤٦٧هـ) والمقتدي بأمر ا [3] (٤٦٧هـ – ٤٨٧هـ) والمسـتظهر بـا [4] والذي تولى من (٤٨٧هـ – ٥١٢هـ) . وكان نتيجة هذا الضعف في الخلافة ظهور

---

١ . انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١ ، ١٢ ص٥٣٤ – ٦٦٢ ، المنتظم لابن الجوزي ١٦ / ٢٠٣ وما بعدها . عصر الإمام الغزالي د / مصطفى جواد ٤٩٣ وما بعدها . سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٢ . الكامل لابن الأثير ١٠ / ٤٩١ . وفيات الأعيان ٤ / ٢١٦ .

٢ . القائم بأمر ا هو أمير المؤمنين أبو جعفر عبد ا بن القادر با أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بـا جعفر بن المعتضد العباسي البغدادي ، ولد سنة ٣٩١هـ وبويع ٤٢٢هـ وكانت خلافته ٤٥ سنة ، عاش ٧٦ سـنة وغسله شيخ الحنابلة أبو جعفر الهاشمي ، وبويع بعده ابن ابنه المقتدي با ، انظر المنتظم ٨ / ٢٩٠ ، والكامل ١٠ / ٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٠٧ .

٣ . المقتدي بأمر ا هو الخليفة المقتدي بأمر ا أبو القاسم عبد ا بن ذخيرة الدين محمد بن القـائم بـأمر ا العباسي ، تولى الخلافة سنة ٤٦٧هـ بعهد من جده وهو ابن عشرين سنة ، مات في المحرم سنة ٤٨٧هـ ، وعمره ٣٩ سنة ، وكانت خلافته عشرين سنة ، وكان حسن السيرة فيه ديانة ونجابة وعلو همة محبـاً للعلـوم مكرمـاً لأهلها ، انظر المنتظم ٩ / ٨٠ ، والكامل ١٠ / ٢٢٩ ، والسير ١٨ / ٣١٨ .

٤ . المستظهر بأمر ا هو الإمام أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر ا أبي القاسم عبـد ا بـن الذخيرة محمد بن القائم بأمر ا العباسي ، ولد في شوال ٤٧٠هـ واستخلف عند وفاة أبيه ، تولى بعد وفاة أبيـه في التاسعة عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ وله ١٦ سنة ، توفي سنة ٥١٢هـ ، وكان خليفـة موصـوفاً بالسـخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين ، انظر المنتظم ٩ / ٢٠٠ ، والكامل ١٠ / ٥٣٤ ، والسير ١٩ / ٣٩٦ .

دويلات متعددة ومنها بل وأخطرها الدولة العبيدية الفاطمية في مصـر ، والدولـة البويهية في بغداد ، والدولة السلجوقية في بلاد خراسان ، وكانت السيطرة على دولة الخلافة من قبل الدولة السلجوقية الذين دخلوا بغداد بقيادة طغرل بـك[1] فـي عـام (٤٤٧م) وانتشر في عهده الأمن والرخاء ، وكان معروفاً بالديانة والمحافظة على الفرائض وصيام النوافل ، ومات وعمره سبعون سنة ، واضطربت بعده الأحـوال وانتشر الفساد ، ثم جاء بعده آلب أرسلان[2] (٤٥٥هـ – ٤٦٥هـ) واستمر كسابقه في العدل ونشر الأمن والإحسان للرعية رفيقاً على الفقراء باراً بأهله وأصحابه كثيـر الدعاء والصدقات ، وانتشر في عهده العدل والأمن ، ثم جاء مـن بعـده ملكشـاه[3] (٤٦٥هـ – ٤٨٥هـ) وقضى عشرين عاماً في سياسة الدولة السلجوقية والمحافظـة على هيبتها ونفوذها مع نشر الأمن والعدل بين رعيتها وأسقط المكوس والضرائب ، وبنى الجوامع وحفر الأنهار ، وكان لآلب أرسلان وملكشاه وزير عدل هـو نظـام الملك[4] الذي كان خير الوزراء ، وكان ذا علم وفقه محباً لمجالسة العلماء والعنايـة بهم ، بنى المدرسة النظامية ببغداد ، والمدرسة النظامية بنيسابور[5] ، وهو من أهـل

---

١ . طغرل بك : هو مؤسس الدولة السلجوقية محمد بن ميكائيل السلطان الكبير للدولة السلجوقية ، استولى على الري ونيسابور وبلخ ، ثم استولى على العراق سنة ٤٤٧هـ ، وكان معروفاً بالخير والصلاح ، مات سنة ٤٥٥هـ ينظر السير ١٨ / ١٠٧ .

٢ . ألب أرسلان : هو السلطان الكبير الملك العادل ، عضد الدولة أبو شجاع آلب أرسلان محمد بن السـلطان جغرابيك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، اتسعت دولته وأحبته رعيته ، مات مقتولاً سنة ٤٦٥هـ ، انظر المنـتظم ٨ / ٢٧٦ ، والكامل ١٠ / ٧٣ ، وفيات الأعيان ٥ / ٦٩ ، والسير ١٨ / ٤١٤ .

٣ . ملكشاه السلطان الكبير جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن آلب أرسلان ، تملك سنة ٤٦٥هـ وبلغ ملكه ما وراء النهر وحدود الصين وبحر الهند ، كان حسن السيرة ، مات سنة ٤٨٥هـ وعمره ٣٩ ، انظر المنـتظم ٩ / ٦٩ ، وفيات الأعيان ٥ / ٢٨٣ ، السير ١٩ / ٥٤

٤ . نظام الملك هو الوزير الكبير نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسـي ، كـان متديناً محباً للفقهاء والقراء أنشأ مدارس كبرى في بغداد ونيسابور وفي طوس ومرو وهـراة وبلـخ والبصـرة وأصبهان ، كان وزيراً للسلطان ألب أرسلان ثم لابنه ملك شاه ، ولد سنة ٤٠٨هـ ، وقتل صائماً على يد رجـل باطني ليلة الجمعة سنة ٤٨٥هـ وكان شافعي المذهب ، انظر المنتظم ٩ / ٦٤ ، وفيـات الأعيـان ٢ / ١٢٨ ، والسير ١٩ / ٩٤ .

٥ . نيسابور : بفتح أوله ، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة من بلاد خُراسان ، معدن الفضـلاء ومنبـع العلماء ، فتحت أيام عثمان سنة ٣١هـ صلحاً ، ينسب لها الحافظ أبو عبد ا الحاكم النيسابوري ، انظـر معجـم البلدان ٥ / ٣٨٢ رقم ١٢٣١٢ .

طوس بلد أبي حامد الغزالي ، فكان أن أرسل إليه ليدرس في النظامية ، فقدم إلى بغداد عام ٤٨٤هـ وعمره أربعة وثلاثون سنة ، وتوالت أحداث متتابعة منها موت نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥هـ ، ثم من بعده السلطان ملكشاه السلجوقي في شوال سنة ٤٨٥هـ ، وحصل بعده نزاع بين أمراء آل سلجوق فيمن يتولى زمام السلطة ، وتوقف الخليفة العباسي المقتدي بأمر ا في مبايعة أحدهما حتى تمت الغلبة لأحدهما وهو بركياروق[١] فخطب له الخليفة بالسلطنة ببغداد والعراق ، واستغل هذا الخلاف المستنصر با العبيدي الفاطمي[٢] فاستولى على بعض نواحي الشام ومات الخليفة العباسي المقتدي بأمر ا وبويع بعده ابنه المستظهر بأمر ا في يوم الجمعة النصف من محرم سنة ٤٨٧هـ وكان المستظهر بأمر ا كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً وأسند أمور الخلافة لوزيره أبي منصور عميد الدولة ابن جهير[٣] ، وكان من خيار الوزراء فدبرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد وساس الرعية أحسن سياسة .

كل هذه الفترة كانت نزاعات بين دولة آل سلجوق والدولة العبيدية من يسيطر على دار الخلافة ببغداد ؟! ولمن يخطب له في البلاد أهو للفاطميين أم للعباسيين ؟! وإن كانت هدأت الأمور في وقت قوة الدولة السلجوقية في عهد طغرل بك وآلب

---

١ . بركياروق السلطان الكبير ركن الدين أبو المظفر بركياروق بن السلطان ملك شاه السلجوقي كان شهماً شجاعاً فيه كرم وحلم ، تسلطن وعمره ثلاث عشرة سنة وكانت دولته ثلاثة عشر سنة في نكد وحروب بينه وبين أخيه محمد ، مات سنة ٤٩٨هـ ، انظر المنتظم ٩ / ١٤١ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٦٨ ، السير ١٩ / ١٩٥ .

٢ . المستنصر با العبيدي الفاطمي صاحب مصر أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين ا علي بن الحاكم بن بن علي منصور بن العزيز بن المعز العبيدي ، تولى بعد أبيه وله سبع سنين سنة ٤٢٧هـ ، وامتدت حياته ٧٠ سنة ، كان رافضياً في عقيدته وباطنياً ، مات سنة ٤٨٧هـ وكان سب الصحابة فاشياً في أيامه والسنة غريبة مكتومة ، انظر المنتظم ٨ / ١٩٨ ، وفيات الأعيان ٥ / ٢٢٩ ، والسير ١٥ / ١٨٦ .

٣ . عميد الدولة هو الوزير الكامل أبو منصور محمد بن الوزير الكبير الملك فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير ، وزر في أيام والده وخدم ثلاثة من الخلافاء وكان خبيراً سائساً شجاعاً شهماً فصيحاً بليغاً ، حبسه المستظهر با ومات في سجنه سنة ٤٩٣هـ وعمره ٥٩ ، انظر المنتظم ٩ / ١١٨ ، والكامل ١٠ / ٢٩٨ ، والسير ١٩ / ١٧٥ .

أرسلان وملكشاه ، إلا أنها بدأت تتجدد الفتن لما اختصم تتش بن آلب أرسلان[1] وابن أخيه بركياروق بن ملكشاه على ملك دولة آل سلجوق ، فتوسع الباطنيون في بعض بلاد الشام ، وحصلت فتن بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل خلـق كثير – فإنا وإنا إليه راجعون – ولم يحج أحد لإختلاف السلاطين ، وأيضاً فـإن هذه الخلافات بين سلاطين الدولة السلجوقية وضعف الخلافة العباسـية ، وثـورات الدولة العبيدية الفاطمية كانت فرصة عظيمة استغلها الفـرنج فعـدوا علـى بـلاد المسلمين سنة ٤٩١هـ فاستولوا على أنطاكيه[2] وقتلوا من المسـلمين خلقـاً كثيـراً ، وأخذوا منهم أموالاً طائلة ، ثم استولوا على بيت المقدس حيث جاؤوا بجيش عظـيم يقدر بألف ألف مقاتل وقتلوا أكثر من ستين ألف قتيل مسلم ، حتى قال شاعرهم وهو أبو المظفر الأبيوردي[3] قصيدة عظيمة جاء فيها :

مزجنا دمانا بالدموع السـواجم[4] ... فلم يبق منـا عرضـة للمـراجم

وشر سلاح المرء دمـع يريقـه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

وكيف تنام العين مـلء جفونهـا ... على هفوات أيقظـت كـل نـائم

وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور المذاكي[5] أو بطون القشاعم

يسومهم الـروم الهـوان وأنـتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم[7]

---

١ . تتش الملك تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي وأخو ملكشاة ، كان شجاعاً مهيباً ذا سـطوة له فتوحات وتملك عدة مدائن وصار من كبار ملوك الزمان وكان محباً للشيخ أبي الفرج الحنبلي ، مـات سـنة ٤٨٨هـ ، انظر المنتظم ٩ / ٨٧ ، والكامل ١٠ / ٢٤٤ ، والسير ١٩ / ٨٣ .

٢ . أنطاكية بالفتح ثم السكون والياء مخففة ، بناها الملك إنطيغونيا على نهر أورنطس وهي في الثغور الشامية بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة ، استولى عليها المسلمون على يد عمرو بن العاص ثم رجعت إلى ملك الروم سنة ٣٥٣هـ ، ثم استولى عليها السلاجقة سنة ٤٧٧هـ ، ثم رجعت للإفرنج سنة ٤٩١هـ ، انظـر معجـم البلـدان ١ / ٣١٦ ، رقم ١٠٦٦

٣ . الأبيوردي : هو محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردي ، وشهد له أهل زمانه بحسن العقيدة ، كان بارعاً فـي الشعر أديباً مغرماً بالخلافة والرئاسة مما سبب له ابتلاءات كثيرة إذ ضطرته إلى مفارقة بغداد ورجع إلى همذان ، توفي مسموماً بأصفهان في ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ ، السير ١٩ / ٢٨٣ ، والكامل في التاريخ ١٠ / ٥٠٠ .

٤ . السواجم : هي الدموع الذارفة ، انظر لسان العرب ١٢ / ٢٨٠ ، مادة سجم .

٥ . المذاكي : الخيل العتاق المجروحة ، انظر تاج العروس ص٨٣٩٢ .

٦ . القشاعم : الأسود ، وقيل : النسور الجارحة ، انظر لسان العرب ١٢ / ٤٨٤ ، وانظر القـاموس المحـيط ص ١٤٨٤ .

٧ . انظر البداية والنهاية ١٢ / ١٥٦ ، والكامل في التاريخ ٩ / ٢٠ .

وبهذا يتبين أن الوضع السياسي الذي عاشه الغزالي بدايته ضعف فـي الخلافـة العباسية وانقسامها إلى دويلات ، لكن أصلح الوضع قوة الدولة السلجوقية في بدايـة حكمها ، حتى إذا نشبت بين سلاطينهم الخلافات حول السلطة انهارت الخلافة العباسية .

وانتهز ذلك الفرنج فاستولوا على كثير من بلاد المسلمين ، وكان للدولة العبيديـة الفاطمية بمصر أثرها السيئ في نشر عقيدتهم الباطنية ، وفي سفك دماء أهل السـنة والاعتداء على الحجاج ، وانتهاك الحرمات .

الحالة العلمية في عصره[1] :

إن الناظر إلى الوضع السياسي في تلك الفترة قد يظن أنه لا يمكـن وجـود أي نشاط علمي في ظل ضعف الخلافة العباسية ، وانهمـاك رجالهـا فـي الشـهوات والملذات ، وانقسامها إلى دويلات بينها من التناحر والخلاف ما سبق ذكره ، لكـن كان الأمر بخلاف ذلك حيث وجد النشاط العلمي وانتشرت المدارس العلمية ، وكان من أشهر من شجع عليها الوزير نظام الملك الذي كان وزيـراً لسـلاطين الدولـة السلجوقية " آلب أرسلان ثم ملكشاه " قال ابن كثير : ((واعتمد – أي آلب أرسلان – على نظام الملك وكان وزير صدق يكرم العلماء والفقراء ، حتى إنه قال للملك : أيها الملك لا تخف فإني قد أسستُ لك جنداً ما بارزوا عسكراً إلا كسروه كائناً مـن كان ، قال له الملك : من هم ؟ قال : جند يدعون لك وينصـرونك بالتوجـه فـي صلواتهم وخلواتهم وهم العلماء والفقراء الصلحاء))[2] .

ونظام الملك هو الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد والمدرسة النظامية بـبلخ[3] ، وأصبح العوام يحرصون على تعليم أبنائهم لينالوا المراتب العالية عند وزير الملك ،

---

١ . انظر البداية والنهاية ١١ - ١٢ / ٥٣٤ وما بعدها وعصر الغزالي – د . مصطفى جواد ص ٤٤٥ وما بعدها .

٢ . البداية والنهاية ١١ – ١٢ / ٥٥٢ .

٣ . بلخ : مدينة مشهورة من أجمل مدن خُرسان وأكثرها خيراً ، فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي ا عنه ، انظر معجم البلدان ١ / ٥٦٨ رقم ٢٠٩٦ .

وبسبب نظام الملك بنيت مدارس كثيرة في بلخ ، ومدرسة بهراة[1] ومدرسة بأصبهان[2] فانتشر العلم وكثر رواده .

وحوى ذلك العصر وجود علماء محققين كالبيهقي (ت ٤٥٨هـ) والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) والبغوي (ت ٥١٦هـ) وأبو إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) والجويني (ت ٤٧٨هـ) وابن عقيل (ت ٥١٣هـ) والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) وغيرهم كثير .

وألفت فيه الكثير من المصنفات في مختلف العلوم وإن كان أكثرها ردوداً من الطوائف على بعضها البعض ، وكذلك انتشرت المكتبات الخاصة والعامة كخزانة المدرسة النظامية في بغداد ففيها مئات الكتب والمؤلفات وكذا المكتبة الخاصة بالخطيب البغدادي التي أوقفها على طلاب العلم والمنشغلين به من المسلمين ، ومع هذه الحركة العلمية الكبيرة إلا أنها لم تكن على وجهة واحدة ، بل انقسم المسلمون إلى آراء وعقائد ومذاهب متفرقة ، ونشبت بينهم فتن كثيرة وألفت بينهم الردود ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي بقوله : ((ففي سنة ٤٦٩هـ وقعت فتنة بين الحنابلة[3] والأشعرية[4] ، حيث قدم إلى بغداد أبو نصر بن القشيري[5] وجلس في النظامية وأخذ

---

١ . هراة : مدينة عظيمة مشهورة من مدن خراسان ، كانت من أجمل البلاد حتى خربها التتار سنة ٦١٨هـ ، ينسب لها المحدث أبو علي الحسين الهروي ، انظر معجم البلدان ٥ / ٤٥٦ رقم ١٢٦٦٤ .

٢ . أصبهان : بفتح الهمزة وكسرها ، مدينة عظيمة مشهورة في بلاد فارس ، فتحت في خلافة عمر سنة ٢٣هـ ، ومن أعلامها الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ، انظر معجم البلدان ١ / ٢٤٤ رقم ٧٢٩ .

٣ . الحنابلة : هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكُبرى في العالم ، سمي بذلك : نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل ، توفي (٢٤١هـ) ينتشر في الجزيرة والعراق وغيرها ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١ / ١٢٧ .

٤ . الأشاعرة : هم المنتسبون لأبي الحسن الأشعري ، وهم لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً ، لأن العقل دل على إثباتها ، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية رغم ورود النصوص بإثباتها ، انظر الملل والنحل ١ / ١٣٨ .

٥ . القُشيري : الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القُشيري الخُرساني الشافعي الصوفي صاحب الرسالة ولد سنة ٣٧٥هـ وتوفي سنة ٤٦٥هـ ، انظر المنتظم ٨ / ٢٨٠ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٥ ، والسير ١٨ / ٢٢٧ .

في ذم الحنابلة ورميهم بالتنجيم ، وتعصب له أبو سعد الصوفي[1] شيخ شيوخ نيسابور ، ومال أبو إسحاق الشيرازي[2] إلى نصرة القشيري ، وأخذوا يعارضون الخلافة ويكثرون المكاتبات إليها بحجة ممالئة الخليفة للحنابلة))[3] .

وحصل صراع بين الأشعرية والمعتزلة[4] في عهد السلطان طغرل بك ، قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية : ((إن الوزير الكندري[5] حسن للسلطان طغرلبك لعن المبتدعة على المنابر ، فعند ذلك أمر السلطان بأن تلعن المبتدعة على المنابر ، فاتخذ ذلك الكندري ذريعةً إلى ذكر الأشعرية وصار يهددهم بالإماتة أو بالإهانة .. وكذلك الشافعية[6] فحسنوا للسلطان الإزراء بمذهب الشافعي عموماً

---

١ . أبو سعد الصوفي : هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل بن حفص أبو سعد الماليني الصوفي ، وماليين من قرى هراة ، وهو أحد الرحالين في طلب الحديث ، كان ثقة صدوقاً مصنفاً ، مات سنة ٤١٢هـ ، انظر المنتظم ٩ / ٤٣٩٨ .

٢ . أبو إسحاق الشيرازي ، هو الشيخ الإمام القدوة ، جمال الدين شيخ الإسلام إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي ، ولد سنة ٣٩٣هـ ، كان زاهداً ورعاً متواضعاً فقيهاً عالماً ، توفي ببغداد سنة ٤٧٦هـ ، انظر صفة الصفوة ٤ / ٦٦ ، وفيات الأعيان ١ / ١٢٩ ، السير ١٨ / ٤٥٢ .

٣ . المنتظم ٨ / ص ٣٠٦ .

٤ . المعتزلة : هي إحدى فرق أهل الكلام ، أسسها واصل بن عطاء لما اعتزل مجلس الحسن البصري ، من عقائدهم إثبات الأسماء وإنكار الصفات ، وأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفي الآخرة خالد مخلد في النار ، انظر الفرق بين الفرق ص ١١٤ ، وانظر الملل والنحل ١ / ٣٨ .

٥ . الوزير الكندري : هو الوزير الكبير عميد الملك أبو نصر محمد بن منصور المحمد الكندري وزير السلطان السلطان طغرلبك ، كان أحد رجال الدهر سؤدداً وجوداً وشهامة ، كان معتزلياً ولما مات طغرلبك وزر لألب أرسلان الذي غضب عليه فقتله وطيف برأسه وكان قتله في مرو الروز سنة ٤٥٦هـ ، وكان حنفي المذهب ويؤذي الشافعية وزر بعده نظام الملك ، انظر السير ٨ / ١١٣ .

٦ . الشافعية : هو أحد المذاهب الفقهية السنية الكُبرى في العالم ، سمي بذلك نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ) ينتشر في مصر والعراق والشام واليمن وخراسان ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ١٢٥ .

والأشعرية خصوصاً ، وهذه الفتنة التي طار شررها فملأ الآفاق أو طال ضـررها فشمل خراسان[1] والشام والحجاز والعراق وعظم خطرها وبلاؤها))[2] .

ثم انتصر لهم الوزير نظام الملك فأنشأ المدارس النظامية في نصـرة الأشـعرية الشافعية ونالت المساندة من خلفاء بني العباس الذين أظهروا شافعيتهم بعـد ذلـك ، وانقلب الأمر على المعتزلة فاضطهدوا اضطهاداً كبيراً حتى جاء في سيرة محمد بن أحمد بن الوليد المعتزلي[3] ما ذكره ابن الجوزي أنه : ((كان من دعـاة المعتزلـة وكان يدرس علم الاعتزال ، وعلم الفلسفة والمنطق ، فاضطره أهل السنة إلـى أن يلازم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر))[4] .

أما العقيدة الإسماعيلية[5] الباطنية[6] فقد استفحل شرها ، واستغلت كل فرصة فـي نشر مذهبها ، وقتل من وقف في طريقهم ، حتى ألف فيهم الغزالي كتابه " فضـائح الباطنية " بل كانوا عوناً للفرنج في دخول بلاد المسلمين .

---

١ . خراسان : بلاد واسعة بين العراق والهند تشتمل على أمهات المدن كنيسابور وهراه ومرو وبلخ وغيرهـا ، فتح أكثرها عنوة في زمن عثمان سنة ٣١هـ ، خرج منها البخاري ومسلم والغزالـي وابـن المبـارك وعطـاء الخراساني ، انظر معجم البلدان ٢ / ٤٠١ رقم ٤١٦٤ .

٢ . طبقات الشافعية ٢ / ص ٢٧٠ .

٣ . محمد بن أحمد المعتزلي رأس المعتزلة وبارئهم أبو علي محمد بن أحمد بن عبد ا بـن أحمـد الكرخـي المتكلم ، ولد سنة ٣٩٦هـ وأتقن علم الاعتزال على أبي الحسين البصري ، وكان داعية إلى الاعتزال ، مات سنة ٤٧٨هـ ، انظر الوافي بالوفيات ٢ / ٨٤ ، والسير ١٨ / ٤٩٨ .

٤ . المنتظم (٩ / ٢٠) .

٥ . الاسماعيلية : فرقة من غلاة الشيعة وهي من الحركات الباطنية ، وتعود جذور هذه الفرقـة إلـى الشـيعة الإمامية في نشأتها ، وتلتقي معها في القول بإمامة جعفر الصادق رحمه ا ، إلا أنه بعد وفاة جعفـر الصـادق انقسمت الشيعة إلى فريقين ، فريق ساق الإمامة إلى موسى الكاظم ابن جعفر الصـادق ، فسـموا الموسـوية ، ويطلق عليهم الاثنا عشرية ، وفريق ساق الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر ، وسموا الاسماعيلية ، انظـر الملـل والنحل للشهرستاني ١٠ / ١٦٧ ، وانظر الاسماعيلية المعاصرة ، لمحمد بن أحمد الجوير ص ١١ .

٦ . الباطنية : سمو بذلك لأنهم يقولون إن للنصوص ظاهر وباطن ، ولكل تنزيل تأويل ، ولهم ألقـاب كثيـرة كالقرامطة والاسماعيلية والمزدكية والنصيرية ، ومن عقيدتهم أن الإله لا يوصف بوجود ولا عـدم ، ولا هـو معلوم ولا هو مجهول ، ويقولون : إنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فـي تأويـل الظواهر ، انظر الفرق بين الفرق ص ٢٨١ .

ووقعت فتن متعدد بين الحنابلة أهل السنة والشيعة في فترات متعاقبة راح على أثرها ضحايا كثيرة ، وسفكت دماء غزيرة وهكذا شهدت الفترة التي عاشها الغزالي اضطرابات سياسية وصراعات فكرية ، وخلافات عقائدية ، وهذا له أكبر الأثر في تقلبات الغزالي وتحولاته وأطواره العلمية .

الحالة الاجتماعية في عصره[١] :

المجتمع الذي كان يعيشه الغزالي كان خاضعاً لسيطرة الدولة السلجوقية ، وكان الوضع الاجتماعي مضطرباً كالوضع العلمي والسياسي ، وأيضاً لطبيعة الدولة السلجوقية ، والذين كانوا يميلون للحياة البدوية ولا يميلون للاستقرار في المدن لينهضوا بحضارتهم ومجتمعاتهم إلا أن الوضع كان في أوله أحسن حالاً من آخره لقوة الحكام الأوائل طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه ، وقد كان المجتمع السلجوقي مكون من طبقات عدة ومنها :

١ - طبقة الموظفين والوزراء : الذين استعان بهم سلاطين السلاجقة الأولون وكان نفوذ هؤلاء بحسب قربهم من السلطان فساهموا في توجيه سير الأحداث بل أصبح بعضهم يتدخل في جميع شئون الدولة ويوجهونها وفق إرادتهم .

٢ - طبقة أبناء القبائل السلجوقية : وهي مهمة لأجل اتصال نسبهم بالسلاطين .

٣ - طبقة رجال الصوفية[٢] : والتي صارت من أهم طبقات المجتمع طوال العصر السلجوقي ، وكان لهم أثر واضح في حياة الناس الاجتماعية ، وقد أدى انتشار

---

١ . ملخص من دولة السلاجقة . د . عبد المنعم محمد حسين ص ١٦١ – ١٦٩ وسلاجقة إيران والعراق له أيضاً ص ١٧٩ – ١٨٧ . والسلاجقة في التاريخ والحضارة د . أحمد حليمي ص ١٩٥ – ٢٠٧ .

٢ . الصوفية : التصوف هو الانحراف عن منهج النبي صلى ا عليه وسلم في الزهد والورع وتربية النفس ، ثم اختلط بالفلسفة الهندية واليونانية والرهبانية النصرانية ، ثم تفاقم الأمر حين صار التصوف تجارة المشعوذين والدجالين ، ومن أبرز طرقها : الجيلانية والرفاعية والدسوقية والأكبرية الشاذرية والنقشبندية ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان ١ / ٢٥٣ .

تعاليمهم إلى ميل الكثير من المجتمع للانزواء والاعتكاف ، وتفضيلهم الوحدة علـى الاختلاط وخاصة في الفترة التي ضعفت فيها الدولة السلجوقية .

٤ - طبقة الرقيق : وكانت لهم أسواق كسوق الرقيق في سمرقند[١] وما وراء النهر[٢] ، وكان سلاطين السلاجقة والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة يتخـذون الرقيـق ويستعينون بهم في مختلف الأعمال بل وصل مـن هـؤلاء الرقيـق العبيـد إلـى درجة الإمارة .

٥ - طبقة أهل الذمة : الذين كانوا يعيشون في تلك البلاد ويقيمون شعائرهم الدينية في أمن ودعة ؛ وهم اليهود والنصارى وغيرهم .

وهكذا أثرت غلبة العنصر السلجوقي في إيجاد ظواهر اجتماعية كانت لها آثـاراً واضحة في حيـاة النـاس الاجتماعيـة وفـي تشـكيل طبقـات المجتمـع فـي العصر السلجوقي .

أما مظاهر الحياة الاجتماعية :

المتأمل فيما ذكره المؤرخون عن تلك المظاهر ، ليدرك أن ذلك المجتمع كان في غاية الترف ورغد العيش والبذخ ، وخاصةً في حياة الخلفاء العباسيين والسـلاطين السلاجقة ومن معهم من الأمراء والوزراء ، فكانت قصورهم مضرب المثـل فـي الروعة والجمال ، واتخذوا الخدم والحشم ، وكان أمر تعدد الزوجات مـن الأمـور المنتشرة في المجتمع السلجوقي مما زاد فـي عـدد الأسـر وكثـرة الاتصـالات الاجتماعية فيما بينهم .

---

١ . سمرقند : بفتح أوله وثانيه ، يقال لها بالعربية سمران ، بلد معروف مشهور فتحها قتيبة بن مسلم سنة ٨٧هـ ، انظر معجم البلدان ٣ / ٢٧٩ رقم ٦٥٩٢ .

٢ . ما وراء النهر : أي ما وراء نهر جيحون بخُراسان ، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خُراسان وولاية خوارزم وهو أخصب الأقاليم وأكثرها خيـراً ، انظر معجم البلدان ٥ / ٥٤ رقم ١٠٧٨٦

وكان الناس في إقبال على ممارسة الألعاب المختلفة ، ومنها الرماية ولعب السيف والترس وسباق الخيل والصيد ولعب الكرة والشطرنج .

ومما ظهر في المجتمع السلجوقي رواج التجارة والصناعة وكثرة الرحلات التجارية حتى وصلوا إلى الصين شرقاً ، وكانت تجارة الحرير والسجاد ونسيج المواشي وأدوات الفرش وأواني المطبخ والستائر والمقاعد والمساند .

وكذلك ازدهرت صياغة الجواهر والألماس والزمرد والياقوت واللؤلؤ وغيرها من المجوهرات ، والتي كان يتنافس السلاطين في جمعها وإهدائها .

وكانت الزراعة منتشرة خاصة في الأراضي الخصبة كخراسان وسجستان[1] وما وراء النهر .

وأيضاً كثر فيهم الإسراف في المآكل والمشارب وأدمنوا مجالس الطرب والشراب وسماع المغنيات وهذا في الطبقة العليا ويزداد في وقت ضعف السلاطين وكثرت المنادمة وأمثالها من المحرمات ، وهي نتيجة طبيعية للترف والبذخ والانبهار بالحياة والاغترار بزينتها .

---

١ . سجستان : بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة وتاء مثناه من فوق وآخره نون ، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة من بلاد خراسان ، بينها وبين هراه عشرة أيام جنوباً ، ينسب إليها الإمام أبو داود السجستاني صاحب السنن ، انظر معجم البلدان ٣ / ٢١٤ رقم ٦٢٨٦ .

المبحث الثاني : نسبه وسيرته العلمية[1]

اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي .

اختلف في أصله ، قيل : عربي ، وقيل : فارسي ، فهناك من قال : إنه من سلالة العرب الذين جاؤوا إلى بلاد فارس منذ الفتح الإسلامي ، وهناك من قال : إن أصله فارسي ، وليس في المسألة قولٌ فصل .

ولد الغزالي في مدينة طوس[2] في سنة خمسين وأربعمائة للهجرة .

حياته :

ولد الغزالي لأب فقير صوفي ، كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، وكان يحب العلم والعلماء ، وكان في أوقات فراغه يطوف على الفقهاء والوعاظ يجالسهم ويستفيد منهم ، حتى إذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله تعالى أن يرزقه أبناء كهؤلاء العلماء ، فاستجاب الله دعوته ورزقه محمداً وأحمد[3] .

ولما حضرت الأب الوفاة ، أوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديق له صوفي ، وقال له : ((إن لي تأسفاً عظيماً على تعلم الخط ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولَدي هذين ، فَعلمهما ولا عليك أن ينفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما)) .

ولما مات الأب استجاب الرجل الصوفي لوصية الأب ، وظل يوليهما عنايته ورعايته ، حتى نفد ما تركه والدهما من المال .

---

١ . انظر ترجمة الغزالي في البداية والنهاية ١٢ / ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٣ ، وفيات الأعيان ٤ / ٢١٦ ، وطبقات السبكي ٦ / ١٩١ – ٣٨٩ ، والوافي بالوفيات ١ / ٢٧٤ ، والكامل لابن أثير ١٠ / ٤٩٢ ، والمنتظم ٩ / ١٦٨، وكتاب سيرة الغزالي لعبد الكريم بن عثمان ، وشذرات الذهب ٤ / ١٠ والمنتظم ١٧ / ١٢٤ ، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ١ / ٦ ، وكتاب الغزالي لأحمد فريد جحا .

٢ . طوس : ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور ، وكانت تتألف من بلدتين ، يقال لأحدهما : الطابران ، وللأخرى نوقان ، ولهما أكثر من ألف قرية ، وقد دمر المغول مدينة طوس عام ٦١٧ هـ ، وقامت على آثارها مدينة (مشهد) المعروفة الآن في إيران ، انظر : معجم البلدان : ٣ / ٥٩٠ .

٣ . أحمد الغزالي : هو أخو أبو حامد الغزالي ، وكان واعظاً له قبول عظيم في الوعظ وقد ناب عن أخيه في تدريس النظامية في بغداد ، توفي سنة ٥٢٠هـ ، انظر السير ١٩ / ٣٤٣ .

ولما كان الرجل الصوفي الوصي فقيراً ، وتعذر عليه الاستمرار في الإنفاق على الغزالي وأخيه ، قال لهما : اعلما أني قد أنفقتُ عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأَصلح ما أرى لكما أن تلجئا إلى مدرسة فإنكما من طلبة العلم ، فيحصلُ لكما قوتٌ يعينكما .

وأطاع الولدان نصيحة الصوفي الوصي عليهما ودخلا المدرسة ، وأكبر همهما أن يضمنا القوت لنفسيهما ، وكان أبو حامد يقول : فصرنا إلى مدرسة نطلب الفقه ، وليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلمنا لذلك لا ، فأبى إلا أن يكون [1] .

وواصل الغزالي دراسته فقرأ الفقه على أحمد بن محمد الراذكاني[2] ، ثم سافر إلى جرجان[3] وتتلمذ فيها على أبي القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي[4] أحد شيوخ الشافعية فقرأ عليه الفقه ومبادئ علم الأصول ، وعلق عنه (التعليقة) وهي عبارة عن تعليقاته عن كل ما درسه[5] .

ثم قفل راجعاً إلى طوس حاملاً تعليقته في مخلاة معه ، وهو في الطريق داهمه اللصوص وأخذوا جميع ما معه فتبعهم الغزالي ، فقال له مقدمهم : ارجع ، ويحك وإلا هلكت ، فقال له أبو حامد : أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به ، فقال له : وما هي تعليقتك ؟ فقال : كتب في تلك المخلاة هاجرتُ لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها ، فضحك وقال : كيف تَدعي أنك عرفتَ علمها وقد أخذناها منك ، فتجردت في معرفتها وبقيتَ بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم لأبي حامد المخلاة .

---

١ . انظر طبقات السبكي ٦ / ١٩٣ ، والسير ١٩ / ٣٣٥ .

٢ . أحمد بن محمد الرذاكاني ذكره السبكي ضمن شيوخ الغزالي ، انظر طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ٩١ .

٣ . جرجان : بالضم وآخره نون ، وهي مدينة مشهورة عظيم بين طبرستان وخراسان بناها يزيد بن المهلب ، وينسب إليها الإمام أبو نعيم الجرجاني الفقيه الحافظ ، كذلك الإمام المحدث بن القطان ، انظر معجم البلدان ٢ / ١٣٩ رقم ٣٠٢٤ .

٤ . أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل بن الإمام الكبير أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني ، سمع من أبيه وعمه الفضل ومن حمزة بن يوسف الحافظ ، وعنه أبو نصر الغازي وإسماعيل السمرقندي ، ولد سنة ٤٠٧هـ ، ومات سنة ٤٧٧هـ ، انظر المنتظم ٩ / ١٠ ، والكامل ١٠ / ١٤١ ، والسير ١٨ / ٥٦٤ .

٥ . انظر مرآة الزمان : ٨ / ٢٥ – ٢٦ . الوافي ، للصفدي : ١ / ٢٧٤ – ٢٧٧ .

وكان لهذه الحادثة أثر كبير في نفس أبي حامد ، مما دفعه إلى حفظ واسـتيعاب كل ما يسمع .

قال أبو حامد : ((هذا مستنطق أنطقه ا ، ليرشد به أمري ، فلما وافيتُ طوس أقبلتُ على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظتُ جميع ما علقته ، وصرتُ بحيث لـو قُطع علي الطريق لم أتجرد من علمي))[1] .

وبعد الثلاث سنوات التي مكثها الغزالي في طوس ، رحل إلى نيسابور ، وكانت مدينةً حافلةً ومركزاً من مراكز العلم ، وتأتي في الأهمية العلمية بعد بغداد ، وذلـك لأنها كانت عاصمةً السلاجقة وكانت فيها المدرسة النظامية .

وفي نيسابور لازم الغزالي إمام الحرمين أبا المعالي الجويني[2] ، وجد أبو حامـد واجتهد ، حتى صار أبرع تلاميذ الجويني في الفقه وأصوله ، وعلم الكلام والمنطق والفلسفة ، فأُعجِب به الجويني وبمقدرته على الغـوص فـي المعـاني ، واتسـاع معلوماته ، وبذكائه وقوة حفظه ، وكان الجويني يقول : ((الغزالي بحر مغـدق))[3] وارتفعت منزلة الغزالي عند شيخه الجويني فجعله نائباً عنه ، فكـان يقـوم مقـام الجويني إذا غاب .

وفي هذه الفترة والتي قضاها الغزالي في التحصيل ألف كتابه (المنخـول) ، وتـذكر المصادر أن الجويني قال للغزالي حينئذ : (دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت)[4] .

وفي سنة ٤٧٨هـ توفي إمام الحرمين ولم يكن الغزالي قد جاوز الثامنة والعشرين من عمره .

---

١ . طبقات الشافعية ٦ / ١٩٥ .

٢ . أبو المعالي الجويني : هو الإمام الكبير شيخ الشافعية ، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبـي محمد عبد ا أبي يوسف بن عبد ا أبي يوسف الجويني ثم النيسابوري ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٤١٩هـ ودرس بنظامية نيسابور ثلاثين سنة ، كان أشعرياً متكلماً ثم رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف في الصفات ، ومن كتابه : نهاية المطالب في المذاهب ، والشامل في أصول الدين ، وغيرها ، توفي ٤٧٨هـ ، انظر السـير ١٨ / ٤٦٨ .

٣ . طبقات الشافعية ٦ / ٢٠٢ .

٤ . طبقات الشافعية ٦ / ٢٠٢ .

وبعد وفاة شيخه رحل من نيسابور إلى (المعسكر) بجوار نيسابور قاصداً الوزير نظام الملك طالباً الجاه والمال[1] .

قال في (المنقذ) عن حاله في هذه الفترة : ((كنتُ في ذلك الزمان أنشد العلم الذي به يكتسب الجاه ، وأدعو إليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي))[2] ، فناظر العلماء في مجلس نظام الملك وظهر عليهم ، فاعترفوا بفضله وعلو مكانته ، فذاع صيته وسطع نجمه ، ومكث أبو حامد بجوار نظام الملك معززاً مكرماً لمدة خمس سنوات .

وفي عام ٤٨٤هـ أرسله نظام الملك إلى بغداد وولاه التدريس في المدرسة النظامية فيها ، وكان عمر الغزالي حينذاك أربعة وثلاثين عاماً ، وكان منصب التدريس في النظامية منصباً عالياً يطمح إليه كثير من العلماء .

ولما باشَر الغزالي التدريس بالنظامية توافد عليه الطلاب من كل مكان حتى وصل عددهم نحو ثلاثمائة طالباً ، واستمر الغزالي يدرس في النظامية لمدة أربع سنوات (٤٨٤هـ – ٤٨٨هـ) وفي خلال هذه الفترة عكف على دراسة الفلسفة وذلك في أوقات فراغه ، واستطاع ولمدة سنتين أن يهضم الفلسفة وينقدها ، فألف كتابه (مقاصد الفلاسفة) والذي وضح فيه أقوالهم دون نقدها ، ثم ألف كتابه الشهير (تهافت الفلاسفة) والذي نقد فيه الفلسفة والفلاسفة[3] وبين تهافت أقوالهم .

قال في (المنقذ) : ((فشمرت عن ساق الجد ، في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية ، وأنا مبتلى بالتدريس لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد ، فأطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات

---

١ . المختصر لأبي الفداء : ٢ / ٢٣٧ . الأنس الجليل : ١ / ٢٦٥ .

٢ . المنقذ من الضلال ص١٦٠ .

٣ . الفلاسفة : الفلسفة باليونية محبة الحكمة ، والفيلسوف مركب من فيلا : بمعنى المحب ، وسوفا : بمعنى الحكمة ، وهم ثلاثة أقسام : الدهريون : الذين جحدوا الصانع وزعموا أن العالم قديم موجود بنفسه ، والطبيعيون : وأكثر بحثهم في عالم الطبيعة والمخلوقات ، والإلهيون : وهم المتأخرون منهم كسقراط وأفلاطون وأرسطا طاليس وغيرهم ، انظر الملل والنحل ٢ / ٥٨ ، والمنقذ من الضلال للغزالي ١٣ / ١٦ .

المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين))[1] وألف في هذه الفترة أيضاً كتابه (فضائح الباطنية) بناء على طلب من الخليفة المستظهر با ، وكتباً أخرى كثيرة في شتى الفنون في الأصول والفقه ، وعلم الكلام وغير ذلك ، وفي خلال هذه الفترة كان الغزالي يمر بأزمة نفسية عنيفة انتهت به إلى الشك وأدت به إلى المرض ،

قال في (المنقذ) : ((أقفل ا على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطييباً للقلوب المختلفة إلي ، فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ، ولا أستطيعها البتة ، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ، وقرم الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم لي لقمة ، وتعدى إلى ضعف القوى ، حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج ، وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ، ومنه سرى إلى المزاج ، فلا سبيل إليه بالعلاج ، إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم))[2] .

ولما شفي من مرضه أعرض عن الدنيا وترك الجاه والمال وأقبل على التصوف ، وخرج من بغداد إلى الشام ومن ثم إلى بيت المقدس ومكة والمدينة لأداء الحج .

قال : ((وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أبرم في نفسي سفر الشام حذراً أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي على المقام في الشام ، فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد ... ففارقت بغداد ، وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر إلا قدر الكفاف ، وقوت الأطفال ... ثم دخلت الشام ، وأقمت بها قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة ، والرياضة والمجاهدة ، اشتغالاً بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر ا تعالى ، كما كنت حصلته من كتب الصوفية ، فكنت أعتكف مدةً في مسجد دمشق ، أصعد منارة المسجد طول النهار ، وأغلق بابها على نفسي ، ثم تحركت في داعية فريضة الحج ، فسرت إلى الحجاز))[3]

---

١ المنقذ من الضلال ص٩٥ .

٢ . المنقذ من الضلال ص ١٣٦ .

٣ . المنقذ من الضلال ص ١٣٧ – ١٣٨ .

ثم رجع إلى بغداد ومكث فيها فترة يسيرة ، ثم سافر إلى بلده طوس واعتزل النـاس ما يقارب عشر سنين .

قال أبو حامد : ((ثم جذبتني الهمم ، ودعوات الأطفال إلى الوطن ، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه ، فآثرت العزلة به أيضاً حرصاً على الخلوة ، وتصفية القلب للذكر ... ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذي أذكره لينتفع بـه أني علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ...))[1] .

ثم جاءه بعد ذلك أمر السلطان بالذهاب إلى نيسـابور للتـدريس فـي المدرسـة النظامية ، يوضح هذا الغزالي بقوله : ((فقدر الله تعالى أن حرك داعيـة سـلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج ، فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسـابور ... فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية ... ويسر الله تعالى الحركة إلى نيسابور ، للقيام بهـذه المهمةُ في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وكان الخروج من بغـداد سـنة ثمانٍ وثمانين وأربع مائة ، وبلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة))[2] .

وظل الغزالي يدرس في المدرسة النظامية بنيسابور إلى عام ٥٠٣هـ حيث تـرك التدريس ورجع إلى بيته بطوس ، واتخذ بجواره مدرسة لطلبـة العلـم وخانقـاه[3] للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف للحاضرين مـن خـتم القـرآن ، ومجالسـة الصوفية والقعود للتدريس .

---

١ . المنقذ من الضلال ١٣٨ – ١٣٩ .

٢ . المنقذ من الضلال ١٥٨ – ١٥٩ .

٣ . الخانقاه : أصل الخانقاه بقع يسكنها أهل الصلاة والخير والصوفية والنون مفتوحة ، معرب عن خانه كـاه ، كلمة فارسية ، وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربع مائة ، وجعلت لمنتحلـي الصـوفية ، تـاج العـروس ١٣ / ١٣٠ .

وذكر عبد الغافر الفارسي[1] أن الغزالي في خاتمة أمره أقبل على حديث الرسول - ﷺ - ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين إلى أن توفي – رحمه الله - في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ودفن بظاهر قصبة طابران[2] .

شيوخه :

١ - أبو حامد أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي[3] : وهو أول من درس عليه الغزالي علوم الفقه في طوس ، وينتسب إلى (راذكان) وهي قرية من قرى طوس ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان ، وقال عنها : ((هي بليدة تخرج منها جماعة من العلماء ، وقيل إن الوزير نظام الملك ينتسب إليها))[4] .

٢ - أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني[5] : أخذ عنه الغزالي الفقه في جرجان ، وكتب عنه التعليقة التي سرقت منه .

٣ - إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني [6] : وهو شيخ الغزالي الذي تخرج به وتتلمذ له ، أخذ عنه الفقه والأصول وعلم الكلام وفنوناً أخرى .

٤ - الحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي[7] : سمع منه الغزالي سنن أبي داود ، ذكر ذلك عبد الغافر الفارسي[8] .

---

١ . هو عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الشيخ الكبير أبي الحسين الفارسي ثم النيسابوري ، ولد سنة ٤٥١هـ وتفقه على إمام الحرمين وغيره وكان خطيباً لنيسابور ، صنف كتاب السياق بتاريخ نيسابور ، وهو تكملة لكتاب تاريخ نيسابور ، وله كتاب المفهم شرح صحيح مسلم ، مات سنة ٥٢٩هـ ، انظر السير ٢٠ / ١٦ .

٢ . انظر : المنتخب من السياق : ٧٤ – ٧٥ . وانظر : درء تعارض العقل والنقل : ١ / ١٦٢ ، ٦ / ٢١٠ ، شرح الأصفهانية : ٥٤٢ تحقيق د . محمد السعوي ، الرد على المنطقيين : ١٩٨ ، جهد القريحة : ٢٨٦ – ٢٨٧ ، الرد على القائلين بوحدة الوجود ، ملا علي القاري : ١٢٨ ، وطابران إحدى مدينتي طوس ، لأن طوس عبارة عن مدينتين أحدهما نوقان والأخرى طابران كما تقدم .

٣ . طبقات الشافعية للأسنوي : ١ / ٥٤٨ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٤ / ٩١ .

٤ . معجم البلدان : ٣ / ١٣ .

٥ . طبقات السبكي : ٤ / ٢٩٢ ، ٦ / ١٦٥ .

٦ . تبيين كذب المفتري : ٢٧٨ ، سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٤٦٨ ، طبقات السبكي : ٥ / ١٦٥ ، منهاج العابدين : ٢٣٣ .

٧ . طبقات السبكي : ٦ / ٢١٢ .

٨ . المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور : ٧٤ .

٥ - **أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمذي الطوسي[١] :** أخذ الغزالي عنه التصوف ، وتأثر به وذكره في كتبه أكثر من موضع[٢] .

٦ – يوسف النساج الطوسي[٣] : أخذ الغزالي عنه التصوف ، وتأثر به .

تلاميذه :

للغزالي تلاميذ كُثر أذكر بعضاً منهم :

القاضي أبو نصر أحمد بن عبد الله الخمقري[٤] ، أبو الفتوح أحمد بن علي بن محمد بن الوكيل بن برهان[٥] ، وأبو إسحاق بن محمد بن نبهان بن محرز الغنوي[٦] ، والقاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري[٧] ، وعلي بن محمد بن حمويه[٨] ، مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد العطادي الطوسي[٩] ، وأبو منصور منصور الرزاز سعيد بن محمد بن عمر بن منصور[١٠] ، وأبو الفتح الكمال نصر الله بن منصور بن سهل الجنزي الدويني[١١] .

مؤلفاته :

للغزالي مؤلفات كثيرة جداً أذكر بعضها ، وهي كلها مطبوعة أكثر من مرة ، وقد جمعها الدكتور عبد الرحمن بدوي فزادت على أكثر من ثلاثمائة مؤلف ومنها :

---

١ . المنتخب من السياق : ٤١٣ – ٤١٤ ، طبقات الأسنوي : ٢ / ٢٧١ ، طبقات السبكي : ٥ / ٣٠٤ ، وانظر الإحياء : ١٣ / ٤٣ ، المقصد الأسنى : ١٥٠ .

٢ . الإحياء : ١٣ / ٤٣ ، المقصد الأسنى : ١٥٠ .

٣ . الوافي للوفيات للصفدي ٣ / ٣٣٠ . وفيات الأعيان ٤ / ٢٩٦ .

٤ . طبقات السبكي : ٦ / ٢٠ .

٥ . الكامل لابن الأثير : ١٠ / ٢٢٢ ، وطبقات السبكي : ٦ / ٣٠ .

٦ . طبقات السبكي : ٧ / ٣٦ .

٧ . الوافي : ٣ / ٣٣٠ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩٦ ، الطبقات العلية : ١٩٣ ، مفتاح السعادة : ٢ / ٣٣٥ .

٨ . طبقات السبكي : ٧ / ٢٣٠ .

٩ . طبقات الأسنوي : ١ / ٤٤١ ، طبقات السبكي : ٦ / ٩٤ .

١٠ . طبقات السبكي : ٧ / ٩٣ .

١١ . طبقات الأسنوي : ١ / ٥٣٠ ، طبقات السبكي : ٧ / ٣٢٢ .

أولاً : في الفقه وأصوله :

١ – التعليقة في فروع المذهب .

٢ – المنخول في علم الأصول .

٣ – البسيط في الفروع .

٤ – الوسيط .

٥ – الوجيز .

٦ – شفاء الغليل في القياس والتعليل .

٧ – المستصفى من علم الأصول .

ثانياً : في الفلسفة والمنطق :

١ – مقاصد الفلاسفة .

٢ – تهافت الفلاسفة .

٣ – معيار العلم .

٤ – محك النظر .

٥ – مشكاة الأنوار .

٦ – المضنون به على غير أهله .

٧ – معارج القدس .

٨ – المعارف العقلية .

٩ – كيمياء السعادة .

١٠ – الرسالة اللدنية .

ثالثاً : في العقيدة والفرق :

١ – الاقتصاد في الاعتقاد .

٢ – قواعد العقائد .

٣ – إلجام العوام عن علم الكلام .

٤ – المقصد الأسنى .

٥ – جواهر القرآن .
٦ – القسطاس المستقيم .
٧ – فضائح الباطنية .
٨ – فيصل التفرقة .
٩ – قانون التأويل .

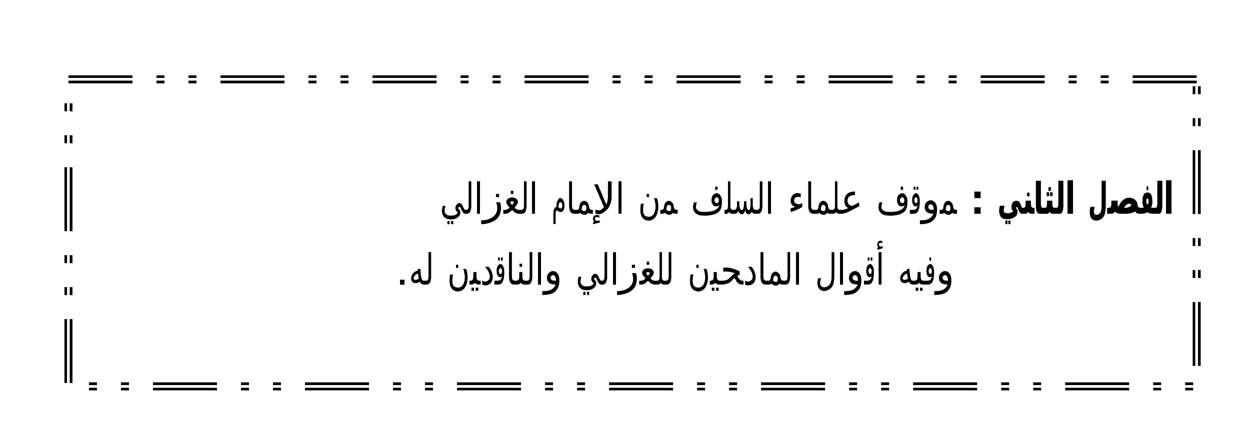
رابعاً : في التصوف :

١ – إحياء علوم الدين .
٢ – ميزان العمل .
٣ – منهاج العابدين .
٤ – بداية الهداية .
٥ – المنقذ من الضلال .
٦ – معارج السالكين .

خامساً : رسائله :

جمع أحد أقارب الغزالي رسائل الغزالي في كتابٍ سماه : (فضائل الأنـام مـن رسائل حجة الإسلام الغزالي) وهو باللغة الفارسية ترجمها باللغة العربية الـدكتور نور الدين آل علي الأستاذ بجامعة الجزائر وطُبعت في الدار التونسية عام ١٩٧٢م .

ورسائل الغزالي تعتبر من أهم الوثائق التي تكشف عن جوانب مهمة من حياتـه وحقيقة معتقده ، وصحة نسبة بعض كتبه المنسوبة إليه .



الفصل الثاني : موقف علماء السلف من الإمام الغزالي

وفيه أقوال المادحين للغزالي والناقدين له.

الفصل الثاني

موقف علماء السلف من الإمام الغزالي

لقد كان الغزالي أعجوبة الزمان وبحر العلوم ، اقتحم على العلوم والمعارف في زمانه وتوغل فيها ، كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال : ((أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمته ، يخطر في البال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر والغزالي الفقيه الحر والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها من زخرف وزيف ، فالغزالي المربي والغزالي الصوفي الزاهد وإن شئت فقل إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره رجلٌ متعطش إلى معرفة كل شيء نهم إلى جميع فروع المعرفة))[1] .

وهذا فيه من الغلو ما فيه لكنه يشير إلى سعة علم الغزالي وغزارة معرفته .

والغزالي – رحمه ا – اكتسب شهرة عظيمة ومكانة كبيرة عند كثير من الناس على اختلاف عقائدهم وأفكارهم ، ذلك لأن الغزالي برع في علم الكلام ودمج قواعد الفلسفة مع النصوص الإسلامية ، ثم خاض في التصوف فاكتسب بذلك شهرة نادرة في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً ، فأُعجب به خلق كثير ، لذا أطلق عليه اسم " المجدد " و " حجة الإسلام " و " زين الدين " و " محجة الدين " و " العالم الأوحد " و " جمال الفرق " و " مفتي الأمة " و " جامع أشتات العلوم " و " المبرز في المنقول والمفهوم " و " بركة الأنام " و " إمام أئمة الدين "[2] ، لذا كثر المعجبون والمنبهرون والمعظمون للغزالي من شيوخه وتلاميذه ومعاصريه ومن بعدهم ، ممن وقع في بعض المخالفات والبدع وتأثر به فجعلوه قدوتهم في كل شيء ناسين أو متجاهلين ما وقع فيه من هفوات وزلات وما في مصنفاته من بدع وضلالات ، قد أحس هو قبل

---

١ الغزالي محمد فريد الرفاعي ص٩ – مطبعة عيسى البابي الحلبي – ١٣٥٥

٢ . انظر الفيلسوف الغزالي ص ٢٩ ، ورسالة تقديس الأشخاص والفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح ص ٥٠٣ ، ، دار الهجرة ط١ ، ١٤١٦هـ .

موته بأثرها وأدرك سببها وهو البعد عن السنة وقلة بضاعته في الحـديث ، فأقبـل عليه ومات والبخاري على صدره ، ولعلنا نبدأ فنذكر بعضاً من أقوال المعجبين به .

ومن ذلك قول شيخه أبو المعالي الجويني إمام الحرمين[1] قال : ((الغزالي بحـر مغدق .. وقال له : دفنتني وأنا حي لما ألف كتابه المنخول)) .

ويقول تلميذه الإمام محمد بن يحي الغزال[2] (٤٥٨هـ) : ((هو الشافعي الثـاني))[3] ويقول عبد الغافر الفارسي (٥٢٩هـ) أحد معاصريه في كلام عليه طويل فـي مدحه وسيرته وبعض المآخذ عليه : ((الغزالي حجة الإسلام والمسلمين وأمام أئمة الدين من لم ترالعيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً و خاطرا وذكاء وطبعاً))[4] ، ويقـول ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) : ((أما الغزالي أبوهما فهو الأمام المشـهور صـاحب التصانيف التي ملأت الأرض طولاً وعرضاً)) [5] وقال ابن خلكان (٦٨١هـ) : ((((لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله))[6] .

وقال السبكي (٧٧١هـ) عنه : ((هو محمد بن محمد بـن محمـد بـن أحمـد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي ، حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصـل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم والمبرز في المنقول منها والمفهوم جـرت الأئمة قبله بشأو[7] ولم تقع منه بالغاية ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصـحاب النهاية والبداية :

حلفتُ فلم أترك لنفسـك ريبـةً وليس وراء ا للمرء مذهب[8]

---

١ . طبقات الشافعية ٦ / ٢٠٢ .

٢ . محمد بن يحيى بن منصور الإمام العلامة شيخ الشافعية ، أبو سعد النيسابوري صـاحب الغزالـي وأبـي المظفر أحمد الخوافي ، تفقه بهما وبرع في المذهب ، له (كتاب المحيط شرح الوسيط) درس بنظامية نيسابور ، ولد سنة ٤٧٦هـ ، توفي سنة ٥٤٨هـ ، انظر وفيات الأعيان ٤ / ٢٢٣ ، والسير ٢٠ / ٣١٢ .

٣ . طبقات الشافعية .

٤ انظر طبقات الشافعية ٦ / ٢٠٤ وما بعدها .

5 معجم البلدان مادة طوس ص٦٣ .

٦ وفيات الأعيان ٤ / ٢١٦ .

٧ . الشأو : الغاية والأمد والشوط والمدى ، انظر لسان العرب ١٤ / ٤١٧ ، مادة شأي ، وانظر تاج العـروس العروس ص٨٤٤٧ .

٨ . انظر ديوان النابغة الذبياني ، ص ٧٢ ، وانظر موسوعة الشعر العربي ، القسـم الأول ، حـرف الحـاء ٢ / ٨٦ ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .

حتى أخمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها وأخمد من نيران البدع كل مـا لا تستطيع أيدي المجالدين مسها ... جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحـوج مـن الظلماء لمصابيح السماء وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء فلم يزل يناضل عـن الدين الحنيفي بجلاد مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعترين حد نصـاله حتى أصبح الدين وثيق العرى وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى ... هذا مع ورع طوي عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميرة وتجريد تراه به وقد تزهد في بحر التوحيد وباهى :

ألقى الصحيفةَ كي يخففَ رحله والـزاد حتـى نعلـه ألقاهـا[1]

ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الله يعامله في سره وجهره))[2] ، ثم شـرع فـي ذكر ترجمة طويلة له .

قال ابن النجار[3] (٦٤٣هـ) : ((أبو حامد إمام الفقهاء على الإطـلاق وربـاني الأمة بالاتفاق ومجتهد زمانه وأوانه برع في المذهب والأصول والخلاف والجـدل والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة وفهم كلامهم وتصدى للرد عليهم ، وكان شديد الذكاء قوي الإدراك ذا فطنة ثاقبة وغوص على المعاني ، حتى قيل أنه لما ألّف المنخـول ، فرآه أبو المعالي ، قال : دفنتني وأنا حي فهلا صبرت الآن كتابك غطى كتابي))[4] .

وقد اعترف علماء السلف أهل السنة والجماعة بعلم الغزالـي وسـعة معرفتـه وتبحره في العلوم لكن هذا لم يمنعهم من انتقاده وبيان أخطائـه الظـاهرة وتـأثره بالفلسفة رغم رده عليها وتأثره بالتصوف وعلم الكلام ، وقد جمـع الـذهبي انتقـاد

---

١ . انظر اللباب في علل البناء ١ / ٣٨٥ ، ومعجم الأدباء ٥ / ٥٠٣ ، وتنسب لمروان بن سعيد بن عباد بـن أبي سفرة المهلبي ، أحد أصحاب الخليل ، انظر الكتاب لسيبويه ١ / ٩٧ .

٢ طبقات الشافعية ١٩١ - ٣٨٩

٣ . هو الإمام العالم الحافظ البارع ، محدث العراق ومؤرخ العصر ، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود محمود بن حسن بن هبة الله البغدادي ولد سنة ٥٧٨هـ وسمع من ابن الجوزي ، له تاريخ بغداد الذي سماه تاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها من الأعلام ، ذيله على الخطيب ضاع أكثره ولم يصل منـه إلا مجلـدين العاشر في الظاهرية والحادي عشر في باريس ، طبع في الهند طبعة رديئة ، توفي سنة ٦٤٣هـ انظر ترجمتـه في تذكرت الحفاظ ٤ / ١٤٢٨ ، والسير ٢٣ / ١٣١ .

٤ . السير ١٩ / ٣٣٥ .

جماعة من السلف للغزالي ، ولكتبه وخاصة إحياء علوم الدين وكذلك غيره من المعاصرين ومن ذلك :

ومن أقوال أئمة السف في الغزالي ما يلي :

١ - الإمام الطرطوشي[١] (٤٥١هـ - ٥٢٠هـ) من كبار المالكية :

كتب الإمام أبو عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي إلى عبد الله بن المظفر : ((أما ما ذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل وكلمته ، فوجدته رجلاً قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم ، وكان على ذلك معظم زمانه ، ثم عدل عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصرف بمحير العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابه برأي الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل ينعى على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين ، فلما عمل كتابه سماه " إحياء علوم الدين " عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية ، وكان غير دري بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، فلا في علماء المسلمين قر ، ولا في أحوال الزاهدين استقر ، شحن كتابه بالكذب على رسول الله - ﷺ - ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذباً على رسول الله - ﷺ - منه ، شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني " رسائل إخوان الصفا " ...)) .

ثم قال : ((وما من ينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة وآراء المنطقيين ، إلا كمن يغسل الماء بالبول ، ثم يسوق الكلام سوقاً يرعد فيه ويبرق ، ويمني ويشوق ، حتى إذا تشوفت له النفوس ، قال : هذا من علم المعاملة ، وما وراءه من علم المكاشفة ، ولا يجوز تسطيره في الكتاب ، أو يقول : وهذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه ، وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في دين الله ، تسطير الموجود ، ويكلف النفوس بالمفقود ، فهو تشويش لعقائد القلوب ، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة ، فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه ، لم يبعد تكفيره ، وإن كان لا

---

١ . الطرطوشي : هو الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية ، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي ، (وطرطوشة هي آخر حد المسلمين في شمال الأندلس ، ثم استولى العدو عليها بعد ذلك ، معجم البلدان ٤ / ٣٠) لازم القاضي أبا الوليد الباجي وله كتاب سراج الملوك ، ولد سنة ٤٥١هـ وتوفي سنة ٥٢٠هـ ، انظر وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٢ ، والسير ١٩ / ٤٩٠ .

يعتقده ، فما أقرب تضليله ، وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار[1] ، فإنه إن ترك انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة ، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال ، فيحرق قياساً على ما أحرقته الصحابة من صحائف المصحف التي فيها اختلاف ألفاظ ونقص آي ، ألا ترى أنهم لو لم يحرقوا تلك الصحائف ، وانتشرت في الخلق ، لحفظ كل ما وقع منها إليه ، وأوشك أن يختلفوا فيتقاتلوا ويتقاطعوا ، وإني لعلى عزم أن أنفرد له ، فأستخرج جميع هفواته ، وأوضح سقطاته ، وأبينها حرفاً حرفاً ، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين وطبقات الصالحين))[2] .

٢ - الإمام المازري[3] :

جاء في " سير أعلام النبلاء " : ((وقد رأيت كتاب " الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء " للمازري ، أوله : الحمد الذي أنار الحق وأداله ، وأبار الباطل وأزاله ، ثم أورد المازري أشياء مما نقده على أبي حامد ، يقول : ولقد أعجب من قوم مالكية يرون مالكاً الإمام يهرب من التحديد ، ويجانب أن يرسم رسماً ، وإن كان فيه أثر ما ، أو قياس ما ، تورعاً وتحفظاً من الفتوى فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من رجل فتاوى مبناها على ما لا حقيقة له ، وفيه كثير من الآثار عن النبي - ﷺ - لفق الثابت بغير الثابت ، وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله ، وأورد من نزغات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه ، لكن مزج فيه النافع بالضار ،

---

١ . وقد أُحرق بأمر السلطان بن تاشفين صاحب المغرب علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين الذي تولى بعد أبيه سنة ٥٠٠ وكان شجاعاً مجاهداً عادلاً ديناً معظماً للعلماء ، مج الكلام والفلسفة وأمر بإحراق تواليف أبو حامد الغزالي ، وتواعد بقتل من كتمها ، مات سنة ٥٣٧هـ ، انظر وفيات الأعيان ٥ / ٤٩ ، الكامل ١٠ / ٥٨٦ ، السير ٢٠ / ١٢٤ .

٢ . انظر مقدمة كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ط٢ ١٤١٧هـ ، ص ١٧ – ١٨ .

٣ . هو الشيخ الإمام العلامة البحر المتقن أبو عبد ا محمد بن علي بن عمر المازري المالكي ، صنف المعلم بفوائد شرح مسلم ، وإيضاح المحصول في الأصول ، ومات سنة ٥٣٦هـ وعمره ٨٣ ، انظر وفيات ٤ / ٢٨٥ ، والسير ٢٠ / ١٠٤ .

كإطلاقات يحكيها عن بعضهم ، لا يجوز إطلاقها لشناعتها ، وإن أخـذت معانيهـا على ظواهرها ؛ كانت كالرموز إلى قدح الملحدين ، ولا تنصرف معانيها إلى الحق ، إلا بتعسف على اللفظ))[1] .

٣ - قاضي الجماعة الإمام القرطبي[2] :

جاء في " سير أعلام النبلاء " : ((وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمـد بـن حمدين القرطبي : إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل علـى معنـى التعصـب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم ؛ فأين هو من شنع منـاكيره ومضـاليل أسـاطيره المباينة للدين ؟!))[3] .

٤ - الإمام ابن الجوزي[4] :

في " تلبيس إبليس " قال : ((صنف أبو حامد " الإحياء " وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها ، وتكلم عن الكشف ، وخرج عن قانون الفقه ، وقال : إن المـراد بالكواكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم أنوار هي حجب الله - عز وجل - ولم ير هذه المعروفات ، وهذا من جنس كلام الباطنية))[5] .

٥ - الإمام أبو الحسن بن سكر[6] :

---

١ . السير ١٩ / ٣٣٠ .

٢ . القرطبي : هو العلامة ابن حمدين ، العلامة قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبـد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي ، صاحب فنون ومعارف وتصانيف ، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين الملـك ، فسار أحسن سيرة حمل عن أبيه العلم وعنه القاضي عياض ، توفي سنة ٥٠٨هـ ، وعمره ٦٩ .

٣ . السير ١٩ / ٣٣٤

٤ . هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر ، شيخ الإسلام مفخرة العراق جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الواعظ صاحب التصانيف ، ولد سـنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ ، توفي سنة ٥٩٦هـ ، انظر وفيات الأعيان ٣ / ١٤٠ ، والسير ٢١ / ٣٦٥ .

٥ . تلبيس ابليس ص١٦٦

٦ . لم أجد ترجمته .

جاء في " سير أعلام النبلاء " : ((ولأبي الحسن بن سكر رد على الغزالي في مجلد سماه " إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء "))[1] .

٦ - الإمام الذهبي :

جاء في " سير أعلام النبلاء " : قال الـذهبي : ((وإيـاك وآراء عبـاد الفلاسـفة ووظائف أهل الرياضات وجوع الرهبان وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات))[2] ، وهذه هي مادة أبي حامد في الإحياء ، فلو طرحت مـن " الإحيـاء " الأحاديـث الباطلة وآراء الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات وجوع الرهبـان وخطـاب رؤوس أصحاب الخلوات ، طرحت نصف الكتاب أو أكثره .

وقال في موضع آخر من " السير " : ((قد ألف الرجل في ذم الفلاسـفة كتـاب " التهافت " وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حق أو موافـق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب " رسائل إخوان الصفا " وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قتال ، لولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلـف ، فالحـذار الحذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل ، وإلا وقعتم في الحيـرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العبودية ، وليدمن الاستغاثة با ، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسـادات التـابعين ، وا الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء ا))[3] .

---

١ . السير ١٩ / ٣٤٢ .

٢ . انظر السير ١٩ / ٣٤٠

٣ . السير ١٩ / ٣٢٩ .

٧ - الإمام ابن الصلاح[1] :

جاء في " سير أعلام النبلاء " : ((وقال أبو عمرو بن الصلاح : فصل لبيان أشياء مهمة أنكرت على أبي حامد : ففي تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ ، منها قوله في المنطق : هو مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به ، فلا ثقة له بمعلوم أصلاً ، قال : فهذا مردود ، إذ كل صحيح الذهن منطقي بالطبع ، وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأساً))[2] .

قلت : وكتاب الإحياء مادته كلها شاذة غير ما أودعه الغزالي من القرآن وصحيح السنة ، وإن كان الأحاديث الضعيفة فيه كثيرة بل والموضوعة ، فنسأل الله أن يرزقنا حسن التدبر لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

٨ - شيخ الإسلام ابن تيمية :

لقد عرِفَ شيخ الإسلام – رحمه الله - بالإنصاف في نقده والعدل مع مخالفيه ، فيذكر ما لمخالفه ومن ينتقده من المحاسن وما أصاب فيه الحق ، وفي نفس الوقت يتتبع أخطاءه بالنقد الهادف والتصحيح لها دون تعدي أو عدوان وهذا ما نجده واضحاً جلياً في كلامه عن الغزالي – رحمهما الله - فقال : في الثناء عليه والاعتذار له : ((وأبو حامد من خيارهم – أي الفلاسفة والمتكلمين – وأعلمهم وأدينهم ، وهو مع هذا يكفر الفلاسفة ، فضلاً عن أن يضللهم تارةً ، وتارة يجعل ما كفرهم به من العلم المضنون به على غير أهله ، ويضلل المتكلمين تارة ، ويجعل طريقهم ليس فيه بيان للحق ، وتارة يجعلها عمدته وأصله الذي يضلل من خالفه ، وكذلك تارة يقول في الصوفية الأقوال المتناقضة فتارة يجعلهم خاصة الأمة ويفضلهم على الفقهاء ، وتارة يمنع إعطاءهم الزكاة أو يوجب عليهم الاكتساب مع إباحته إعطاء الزكاة للمتفقهة ، وإن كان في آخر عمره مال إلى طريقة أهل الحديث وكان كثير المطالعة لصحيح البخاري ، وبذلك ختم عمله وعليه مات وهو أفضل

---

١ . هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمر عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكُردي الشهرازوري الموصلي الشافعي صاحب علوم الحديث ، ولد سنة ٥٧٧هـ ، وتوفي ٦٤٣هـ ، انظر وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٣ ، والسير ٢٣ / ١٤٠

٢ . السير ١٩ / ٣٢٩ .

أحواله والله تعالى يغفر لنا ولسائر إخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم))[1] أ . هـ .

ويذكر شيخ الإسلام عن الغزالي الذكاء والعبادة وسعة العلم ورجوعه عن طريق المتفلسفة وأهل الكلام والتصوف فيقول : ((وهذا أبو حامد الغزالي ، مع فرط ذكائه وتألهه ، ومعرفته بالكلام والفلسفة ، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ، ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة ويحيل في آخر أمره على طريقة الكشف وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث))[2] ومع ما جمعه الغزالي في مصنفاته من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة وإكثاره من ذلك ومع خطر مثل هذا الفعل حيث إنه من نشر الكذب على رسول الله - ﷺ - نجد شيخ الإسلام – رحمه الله - لا يزال مستمراً للاعتذار له وإحسان الظن به فيقول : ((أبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك ، الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه ، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها))[3] أ . هـ ، فها هو يبين أنه ساق هذه الأحاديث دون علم منه بضعفها أو وضعها ، مع أن الغزالي نفسه صرح في قانون التأويل[4] أنه مزجي البضاعة في الحديث ولم يلتفت للحديث والعناية به إلا في آخر عمره حيث مات والبخاري على صدره وكان منشغلاً بصحيح مسلم أيضاً حتى قيل : لو مد له في عمره لأظهر الله منه عجائب ، وأخيراً يعتذر شيخ الإسلام للغزالي عن مصنفاته وما حوته من أباطيل وانحرافات فيقول : ((... ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول أنها مكذوبة عليه ، وآخرون يقولون بل رجع عنها ، وهذا أقرب الأقوال فإنه قد صرح بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم لا توصل إلى المطلوب))[5] ، وكل هذا العدل والإنصاف من

---

١ . بيان تلبيس الجهمية ٣ / ١٠٢ – ١٠٣ .

٢ . الفتاوى ٤ / ٧٢ .

٣ . درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٤٩ .

٤ . قانون التأويل ، ص ١٢

٥ . مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٣٨ .

شيخ الإسلام للغزالي وكل هذه الاعتذارات وإحسان الظن به لم يمنـع ذلـك شـيخ الإسلام من رد ما جاء عن الغزالي من موافقته للفلاسفة ، أو لأهل الكلام والتصوف ويرد عليه وينتقده ، ومن انتقاداته عليه :

١ – أنه اعتبره أول من أدخل منطق الفلاسفة في أصول المسلمين وخلطه بها ولهذا تكلم عليه علماء المسلمين ، فيقول : ((وأول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي وتكلم فيه علماء المسلمين بما يطول ذكره))[١] ، بل قال : ((حتى أن موسى بن ميمون صاحب " دلالة الحائرين " وهو في يهود كأبي حامد الغزالي فـي المسلمين يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ...))[٢] .

٢ - أنه يصفه بأنه من فروع الجهمية النفاة فيقول : ((ومعلوم أن أئمـة الجهميـة النفاة والمعتزلة وأمثالهم من أبعد الناس عن العلم بمعاني القرآن والأخبـار وأقـوال السلف ، ونجد أئمتهم من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، وإنما عمـدتهم في الشرعيات على ما يظنونه إجماعاً ، مع كثرة خطئهم فيما يظنونه إجماعاً وليس بإجماع ، وعمدتهم في أصول الدين على ما يظنونه عقليات وهي جهليات ، لا سيما مثل الرازي وأمثاله ... واعتبر ذلك بما تجده في كتب أئمة النفاة مثل أبي الحسـين البصري وأمثاله ومثل أبي حامد والرازي وأمثالهما)) ، ثم قال : ((وكذلك الغزالي والرازي من فروع الجهمية هم من أقل الناس علماً بالأحاديث النبوية وأقوال السلف في أصول الدين ومعاني القرآن ...))[٣] .

٣ – أنه نص أن تأويلاته مع غيره مـن الأشـاعرة هـي عـين تـأولات بشـر المريسي المعتزلي[٤] .

---

١ . مجموع الفتاوى ٩ / ٢٣١ .

٢ . درء تعارض العقل والنقل ١ / ١٣١ ، ١٣٢ .

٣ . العقل والنقل ٧ / ٢٩ ، ٣١ .

٤ . بشر المريسي : هو المعتزلي المتكلم المناظر ، بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي ، مـولاهم البغـدادي المريسي من دعاة القول بخلق القرآن ، وكان رأس الجهمية في عصره ، فمقته أهل العلم وكفره عـدة ، كـان والده يهودياً صنف الإمام الدارمي رداً عليه ، مات سنة ٢١٨هـ وقد قارب الثمانين ، انظر السـير ١٠ / ١٩٩ ، وانظر وفيات الأعيان ١ / ٢٧٧ .

ووضع الشيخ قاعدة لا بد من اعتبارها في كتب الغزالي مستصحبين لحاله حتـى ما ختم له به فقال : ((وتجد أبا حامد الغزالي – مع أن له بالعلم والفقه والتصـوف والكلام والأصول وغير ذلك ، مع الزهد والعبادة وحسن القصد ، وتبحره في العلوم الإسلامية أكثر من أولئك – يذكر في كتاب " الأربعين " ونحوه كتابه " المضنون به على غير أهله " فإذا طلبت ذلك الكتاب واعتقدت فيه أسرار الحقائق وغاية المطالب ، وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه ، قد غيرت عباراتهم وترتيباتهم)) .

ثم أشار ابن تيمية – رحمه ا - إلى أن من يعلم حقائق مقالات الغزالي وغيره من العباد ، يعتقد تأويلاتهم صحيحة ، وأنها التي علمها المسلمون من الصحابة كأبي بكرٍ وغيره ، وأن تلك التأويلات هي التي يطلع بها أهلُ الكشف على الحقائق وأنها بنورٍ إلهي ، ثم قال : ((فإن أبا حامد كثيراً ما يحيل في كتبه علـى ذلـك النـور الإلهي ، وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعباد برياضتهم وديـانتهم مـن إدراك الحقائق وكشفها لهم حتى يزِنُوا بذلك ما ورد به الشرع)) .

ويذكر – رحمه ا - السبب في ذلك فيقول : ((وسبب ذلك أنه كان قـد علـم بذكائه وصدق طلبه ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب ، وآتـاه ا إيماناً مجملاً – كما أخبر به عن نفسه - وصار يتشوف إلى تفصيل الجملة ، فيجـد في كلام المشايخ والصوفية ما هو أقرب إلى الحق وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين ، والأمر كما وجده ، لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال ، وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبـادة ، حتى نالوا المكاشفات العلمية والمعاملات العبادية ما لم ينله أولئك)) .

وقد ترتب على هذا السبب ما أشار إليه شيخ الإسلام بقوله : ((فصار يعتقـد أن تفصيل تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريقة ، حيث لم يكن عنده طريق غيرها ، لانسداد الطريقة الخاصة السنية النبوية عنه بما كان عنده من قلة العلم بهـا ومـن الشبهات التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين ، حتى حالوا بها بينـه وبـين تلـك الطريقة)) .

ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل ولطريقة العلم ، وإنما ذلك لعلمه الذي سلكه ، والذي حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة ، وليس هو بعلم وإنما هو عقائد فلسفية وكلامية كما قال السلف : " العلم بالكلام هو الجهل " وكما قال أبو يوسف : " من طلب العلم بالكلام تزندقَ " .

ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته يدفعون وجود هذه الكتب عنه ، حتى كان الفقيه أبو محمد بن عبد السلام – فيما علقه عنه – ينكر أن يكون " بداية الهداية " من تصنيفه ، ويقول : إنما هو تَقَوُّلٌ عليه .

مع أن هذه الكتب – أي كتب أبي حامد المذمومة – مقبولها أضعاف مردودها ، والمردود منها أمور مجملة ، وليس فيها عقائد ولا أصول الدين .

وأما " المضنون به على غير أهله " فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبحاله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه ، لعلمهم بمواد كلامه ، ومشابهة بعضه بعضاً ، ولكن كان هو وأمثاله – كما قدمت – مضطربين ، لا يثبتون على قول ثابت ، لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق ، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة الذين ورثوا عن الرسول - ﷺ - العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن كما قدمناه ، وأهل الفهم لكتاب ا والعلم والفهم لحديث رسول ا - ﷺ - واتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك ، كما جاءت به الرسالة .

ولهذا كان الشيخ أبو عمرو بن الصلاح يقول – فيما رأيته بخطه – : أبو حامد كثر القول فيه ومنه ، فأما هذه الكتب – يعني : المخالِفة للحق - فلا يلتفت إليها ، وأما الرجل ، فيسكت عنه ، ويفوض أمره إلى ا .

ومقصوده أنه لا يذكر بسوء ، لأن عفو ا عن الناسي والمخطيء ، وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب ، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله ، ولأن مغفرة ا بالحسنات منه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب ، فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين إلا ببصيرة ، لا سيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن ، وهو يميل إلى الفلسفة ، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية .

ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين ، حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربـي ، فإنه قال : ((شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم ، فما قدر " وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجب تصديق ذلك في كتبه))[1] .

وما هذا التطويل إلا للقصد الذي أشرتُ إليه ، ولأنه ينبيء عن منهج الشيخ مـع أمثال أبي حامد !

أما الغزالي فقد أفضى إلى ما قدم فنترحم عليه ونسأل ا له العفو والمغفرة ، فإنه قد رجع في آخر عمره وأقبل على طلب الحديث ومجالسة أهله ، ولكن لا نقره علـى أخطائه ولا نتبعه في مواطن زللـه ، كما قال الذهبي - رحمه ا - : ((فـرحم ا الإمام أبا حامد ، فأين مثله في علومه وفضائله ، ولكن لا ندعي عصمته من الغلـط والخطأ ولا تقليداً في الأصول))[2] .

وكما قال عبد القادر السندي : ((إلى دار الخُلد يـا غزالـي ، بعـدما أغرقـت الملايين الملايين من أهل الإسلام في الفلسفة المادية الطاغية والتصوف الممقوت ، المخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، إلا أن رحمت ا أدركتك في آخر لحظـة من حياتك ، فعليك رحمة ا وغفرانه إن صح فيك رجوعك))[3] .

---

١ . ينظر ((مجموع الفتاوى)) – في ((نقض المنطق)) ١ – (٤ / ٦٣ – ٦٦)

٢ . انظر السير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٤٦ .

٣ . انظر التصوف في ميزان البحث والتحقيق ص ٣٢٦ .

الفصل الثالث : مصادر الغزالي في ربع المهلكات من كتابه وتقويم تلك المصادر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بيان أهم المصادر التي اعتمد عليها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين – ربع المهلكات .

المبحث الثاني : تقويم مصادر الغزالي في ربع المهلكات .

الفصل الثالث

مصادر الغزالي في ربع المهلكات وتقويم تلك المصادر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بيان أهم المصادر التي اعتمد عليها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين

لما كان كتاب إحياء علوم الدين كتاباً شاملاً لجوانب العقائد والعبادات والمهلكات والمنجيات ، وقد توسع فيه مؤلفه في ذكر ما يحضره في كل باب ، جاءت مصادره متنوعة متعددة بحسب مشاربه ، متباينة في أفكارها ، فتجد في كلامه عقليات الفلاسفة ، وأصول المتكلمين ، وطرائق المتصوفة ، وأخبار الزهاد والصالحين .

وقد بين الغزالي مصادره في التصوف فقال : ((فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي – رحمه الله - ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي ، وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، وغير ذلك من كلام مشائخهم))[1] .

وقد ذكر أهل العلم الذين تعقبوا الغزالي في الإحياء بعض المصادر التي أثرت فيه واستفاد منها ، خاصة في ربع المهلكات ، وقد بلغت سبعة مصادر هي :

١ - الرعاية ، للحارث المحاسبي . ت (٢٤٣ هـ) .

٢ - قوت القلوب ، لأبي طالب المكي . ت (٣٨٦هـ) .

٣ - رسائل إخوان الصفاء ، لمجموعة سرية قيل إن منهم أبو حيان التوحيدي[2] (٣٨٩هـ)

٤ - الشفاء ، لابن سيناء . ت (٤٢٨هـ) .

٥ - الحلية ، لأبي نعيم الأصفهاني . ت (٤٣٠هـ) .

٦ - الرسالة ، للقشيري . ت (٤٦٥هـ) .

٧ – اللُمع ، لأبي نصر السراج . ت (٤٨٣هـ) .

---

١ . المنقذ من الضلال ، ص ٥٧ .

٢ . أبو حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس البغدادي الصوفي الفيلسوف ، كان من أعيان الشافعية ، قال عنه الذهبي : الضال الملحد ، وقال ابن الجوزي عنه : زنديق ، انظر السير ١٧ / ١١٩ ، وانظر وفيات الأعيان ٥ / ١١٢ .

ولنذكر من كلام أهل العلم ما يبين أن هذه هي أهم مصادر الغزالي في كتابه الإحياء عموماً ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - عندما سئل عن الإحياء وقوت القلوب قال : ((أما كتاب " قوت القلوب "وكتاب " الإحياء " تبع له فيما يذكره من أعمال القلوب مثل الصبر والشكر والحب والتوكل والتوحيد ونحو ذلك ، وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم ، من أبي حامد الغزالي وكلامه أشد وأجود تحقيقاً وأبعد عن البدعة مع أن في قوت القلوب أحاديث ضعيفة وموضوعة وأشياء كثيرة مردودة .

أما ما في الإحياء من الكلام في المهلكات ، مثل الكلام على الكبر والعجب والرياء والحسد ونحو ذلك فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية ومنه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود ومنه ما هو متنازع فيه !

والإحياء فيه فوائد كثيرة ولكن فيه مواد مذمومة ، فإن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين . وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا : مرضه الشفاء – يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة – وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة ، وفيه شيء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ، ومن غير ذلك من العبادات والآداب ما هو موافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يرد منه فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه))[1] أ . هـ .

وقال أيضاً : ((إنما كان غالب استمداد أبي حامد من كتاب أبي طالب المكي " قوت القلوب " ومن كتب الحارث المحاسبي وغيرهما ، ومن رسالة القشيري ومن منثورات وصلت إليه من كلام المشايخ ...))[2] .

فها هو شيخ الإسلام ابن تيمية يقرر أن مصادر الإحياء " قوت القلوب " لأبي طالب المكي ، و " الرعاية " للمحاسبي ، وكذلك كتاب " الشفاء " لابن سينا والرسالة للقشيري .

---

١ . مجموع الفتاوى . ١٠ / ٥٥١ .

٢ . الأصفهانية لابن تيمية ١ / ١٧٢، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، تحقيق إبراهيم سعيداي .

وقال الطرطوشي (٥٢٠هـ) - في معرض نقده لكتاب الإحياء - : ((شحن كتابه بالكذب على رسول ا - ﷺ - فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض في – مبلغ علمي – أكثر كذباً على رسول ا منه ، سبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفا وهم قوم يرون النبوة اكتساباً ، وليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل تخلق بمحاسن الأخلاق ، وجانب سفاسفها وساس نفسه حتى ملك قياده ...))[١] .

وقد ذكر د . زكي مبارك أن من مصادر الغزالي التي استفاد منها رسائل إخوان الصفا وقال : ((ويكفي أن يعرف القارئ أن الغزالي اطلع على هذه الرسائل واستفاد منها ، وإن صب على أصحابها جام غضبه وسخطه ، لأن استفادة المرء من كتاب لا تتوقف على حبه لصاحبه ، بل صرح الغزالي بأنه أقبل في أول حياته العلمية على دراسة ما عرض لعهده من المذاهب والآراء))[٢] .

وذكر د . زكي مبارك تبعاً للزبيدي أن الغزالي اعتمد في الإحياء كثيراً على كتاب الرسالة للقشيري فقال : ((وقد صدق الزبيدي فيما رآه من أن الغزالي اعتمد عليها – يعني الرسالة القشيرية – عند تأليف الإحياء وإن كانت النسبة بين الكتابين بعيدة من جهة المادة ، ومن السهل أن يثبت الإنسان أثر هذه الرسالة في أكثر أبواب الإحياء ، وما أدري لِم لم يشر الغزالي بذكر مؤلفها ومؤلف قوت القلوب مع أن فضلهما عليه كبير))[٣] .

ومما يدل على أن الغزالي استفاد من المحاسبي أنه صرح باسمه ، واعتبره حبر الأمة في علم المعاملة ونقل عنه في بعض المواضع كلاماً في ثمان صفحات[٤] .

ومن مصادره أيضاً خاصة فيما يتعلق بالتراجم وأحوال العلماء والزهاد كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني[٥] ، وقد صرح باسمه في موضع وأمر بالرجوع إلى كتابه الحلية[٦] ، وأيضاً من مصادره اللُمع لأبي نصر السراج[٧] .

---

١ . سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٣٤ .
٢ . الأخلاق عند الغزالي . د . زكي مبارك ص ٥٦ .
٣ . الأخلاق عند الغزالي . ص ٦٤ ، إتحاف السادة المتقين ص٦ ، والصواب أنه أشار إلى قوت القلوب .
٤ . الإحياء ٣ / ٣٣٧ – ٣٤٥ – ٣٩٢ – ٤٠٠ .
٥ . انظر الإحياء ٥ / ٦٢ / ٧١ .
٦ . الإحياء ٥ / ٦٢ – ٧١ .
٧ . انظر الإحياء ٢ / ٣٧٩ ، وقد أخذ عنه الوجه السابع في تفضيل السماع على القرآن وصرح باسمه .

المبحث الثاني : تقويم مصادر الغزالي في كتابه

بعد أن اتضح لنا اعتماد الغزالي على المصادر السبعة في ربع المهلكـات مـن كتابه ، فلعلنا نُلقي الضوء على حقيقة هذه الكتب ونقد العلماء لها ليظهر أثرها على الغزالي في تأليفه لهذا الكتاب .

١ - الرعاية للمحاسبي :

سمي المحاسبي : لكثرة محاسبته نفسه ، وقيل : لأنه كانت له حصى يعدها حال الذكر والأول هو الصحيح بإجماع المؤرخين ، حيث تأثر بنشأته في البصرة والتـي عرفت بكثرة زهادها وتشددهم في العبادة ، وكثرة القُصاص والوعاظ الـذين كـان عندهم تساهلاً في رواية الحديث الضعيف بل والموضوع مما كان له أثر إلى ميلـه للعبادة والزهد وعدم الإقبال على العلم والحديث النبوي .

ومما يدل على تساهل المحاسبي في التأليف ما رواه الجنيد في بيان أسلوبه فـي التأليف حيث قال : ((كان الحارث المحاسبي يجيئ إلى منزلنا فيقول أخرج معـي نصحر – نذهب إلى الصحراء – فأقول له : تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات ؟؟ ، فيقول : أخرج معي ولا خوف عليك ، فأخرج معه ، فكأن الطريق فارغ من كل شيء !! لا نرى شـيء نكرهـه ، فـإذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه ، قال لي : سلني ، فأقول له : مـا عنـدي سؤال أسأله ، فيقول : سلني عما يقع في نفسك ، فتنثال علي السـؤالات ، فأسـأله عنها فيجيبني عليها للوقت ، ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتاباً))[١] .

قلت : تشير هذه القصة إلى أن اعتماده على خواطره وهواجسه وأفكاره أكثر مـن اعتماده على نصوص الكتاب والسنة .

لذا انتقد علماء السلف مؤلفات الحارث المحاسبي لأن التعمق مع خطرات النفس والوساوس يجر إلى أمرين خطيرين :

أولها : أن التعمق في هذه الأمور يجر للشطحات الصوفية .

ثانيها : أنه يلهي عن الاعتبار بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

---

١ . أنظر مقدمة الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ، تحقيق : د . عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، طُبع ١٩٩٠م .

ولذا جاء عن أبي زرعة الرازي كما روى الخطيب البغدادي بسنده إلى سعيد البردعي قال : ((شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه ؟ فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فإنك تجد ما يغنيك ، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، أبلغكم أن مالك بن أنس والثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتون مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي[1] ، ومرة بحاتم الأصم[2] ، ومرة بشقيق[3] ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع))[4] .

رحم الله أبا زرعة ما أبعد نظره ، لقد استغل هذه المصنفات أقوام فقادوا الناس إلى الزهد في العلم والأثر أولاً ، ثم التخبط في ظلمات البدع والخيالات آخراً ، وكان الإمام أحمد – رحمه الله - يحذر أصحابه من مجالسة الحارث المحاسبي ومن قراءة كتبه .

كذلك كان عصر المحاسبي بداية ظهور المعتزلة وأهل الكلام ومسألة خلق القرآن والبدع الكلامية مما حمله للنظر في كتبهم للرد عليهم وساغت عليه بعض تأويلاتهم ، لذا كره له السلف ذلك ، ومن ذلك :

ما ذكره الخطيب البغدادي بقوله : ((كان أحمد بن حنبل يكره للحارث نظره في الكلام وتصانيفه للكتب فيه ويصد الناس عنه))[5] بل ذكرت المصادر أن الإمام أحمد

---

١ . لم أجد ترجمته .

٢ . حاتم الأصم : هو الزاهد القدوة الرباني ، هو أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الحكيم ، كان يسمى لقمان هذه الأمة ، روى عن شقيق البلخي وصحبه وعنه أبو عبد الله الخواص ، توفي سنة ٢٣٧هـ ، انظر حلية الأولياء ٨ / ٧٣ ، والسير ١١ / ٤٨٤ .

٣ . شقيق : هو الإمام الزاهد شيخ خُراسان أبو علي ، شقيق ابن إبراهيم الأزدي البلخي ، صحب إبراهيم بن أدهم وروى عن كثير بن عبد الله وعنه حاتم الأصم ، مات سنة ١٩٤هـ ، انظر صفة الصفوة ٤ / ١٣٩ ، والسير ٩ / ٣١٣ .

٤ . تاريخ بغداد : ٨ / ٢١٥ .

٥ . الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ٢٤٣هـ تحقيق عبد القادر عطا – دار الكتب الحديثة - مصر – ص ١٤ ، وينظر تاريخ بغداد ٨ / ٢١٥ .

لما حذر منه لزم بيته واعتزله الناس ، حتى مات ولم يصلي عليه إلا أربعة نفر[1] ، لكن المحاسبي رجع في آخر حياته عن ذلك ، لذا يقول شيخ الإسلام : ((ثم ذكـر غير واحد أن الحارث رجع عن ذلك))[2] .

إذاً الحارث هو كالغزالي في ميله للتصوف والزهد وتأثره بعلم الكلام ثم رجوعه عن ذلك آخر حياته .

وقد اعتذر الذهبي عن المحاسبي عندما بدعه أبو زرعة الرازي حينما سئل عـن كتب المحاسبي فقال : ((إياك وهذه الكتب ، هذه الكتب بدع وضـلالات ، عليـك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، فقيل له في هذه الكتب عبرة قـال : هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع)) قـال : ((وأيـن مثل الحارث فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب وأين مثل القوت ؟ كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم[3] وحقائق التفسـير للسـلمي لطار لبه كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات ، بل لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر كان معاصـروه ألف إمام في الحديث فيهم مثل أحمد بن حنبل))[4] .

٢ - قوت القلوب :

اسم هذا الكتاب " قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلـى مقام التوحيد " ألفه محمد بن علي بن عطية الحارثي المالكي المكي ، أبـو طالـب المكي ، قال عنه الخطيب البغدادي : حدثني العفيفي والأزهري أنه كـان صـالحاً

---

١ معاتبة النفس للمحاسبي ، تحقيق عبد القادر عطا – دار الاعتصام – القاهرة ط١ ١٤٠٥هـ - ص ١٨ .

٢ . درء التعارض ٧ / ١٤٨

٣ . ابن جهضم : الشيخ الإمام الكبير شيخ الصوفية بالحرم أبو الحسن علي بن عبد ا بن حسن بـن جهضـم الهمذاني المجاور ، مصنف بهجة الأسرار ، قال الذهبي ليس بثقة بل متهم يأتي بالمصائب ، وقال ابن حجـر : في لسان الميزان ٤ / ٢٣٨ قال الذهبي في تاريخ الإسلام : لقد أتى بمصائب في كتابه بهجة الأسـرار يشـهد القلب ببطلانها ، مات سنة ٤١٤هـ ، انظر البداية والنهاية ١٢ / ١٦ ، والسير ١٧ / ٢٧٥ .

٤ . ينظر ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ٤٣١ ، وفكر الحارث المحاسبي الصوفي في ميزان الكتاب والسنة لخالد بن سليمان الخطيب ص ٣١ ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود .

مجتهداً في العبادة ، صنف كتابه وسماه " قوت القلوب " على لسان الصوفية ذكر فيه أشياء منكرة وأحاديث لا أصل لها مستشنعة في الصفات .

وقد انتقد أهل العلم أبا طالب المكي وهجره الناس لأمور منها :

١ - أنه كان على مذهب أبي الحسن بن سالم شيخ السالمية[١] ، وأنه دخل البصـرة بعد وفاة أبي الحسن وانتمى إلى مقالته .

٢ - أنه قال : " ليس على المخلوق أضر من الخالق[٢] " .

٣ - روايته للإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والتي لا أصل لها .

٤ - اشتهر عنه إباحته للسماع الصوفي ، وقسم السماع إلى أنـواع وهـو تقسـيم صوفي لا أصل له .

٥ - أنه أورد في كتابه " علم القلوب " عن الشبلي[٣] قوله : ((إلهي كنـت أتمنـى معرفتك ، فلما عرفتك وقع اسمي في ديوانك ولا يمكنني الهـرب ، فـلا أسـتطيع المكث مع ا وليتني لم أعرفك))[٤] .

والمتأمل في كتاب قوت القلوب يجد أن الغزالي حواه كله أو أغلبه فـي كتابـه إحياء علوم الدين ، فقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه أبواباً هي موجودة في كتاب الإحياء ، مما يدل على أن الغزالي استقاها منه ، مثل : كتاب أوراد اليوم والليلـة ، وفضائل أعمال السنة ، ومحاسبة النفس وترويضها بالجوع ، وفضيلة الفقر ، وكتاب الحسد والإخلاص والرياء[٥] .

---

١ . السالمية : هم أتباع أبي عبد ا محمد بن أحمد بن سالم المتوفى (٣٥٠هـ) والذي تتلمذ على سهل بن عبد ا التستري ، ومذهبهم يقوم على الجمع بين كلام أهل السنة وأهل الكلام مع الميل إلى التشبيه ونزعة صوفية ، انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٧ ، ص ٢٠٢ ، وشذرات الذهب ٣ / ٣٦ .

٢ . انظر تاريخ بغداد ٣ / ٨٩ ، ومقدمة محقق كتاب قوت القلوب ، د. عبد السلام أحمد راجح صفحة د و هـ .

٣ . الشبلي : هو شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي ، اسمه دلف بن جحد ، وقيل جعفر بن يـونس ، وقيـل جعفر بن دلف ، ولد بسامراء وصحب الجنيد ، وكان فقيهاً مالكياً ، له اجتهادات ورياضـات انحـرف بسـببها مزاجه ، فكان يقول أشياء تُنكر عليه ، مات سنة ٣٣٤هـ ، انظر طبقات الصـوفية ص ٣٣٧ ، حليـة الأوليـاء ١٠ / ٣٦٦ ، والسير ١٥ / ٣٦٧ .

٤ . انظر كتاب علم القلوب لأبي طالب المكي ص ١١٤ ، تحقيق : عبد القادر عطى ، مكتبة القاهرة .

٥ . انظر قوت القلوب لأبي طالب المكـي ، تحقيـق : سـعيد نسـيب مكـارم ، دار صـادر – بيـروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م .

وبهذا يعلم أنه ألف هذا الكتاب في التصوف وعلوم الحقـائق ودقـائق الطـرق وإرشاد المريدين ، لذا اعتمده كثير من علماء هذه الطريقة كالغزالي وابن عربـي[1] والسهروردي[2] وغيرهم .

فكثيراً ما يقول الغزالي : وقال في القوت ، وذكر في القوت[3] ، ومن أمثلة ذلـك قوله – في بيان فضل الجوع - : ((قال أبو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر ، وهو العود المجوف ... إذا خلا كان أعذب بالتلاوة ...))[4] ، ومثل هـذا المصـدر الرئيسي للغزالي المليء بالأحاديث الضعيفة والشطحات الصوفية يدل علـى أثـره السيء على الغزالي .

٣ - رسائل إخوان الصفا :

ألفها جماعة من محبي الفلسفة ينتمون إلى الحركة السرية الباطنية ، التي اشتدت في القرن الرابع الهجري بدخول بني بويه بغداد وظهور الفاطميين بالمغرب ومصر ، ظهرت بالبصرة ، وأحاطت نفسها بسياج شديد من الكتمان خوفاً من السلطان وشغب جمهور العوام ، ومن أجل هذا الكتمان تحير الناس في تحديد من صنفها ، فقال قوم : هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب – رضي ا عنه - ، وقال آخرون : هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول ، وذكروا أن منهم أبو حيان التوحيدي وغيره .

وكانت هذه العصابة - كما زعموا - قد تآلفت بالعشـرة وتصـافت بالصـداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، ووضعوا لهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان ا ، وهو مزج الفلسفة بالدين ، وجعلوا جمـاعتهم طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة الإخوان الأبرار الرحماء ، وهم شباب تتراوح أعمارهم مـن خمس عشرة إلى ثلاثين سنة .

---

١ . ابن العربي : هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي ، فيلسوف صوفي حلولي يقول بوحـدة الوجود ، هلك في دمشق عام ٦٣٨هـ ، انظر السير ٢٣ / ٤٨ ، وانظر شذرات الذهب ٥ / ١٩٠ .

٢ . السهروردي : المقتول شهاب الدين يحسن بن الحسن بن أميرك ، من كبار الصـوفية والفلاسـفة ، أفتـى العلماء في عصره بانحرافه وأجازوا قتله ، فقتله الخليفة الظاهر في حلب عام ٥٨٧هـ ، انظر السير ٢١ / ٢٠٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٥ / ٣١٢ .

٣ . انظر الإحياء ١ / ١٤ – ١١٦ – ١١٨ – ١٦٠ ، ٢ / ٢٦٩ ، ٣ / ٨٣ ، ٢ / ٢٦٩ ، ٤ / ٢١ – ٢٧٦ .

٤ . الإحياء ٣ / ١٠٩ .

والطبقة الثانية : هم الإخوان الأخيار الفضلاء ، وهم رجال تراوحت أعمارهم ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ، يتلقون الحكمة وهي مرتبة الرؤساء ذوي السياسة .

أما الطبقة الثالثة : فهم الإخوان الفضلاء الكرام ، وتتراوح أعمارهم ما بين أربعين إلى خمسين سنة وهم أصحاب الأمر والنهي ونصر الدعوة ، وهم الذين ألفوا الرسائل وعملوا على نشرها .

والطبقة الرابعة : هم ما فوق الخمسين سنة ، ومن وصل إليها يكون فوق الطبيعة والشريعة والناموس البشري وذا كشف يشاهد به أحوال القيامة .

وقد ترك هؤلاء إحدى وخمسين رسالة فيها من الفلسفة اليونانية والعلوم الباطنية السرية وحقائق المعاني الصوفية والتقسيمات الرياضية والعلوم الجسمانية النفسية ، ولم يقتصروا على ذلك بل خلطوها بكثير من الخرافات والأساطير ، وحاولوا الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على نظريات أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وغيرهم .

وذلك أنهم قالوا : إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ، وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المهملة .

وكانوا يعتقدون في التنجيم والفأل والزجر والسحر ، بل جعلوا لها مئات الصفحات وغير ذلك من ضلالاتهم وانحرافاتهم[1] ، فهذا المزيج من الأفكار وهذا الخلط في المفاهيم كيف سيكون أثره على الغزالي وهو يؤلف هذا الكتاب متنقلاً فيه بين علوم المعاملة وعلوم المكاشفة .

---

١ . الدراسات الأدبية في حي بن يقظان – أيها الولد – دار الفكر – تأليف عبد الملك السليماني – عمر الدسوقي – محمد الصادق عفيفي – دار الفكر – ط٢ – ١٩٧٠م – ص٤٩-٨٠ ، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ص٥-٢٠الطوس البستاني - دار صادر – دار بيروت ، موسوعات العلوم العربية وبحث عن رسائل أخوان الصفا – أحمد زكي باشا – المركز العربي للبحث والنشر ١٩٨٣م – ط١ – المطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٠٨هـ .

٤ - الشفاء لابن سيناء :

ألفه المؤلف في الفلسفة والمنطق والأمور العقلية في فترة مضطربة من حياته ، فقد كتبه أو أملاه في مرحلة من أكثر مراحل حياته اضطراباً وقلقاً ، اتصل بالسياسة فشرب بين حلوها ومرها ، واستوزر فثار عليه الجند وجلبت عليه الوزارة ما جلبت من أحقاد وخصومات ومشاغل السفر والإقامة داخل السجن وخارجه ، بل من أغرب ما يلاحظ أنه كتبه جميعه - فيما عدا المنطق - وليس أمامه مصدر يرجع إليه ولا نص ينقل عنه ، اللهم إلا لوحات حصر فيها رؤوس المسائل وكان يرجع إليها من حين لآخر ليلتزم الترتيب الذي ارتضاه ، والمنطق وحده هو الذي استطاع أن يصيغه في ضوء بعض المراجع .

وليته استطاع أن يتم الكتاب دفعة واحدة أو على دفعات متلاحقة ، وإنما اضطر بالعكس أن يكتبه على مراحل متباعدة وعلى ترتيب ليس ترتيبه النهائي ، فبدأه وهو في الأربعين وانتهى منه وقد وافى الخمسين من عمره فبقى فيما بين ذلك ما يزيد على عشر سنوات ، و قد أنشد ابن القشيري في الرد على الشفاء لابن سينا :

قطعنا الأخوة من معشرٍ　　بهم مرض من كتاب الشفا

فكم قلت يا قوم انتم على　　شفا جرف من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتنبيهنا　　رجعنا إلى الله حتى كفى

فماتوا على دين أرسطاليس　　وعشنا على ملة المصطفى[1]

كفر كثير من العلماء ابن سينا لقوله بقدم العالم ونفي المعاد الجسماني ، وأن اللذات للأرواح لا للأجسام ، وقوله أيضاً باستحلال شرب المسكر ، وأن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي بل بعلمٍ كلي[2] .

---

١ . انظر النبوات لشيخ الإسلام ١ / ٨٧ ، ومجموع الفتاوى ٩ / ٢٥٣ .

٢ . الشفاء لابن سينا ص٣ ، ٤ – تحقيق الأب قنواتي – محمود الخضري – فؤاد الإهواني – مراجعة د / إبراهيم مدكور – نشر وزارة المعارف العمومية – الإدارة العامة للثقافة – المطبعة الأميرية بالقاهرة – ١٩٥١م – وانظر التصوف العقلي عند ابن سينا – طاهر كوليبالي – ص٩٤ ، دار الهادي ط١ – ١٤٢٤هـ .

٥ - حلية الأولياء :

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى المهراني الأصـبهاني توفي ٤٣٠هـ ، وصفته المصادر بأنه الصوفي الكبير والمحدث الشهير ، قال الذهبي عنه : ((الحافظ الكبير محدث العصر الصوفي الأحول))[١] ، وقال السـبكي عنـه : ((الإمام الجليل الحافظ الصوفي الجامع بين الفقه والتصوف ...))[٢] .

وقال الذهبي أيضاً عنه في السير : ((هو الإمام الحافظ الثقـة العلامـة شـيخ الإسلام صدوق عالم بهذا الفن ما أعلم له ذنباً – والله يعفو عنه – أعظم من روايته للأحاديث الموضوعة في تواليفه ثم يسكت عن توهينها))[٣] .

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قال : ((روى أبو نعيم كثيراً من الأحاديث التـي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث))[٤] .

وهو مع ميله للتصوف ورواية الأحاديث الموضوعة والضعيفة فهو يميل للمذهب الأشعري كما ذكره ابن الجوزي عنه[٥] .

وذكر في كتابه الحلية من الشطحات الصوفية مما لا يجوز نقله مـن الحكايـات الغريبة المخالفة للكتاب والسنة دون أن يتعقبها ، وقـد ذكـر نمـاذج منهـا ابـن الجوزي في مقدمة كتابه " صفة الصفوة " وقال أيضاً فـي " تلبـيس ابلـيس " : ((وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنف لهم كتاب الحلية وذكر في حـدود التصـوف أشياء منكرة قبيحة ...))[٦] .

ومما قاله ابن الجوزي في مقدمة كتابه صفة الصفوة : ((... ذكر أشـياء عـن الصوفية لا يجوز فعلها ، فربما سمعها المبتدئ القليل في العلم فظنها حسنة فاحتذاها ،

---

١ . تذكرة الحفاظ ١٠٩٢ .

٢ . طبقات الشافعية ٤ / ١٨ .

٣ . سير أعلام النبلاء ١١ – ٩٩

٤ . منهاج السنة ٤ / ١٥ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ .

٥ . المنتظم ٨ / ١٠٠ .

٦ . تلبيس ابليس ص ١٨٥ ، أبو نعيم حياته وكتابه الحلية لمحمد لطفي الصباب .

مثل ما روي عن أبي حمزة الصوفي[1] أنه سقط في بئر فجاءه رجل فطمها فلم ينطق ، حملاً لنفسه على التوكل - بزعمه - ثم تعقبه بأن سيد المتوكلين - ﷺ - قد فعل الأسباب وباشرها كما في حديث الهجرة وغيره ومثل ما ذكره عن الشبلي أنه كان إذا لبس ثوباً خرقه ، وكان يحرق الأشياء والخبز والأطعمة التي ينتفع بها الناس - ثم رد عليه وتعقبه ، بأنه لا يجوز في شريعتنا إضاعة المال – وحكا أيضاً عن الشبلي أنه لما مات ولده حلق لحيته ، وقال : قد جزت أمه شعرها على مفقود أفلا أحلق أنا لحيتي على موجود ، إلى غير ذلك من الأشياء السخيفة الممنوع منها شرعاً))[2] .

وبهذا يتبين أن اعتماد الغزالي على مثل هذا الكتاب دليل على عدم تمحيصه للأحاديث ووقوعه في إيراد الغرائب من الحكايات والشطحات الصوفية .

٦ - الرسالة القشيرية :

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) كتبها سنة ٤٣٧هـ إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام ، كتبها تصحيحاً لأوضاع كثيرة انحرفت ، وبياناً لما ينبغي أن يكون عليه المريد الصادق .

لقد كانت هناك جوانب كثيرة في الأجواء تزعم أنها صوفية قد دب إليها الفساد ، وسلك بعض المدعين مسالك لا تمت إلى الدين ولا إلى التصوف بصلة ، كما هو الشأن دائماً في المدعين المزيفين الذين يوجدون في كل عصر وفي كل ميدان .

فأشفق الإمام القشيري على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر – أي أمر التصوف – على هذه الجملة قد بنى قواعده ، وعلى هذا النحو سار سلفه فأشفق من ذلك فكتب الرسالة في بيان طريق التصوف وتضمنت أمرين :

---

١ . أبو حمزة الصوفي : هو محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، جالس بشر الحافي والإمام أحمد ، ثم صحب السري ، أخذ عنه خير النساج ومحمد بن علي الكتاني ، له انحرافات وشطح ، انظر السير ٣ / ١٥٦ ، وانظر طبقات الصوفية ص ٢٢٥ ، وانظر الحلية ١٠ / ٣٢٠ .

٢ . انظر صفة الصفوة لابن الجوزي ، ص ٣ ، ضبطها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، ط ١ ، ١٣٠٩هـ ، دار الكتب العلمية .

الأمر الأول : سيرة رجال التصوف وبعض أقوالهم كنماذج يسير المريد على هديهم .
أما الأمر الثاني : فجعله عن مبادئ السلوك ومناهجه ، يقول القشيري : ((وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم ، وما أشاروا إليه من مواجيدهم وكيف ترفعهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة صالحة))[1] .

ومما يلحظ في تصنيف القشيري لرسالته ، أنه اعتمد فيها على مشايخ الطريقة الصوفية ، فكثير ما يقول : قال شيوخ الطريقة ، أو ينقل عنهم بأسماءهم ، كالشبلي والجنيد وذي النون المصري ، أو يقول قال أهل التحقيق ، وقليل ما يستدل بالقرآن والسنة ، بل أحياناً يستدل بها على مصطلحات المتصوفة ، فمن ذلك أنه عند كلامه عن الشريعة والحقيقة ، قال : ((سمعت الأستاذ أبي علي الدقاق[2] – رحمه ا – يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قال حفظ الشريعة ، و ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إقرار بالحقيقة ، وأيضاً شرح في كتابه مصطلحات التصوف ومقامات أرباب السلوك وأورد ما أنشدوه من أشعار وما روه من أخبار ، وترجم في آخره لأعلام التصوف))[3] .
والقشيري عده شيخ السلام من ضمن أئمة المتكلمين فقال : ((والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق ، إن ا يحب ويحب ولهذا وافقهم على ذلك من تصوف من أهل الكلام ، كأبي القاسم القشيري وأبي حامد الغزالي وأمثالهما))[4] .

وقال شيخ الإسلام أيضاً : ((وما يذكره أبو القاسم في رسالته " يعني القشيري " عن النبي - ﷺ - والصحابة والتابعين والمشايخ وغيرهم ، تارة يذكره بإسناد وتارة يذكره مرسلاً ، وكثيراً ما يقول : وقيل كذا وكذا ، ثم الذي يذكره بإسناده تارة يكون

---

١ . الرسالة ص٢٢ ، تحقيق عبد الحليم محمود – محمود الشريف ، مطابع دار التأليف ، ط١ ، ١٣٨٥هـ .
٢ . أبو علي الدقاق : هو أبو بكر نصر بن أحمد الدقاق ، صوفي كبير من أقران الجنيد ، انظر طبقات الشعراني ١ / ٧٦ .
٣ . أنظر الرسالة للقشيري ، شرح نواف الجراح ، دار صادر – بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م .
٤ . الاستقامة لابن تيمية تحقيق د . محمد رشاد سالم ط١ ١٤٠٣ – ٢ / ١٠٢ – جامعة الإمام محمد بن سعود .

إسناده صحيحاً وتارةً يكون ضعيفاً بل وموضوعاً ، وما يذكره مرسـلاً ومحـذوفاً القائل أولى ...))[1] .

فالقشيري وإن كان أخف من الذين قبله فـي الاستشـهاد بالأحاديـث الضـعيفة والموضوعة إلا أنه متأثر بعلم الكلام والتصوف ، مما تأثر به الإمام الغزالـي فـي كتاب إحياء علوم الدين .

٧ – اللمع لأبي نصر السراج[2] :

هذا الكتاب دعوة صريحة لطريقة أهل التصوف ، فابتدأ كتابه ببيان شرعية لفـظ التصوف وإثبات علم الباطن ، وصفة العارف ، ثم عقد كتاباً في الأحوال والمقامات ، وكتاباً عن آداب المتصوفة والسماع والوجد والكرامات ، ثم عقد كتاباً في تفسير ما روي عنهم من الشطحات والكلمات المستشنعة وزعم أن معناها صـحيح وباطنهـا صحيح ، وصاحب اللُمع هو شيخ المتصوفة ، فهو شيخ للسلمي صـاحب الطبقـات والذي أخذ عنه القشيري ، لكنه كان أقربهم إلى السنة .

فتأثر به الغزالي في رضاه عن المتصوفة وتعاليمهم ومزجها بنصوص الشـريعة مع إنكاره ما وقعوا فيه من هفوات كبيرة ، وإن كان قد نقل عنهم ما يـدعو لتلـك الهفوات والشطحات .

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٧٨ .

٢ . هو الشيخ أبو نصر محمد بن سهل بن محمد بن أحمد الشاذياخاني السراج ، سمع من أبي نعيم الإسفراييني وعبد ا بن يوسف الأصبهاني ، وعنه ابن طاهر المقدسي ، وعبد الغافر بن إسماعيل ، عاش تسـعين سـنة ، وتوفي سنة ٤٨٣هـ ، انظر السير ١٨ / ٥٢٩ .

الفصل الرابع : موقف السلف إجمالاً من كلام الغزالي في ربع المهلكات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج السلف في تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق .

المبحث الثاني : نقد السلف إجمالاً لمنهج المتصوفة في باب تزكية النفوس .

المبحث الثالث : المآخذ العامة على الغزالي في ربع المهلكات .

الفصل الرابع

موقف السلف إجمالاً من كلام الغزالي في ربع المهلكات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج السلف في تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق ، وفيه مطلبان

المطلب الأول : أهمية تزكية النفوس عند أهل السنة والجماعة .

إن تزكية النفوس وتطهيرها من الأخلاق والصفات المهلكة أمر جـاءت الرسـل كلها لتحقيقه ، بل جميع العبادات الظاهرة والباطنة كلها داعيةً لإصـلاح النفـوس وموصلة إلى طهارتها من رذائل الأخلاق .

فالله سبحانه قد بين أن إلزام النفس بتقوى الله تعالى هو زكاتها وفلاحهـا ، قـال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧ – ١٠] .

فزكاة النفوس وطهارتها من كل فعل قبيح وخلق ذميم يكون بلزومها تقـوى الله تعالى ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢] .

فتزكية النفس ليس بالادعاء والمظاهر ، بل هي بتحقيق التقوى لله سبحانه ، لذا ما من نبي إلا ودعا قومه لتقوى الله تعالى وإخلاص العبادة له سبحانه كما ذكر عنهم سبحانه في سورة الشعراء ، فقال عن نوح : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦] ، وقال عن هود : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٤] ، وصالح قال لقومه : ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [االشعراء : ١٤٢ - ١٤٤] ، ولـوط قال الله عنه : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ - ١٦١] ، وشعيب قال الله عنه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٧٧] ، وموسى يبين لفرعون أن دعوته حقيقتها تهدف لزكاة النفوس من كل رذيلة ، والتي من أعظمهـا الشرك والكفر فما دون ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى عنه : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ [النازعـات : ١٨ - ١٩] ، بل بعثة النبـي - ﷺ - تهـدف

كغيره من الأنبياء إلى الوصول بالعباد إلى زكاة أخلاقهم وطهارة صفاتهم ، يقـول سبحانه وتعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقـرة : ١٥١] ، وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وأخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : (إنما بعثت لأتمم مكـارم الأخلاق)[١] بل إن شرائع الإسلام وعباداته كلها تصل بالنفوس إلى زكاتها وطهارتها ، فأعظم العبادات وهو التوحيد هو تخليص للنفوس من التعلق بالمخلوقات الضـعيفة - التي لا يورث التعلق بها إلا الخسارة والحسرة والخوف والهلع في الدنيا والآخرة - إلى التعلق بالله سبحانه وتعالى .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [فصلت : ٦ – ٧] ، قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم : ((الزكاة هاهنا هي التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحـق من القلب ، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه وهو أصل كل زكاة ونماء))[٢] .

وقال ابن القيم – رحمه الله - : ((التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه ؛ فأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه أدنى أثر ...))[٣] .

وأما الصلاة فبين النبي - ﷺ - أثرها في تطهير النفوس والأعمـال ، وجعلهـا كتطهير الغسل المتكرر لصاحبه ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه - أنـه سـمع رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يومٍ خمساً هل

---

١ . البخاري في الأدب المفرد ص٤٢ . والحاكم ٢ / ٦١٣ . أحمد ٢ / ٣٨١ . وهو صحيح بشواهده . انظـر منهج الأنبياء في تزكية النفوس ص٢٢ .

٢ . إغاثة اللهفان ١ / ٨١ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٩٤ ، والفتاوى ١٠ / ٦٣٣ .

٣ . الفوائد ص١٨٤ .

يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يا رسول ا . قال : فكذلك الصلوات الخمس يمحو ا بهن الخطايا)[1] ، وفي الصدقة قال سبحانه وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] ، وهكذا الحج طهارة وتعويد للنفس على تـرك الرفـث والفسوق والجدال والنزاع ، وهكذا الصوم تعويد للجوارح وإلزام لها علـى تـرك المحرمات ، لذا يقول - ﷺ - : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس حاجة أن يدع طعامه وشرابه)[2] .

وكذا النوافل فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضـي ا عنه - قال : قال رسول ا ﷺ : (من عادى لي ولياً فقد آذنتـه بـالحرب ، ومـا تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلـي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ...)[3] ولا شك أن الوصول إلى محبة ا للعبد لأكبر دليل على زكاة نفسه ، ثم في آخر الحديث يبين ا عنايته بعبده إذا أحبه في حفظـه لسـمعه وبصره وجوارحه ، ولا شك أن هذا الحفظ سبيل لطهارة نفسه وزكاة أخلاقه .

وكذلك اجتناب المحرمات هو من وسائل تزكية النفس فقد قال ا تعالى في سورة النور بعد تحريمه للزنا والقذف وإشاعة الفاحشة في الذين آمنـوا ، قـال سـبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١] ، قال ابن القيم – رحمه ا - مستشهداً بهذه الآية : ((إن زكاة القلب موقوفة على طهارته كما أن زكاة البدن موقوفة علـى اسـتفراغه مـن

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس ، من حـديث أبـي هريـرة ١ / ١٩٧ ، ح ٥٠٥ ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايـا ١ / ٤٦٢ ، ح ٦٦٧ .

٢ . أخرجه البخاري ، كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ٢ / ٦٧٣ ، ح ١٨٠٤ .

٣ . أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ٥ / ٢٣٨٤ ، ح ٦١٣٧ من حديث أبي هريرة .

أخلاطه الرديئة الفاسدة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك))[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] ، بل إن أئمة أهل السنة جعلوا أمر تزكية النفوس وإصلاح الأخلاق أصلاً من ضمن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، فأدخلوا في ضمن كلامهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة فصولاً لبيان ما هم عليه من مكارم الأخلاق وإصلاحهم لنفوسهم بفعل العبادات والنوافل وترك المحرمات والرذائل .

فها هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني (٤٤٩هـ) في بيانه لعقيدة السلف أصحاب الحديث يقول : ((ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات ... ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الأرحام وإفشاء السلام ... والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح ...))[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا - : ((ويأمرون بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمر القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله - ﷺ - : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[3] ... وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها))[4] .

فإذا اتضح أن أمر تزكية النفس وإصلاح أخلاقها هو دعوة المرسلين ، ومن أهداف الإمتثال للشرائع والعبادات والأوامر واجتناب المنهيات ، وهو أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، علمنا بذلك أن تزكية النفس أمر مهم جداً اعتنى

---

١ . إغاثة اللهفان ١ / ٨١ .

٢ . عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص٩٧ – ٩٩ باختصار .

٣ . أخرجه أحمد ٢ / ٢٥٥ ، والترمذي ح ١١٦٢ ، وأبو داود في كتاب السنة ١٢ / ٤٣٩ ، قال الألباني حديث حسن صحيح .

٤ . الواسطية بشرح الهراس ص١١٦ .

به القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة السلف الصالح ، لكن منهجهم فيه ليس كمنهج المتصوفة الذين جعلوا طريقهم في تزكية نفوسهم خلواتهم وإلهاماتهم ومناماتهم التي أوصلتهم في آخر الأمر إلى دعوى وحدة الوجود والقول بالحلول ، ولا حـول ولا قوة إلا با ، وليس فيها تعذيب النفس بالجوع المفرط والسهر المرهـق والسـياحة وغير ذلك .

لذا سأعرض أهم وأبرز سمات منهج السلف في تزكية النفوس والتي سلموا بهـا من الإبتداع ومن شطحات الصوفية وترهاتهم .

المطلب الثاني : أبرز سمات منهج السلف في تزكية النفوس

من خلال إستقراء كلام السلف في تزكية النفوس نلاحظ أن مـن أبـرز سـمات منهجهم في إصلاح القلوب وتزكية النفوس ما يلي :

١ - إن مصدر تلقي السلوك[1] والأخلاق عندهم هما كتاب ا وسنة رسوله ﷺ :

ذلك أنهم علموا أن القرآن تبيان لكل شيء يقول ا تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وعلموا أن الرسول قد بلغ البلاغ المبين ، لذا لمـا قـال رجل لسلمان الفارسي علمكم رسولكم حتى الخراءة ؟ قال : نعم[2] .

وقال أبو ذر - رضي ا عنه - : (لقد تركنا محمد - ﷺ - وما يحرك طـائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً)[3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا - : ((إن السلوك هو الطريق التي أمـر ا بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق ، وهذا كله مبين فـي الكتـاب

---

١ . السلوك لغة : مصدر سلك ، أي : دخل ، والمسلك الطريق ، ويطلق السلوك على سيرة الإنسـان ومذهبـه واتجاهه ، يقال : فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك ، انظر لسان العرب ١٠ / ٤٤٢ ، وانظر المعجم الوسيط ١ / ٤٤٧ ، أما السالك عند الصوفية : فهو السائر إلى ا المتوسط بين المريد والمنتهي ما دام فـي السـير ، انظر اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص ١٥٥ ، وانظر التعريفات للجرجاني ص ١١٦ .

٢ . أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الاستطابة ٢ / ١٤٤ ، ح ٦٠٥ .

٣ . أحمد ٥ / ١٥٣ ، ح ٢١٣٩٩ ، وقال الأرنؤوط حديث حسن ، وأخرجه الطبراني في المعجـم الكبيـر ٢ / ١٥٥ ، ح ١٦٤ .

والسنة ... وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ ، لكن يوجد في الكتاب والسـنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالـب السـالكين ، فمسـائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة))[1] .

ويقول ابن القيم – رحمه ا - : ((وتزكية النفوس مسلّم إلى الرسل ، وإنما بعثهم ا لهذه التزكية وولاهم إياها وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً ، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم ، يقول ا سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعـة : ٢] ، وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد ، فمـن زكـى نفسـه بالرياضـة والمجاهدة والخلوة ، التي لم يجيء بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب ؟!! فالرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتهـا وإصلاحها إلا عن طريقهم وعلى أيديهم ، وبمحض الانقيـاد لهـم والتسـليم لهـم وا المستعان))[2] .

ففي الهديين الهدى والنور والحق ، وفي البعد عنهما البدع والضلال والانحراف ، يقول سبحانه : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طـه : ١٢٣] ، قال ابن عباس – رضي ا عنه - : (تكفل ا لمن قرأ القرآن وعمل به أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قـرأ هذه الآية)[3] .

لذا فعامة من ضل في باب السلوك إنما كان ذلك لإعراضه عن الكتاب والسنة ، ولئن كانت البدع في باب الاعتقاد كثيرة فهي في باب السلوك أكثر .

يقول شيخ الإسلام : ((ولا ريب أن البدع كثرت في باب العبادة والإرادة أعظم مما كثرت في باب الاعتقاد والقول ...))[4] .

١ . مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٧٣ مختصر .
٢ . مدارج السالكين ٢ / ٣١٥ .
٣ . أخرجه الحاكم ٢ / ٣٨١ وصححه ووافقه الذهبي .
٤ . مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٧٤ .

والانحراف في الاعتقاد سبب في الانحراف في السلوك ، والانحراف في السلوك دليل على الانحراف في الاعتقاد ، وعلى البعد عن الأخذ بالكتاب والسنة .

يقول ابن الجوزي : ((ولقد صنف متأخروا الصوفية كتباً كثيرةً في السلوك ، وغلب على تلك الكتب قلة العلم بالسنن والآثار ، وكثرة الموضوعات والتعويل على أخبار متأخري الزهاد ، ومع ذلك فلا تخلو تلك الكتب من حق وصواب))[1] .

بل إن سبب الضلال ترك الكتاب والسنة ، أو الجهل بما فيهما ، أو قلة الفقه بما جاء فيهما ، والاعتماد على الضعيف والموضوع دون معرفة الصحيح المغني عن الضعيف ، والمغني عن أقوال أهل التصوف والضلال .

يقول ابن القيم : ((وعامة من تزندق من السالكين فلإعراضه عن دواعي العلم وسيره على جادة الذوق والوجد ذاهبة به الطريق كل مذهب ، فهذه فتنة والفتنة به شديدة))[2] .

ولما انحرف الصوفية قال قائلهم : حدثني قلبي عن ربي ، وقال آخرون : أنتم تأخذون علمكم من ميت عن ميت ، ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت !!! ، وقال آخر : إذا رأيت الصوفي يشتغل بـ " أخبرنا " و " حدثنا " فاغسل يدك منه !!! .

قال ابن القيم معلقاً على تلك العبارات : ((ومن أحالك على غير " أخبرنا " و " حدثنا " فقد أحالك إما على خيال صوفي ، أو قياس فلسفي ، أو رأي نفسي ، فليس بعد القرآن " وأخبرنا " و" حدثنا " إلا شبهات المتكلمين ، وآراء المنحرفين ، وخيالات المتصوفين ، وقياس المتفلسفين ، ومن فارق الدليل ضل عن السبيل ، ولا دليل إلى ا والجنة سوى الكتاب والسنة ، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي طريق الجحيم والشيطان الرجيم)[3] .

٢ - اعتبارهم بحال النبي ﷺ وصحابته الكرام : ذلك لأنه لما كانت النصوص قد يداخلها التحريف والتأويل من الجهال وأهل الانحراف فيتأولها كل بحسب هواه وشبهته ، فقد جعل السلف العبرة بما فهمه وعمل به النبي - ﷺ -

١ . تلبيس ابليس ص١٨٤ . وينظر أيضاً الفتاوى ١٠ / ٣٦٧ .

٢ . مدارج السالكين ١ / ١٥٨ . إغاثة اللهفان ١ / ١٩٣ .

٣ . مدارس السالكين ٢ / ٤٦٨ .

وأصحابه ثم القرون المفضلة وأئمة الإسلام المعتبرين ، و ذلك لان النبـي - ﷺ - هو أتقى الناس وأعبدهم وأخشاهم وأعلمهم به ، وأكثرهم امتثالاً لأمره ، وانتهاء عن نهيه وتصديقاً لخبره ، وتعظيماً وتقديساً له سبحانه ، وخير الهدى هديه - ﷺ - ، لأنهم يعلمون قوله - ﷺ - قال : (أما أني لأخشاكم وأتقاكم له)[1] وكان يصـدر خطبـة بقوله : (أما بعد فان أصدق الكلام كلام ا وخير الهدي هدي محمـد - ﷺ - وشـر الأمور محدثاتها ...)[2] ، وإليك هذه النماذج التي توضح لك أنهم جعلـوا الميـزان والعبرة هو حال النبي - ﷺ - وصحابته الكرام فمنها :

أن ابن مسعود - رضي ا عنه - جاء إلى قومٍ في المسجد حلقاً علـى رأسـهم رجل يقول : ((سبحوا مائة ، وكبروا مائة)) فقال له : ((لقد اهتديتم لما لم يهتدي له نبيكم ، أو أنكم مفتتحون باب ضلالة))[3] .

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد ا - رضـي ا عنهمـا - أن ابـن الزبيـر - رضي ا عنه - قال : ((جئت أبي ، فقال : أين كنت ، فقلت : وجـدت أقوامـاً يذكرون ا فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية ا ، فقعدت معهم ، فقـال : لا تقعد بعدها ، ثم قال : رأيت رسول ا - ﷺ - يتلوا القرآن ورأيت أبو بكر وعمر فلا يصيبهم هذا ، أفتراهم أخشع من أبي بكر وعمر ؟! فرأيت ذلك كذلك فتركتهم))[4] .

وخرج سعيد بن منصور في تفسيره عن عبد ا بن عروة بـن الزبيـر قـال : ((قلت لجدتي أسماء كيف كان أصحاب رسول ا - ﷺ - إذا قرءوا القرآن ؟ قالت : كما نعتهم ا ، تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم ، قلت : إن ناساً هاهنا إذا سـمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية ، فقالت : أعوذ با من الشيطان الرجيم))[5] .

---

١ . أخرجه مسلم ، من حديث عائشة ، كتاب الصيام ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهـو جنـب ٢ / ٧٨١ ، ح ٧٩ .

٢ . أخرجه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢ / ٥٩٢ ، ح ٨٦٧ .

٣ . انظر الاعتصام الشاطبي ١ / ٨٤ .

٤ . المرجع السابق ١ / ٣٣٦ .

٥ . المرجع السابق ١ / ٣٣٦ .

قال أبو العالية : ((تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا يميناً ولا شمالاً ، وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه ...))[1] .

٣ - فهم المصطلحات الشرعية على حقيقتها دون إفراط و لا تفريط :

فالفهم الصحيح للألفاظ الشرعية كالتوكل والزهد وحقيقة الخوف والرجاء والحب تعالى وغيرها يجعل العبد يقوم بها على ما أراد منه الشارع ، وعلى ما يحبه ا و يرضاه .

وأما الفهم الخاطئ لها كفهم التوكل على أنه التواكل والعيش عالة على الناس وصدقاتهم ، أو فهم الزهد على أنه تعذيب للنفس وتحريم لما أحل ا ، أو الإفراط في الخوف ، حتى يعاقب الإنسان جوارحه فيفقأ عينه لأنها رأت حراماً أو يحرق يده لأنها لمست ما لا يحل له ، فهذا هو الذي سبب الإبتداع في السلوك والإنحراف في باب تزكية النفس ، يقول ابن تيمية – رحمه ا - : ((الألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد ا ومراد رسوله بها ليثبت ما أثبته ، وينفي ما نفاه من المعاني ، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب و أمر))[2] .

ويقول ابن القيم : ((معرفة منازل العبودية مراتبها من تمام معرفة حدود ما أنزل ا على رسوله ، وقد وصف ا سبحانه وتعالى من لم يعرفها بالجهل والنفاق ، فقال تعالى : ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٩٧] ، وبمعرفة حدودها دراية ، والقيام بها رعاية يستكمل العبد الإيمان ويكون من أهل " إياك نعبد و إياك نستعين "))[3] .

ويقول – رحمه ا - : ((فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود ولاسيما حدود المشروع المأمور والمنهي ، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود ، حتى لا يدخل فيها

---

١ . الاعتصام الشاطبي ١ / ١٢٢ .

٢ . الفتاوى ١٢ / ١١٣ .

٣ . مدارج السالكين ١ / ١٤٠ .

ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها .. وأعدل الناس مـن قـام بحـدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفة وفعلاً))[1] .

٤ - مراعاة الحكم الإلهية في طبيعة النفس البشـرية : من مزايا هذا الـدين وحضارته مراعاة أحوال المكلف وملائمة طبيعته بقوته وضعفه ونوازعه ومشاعره ، يقول سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال تعـالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وعن أبي هريرة – رضي ا عنه - أن رسول ا - ﷺ - قال : (سـددوا وقاربوا وأغدوا وروحوا و شيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا)[2] فمن مقاصد الشريعة ترويض النفس على الـدين والتعـود عليه شيئا فشيئا دون قصر أو تعذيب .

يقول ابن الجوزي – رحمه ا - : ((أن قوماً منهم - أي الصوفية - وقع لهـم أن المراد رياضة النفوس للتخلص من أكدارها المردية ، فلما راضوها مـدة ورأوا تعذر الصفاء ، قالوا : ما لنا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر ، فتركوا العمل . وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية ، مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا مراد الشرع ، ولا يتصور إزالـة ما في الطبع بالرياضة ، وإنما خلقت الشهوات لفائدة ، إذ لولا شهوة الطعـام هلـك الإنسان ، ولولا شهوة النكاح أنقطع النسل ، ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه ، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذي من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه ، وقد مدح ا عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنهى عما تتطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الإنسان إلى نهيها ، وقد قال ا – عز وجل - : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٢٤] ، وما قال الفاقدين الغيظ))[3] .

---

١ . الفوائد ص ١٣٣ .

٢ . أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ١ / ١٢٦ ، ح ٣٩ ، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة ا ٨ / ١٥٨ ، ح ٧٠٤٨ .

٣ . تلبيس إبليس ص ٤١٥ .

وقال الحسن البصري - رحمه ا - : ((إن هذا الدين دين واصب ، وإنه من لا يصبر عليه يدعه ، وإن الحق ثقيل ، وإن الإنسان ضعيف ، وكان يقال : ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق فإنه لا يدري ما قدر أجله ، وإن العبد إذا ركب نفسه العنف وكلّف نفسه ما لا يطيق أو شك أن يسيب ذلك كله حتى لعله لا يقيم الفريضة ، وإذا ركب نفسه التيسير والتخفيف وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس وأمنعها من هذا العدو ، وكان يقال شر السير الحقحقة[١]))[٢] .

ولأجل تعمقهم في تعذيب نفوسهم وحرمانها ملذاتها واصلوا في الصيام وتعنتوا في القيام ولازموا الخلوات واعتزلوا الناس وساحوا في البريات ، لذا يقول ابن القيم – رحمه ا - في نقده للمتصوفة وتتبعهم لخطرات النفس ووساوسها وأحوالها قال : ((ولما ظهرت رعاية أبي عبد ا الحارث بن أسد المحاسبي واشتغل العباد ، عطلت منهم مساجد كانوا يعمرونها بالعبادة ، والطبيب الحاذق يعلم كيف يطبب النفوس ، فلا يعمر قصراً ويهدم مصراً))[٣] .

٥ - الشمولية في عبوديتهم تعالى : لقد فهم السلف الصالح فهماً جلياً أن عبادة ا سبحانه شاملةٌ لجميع ما يحبه ا ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، كما عرفها شيخ الإسلام – رحمه ا [٤] - فعلموا أن شرائع الإسلام والعبادات والطاعات كثيرة متنوعة ، وإن الإسلام شامل لها جميعاً لا يقتصر على بعضها دون بعض .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، وها هو النبي ﷺ يقول : (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاهَا قول لا إله ألا ا وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الأيمان)[5] ، لذا حرص كل واحد منهم أن يحصل من خصال الخير وأبواب البر ما يستطيع ، فبعد العناية بالفرائض يحصل

---

١ . الحقحقة : المتعب من السير ، انظر لسان العرب ١٠ / ٤٩ ، مادة حقق ، وانظر تاج العروس ص٦٢٥٧ .

٢ . انظر الزهد ، لابن المبارك ص ٤٦٨ .

٣ . مدارج السالكين ١ / ٤٣٤ .

٤ . انظر الفتاوى ١٠ / ١٤٩ .

٥ . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ١ / ٧١ ، ح ٩ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ١ / ١٩٤ ، ح ١٥٢ .

أحدهم لنفسه ما يستطيعه من نوافل الصلاة والصيام وقيام الليـل وحسـن الخلـق والجهاد وغير ذلك كل بحسبه ، فالناس يختلفون في استعداداتهم وميولاتهم ومواهبهم ، ولم يقتصروا كالصوفية على مجرد الخلوة والعزلة وأذكارهم وأورادهم ، معرضين عن العلم والجهاد والإنفـاق ورعاية الأولاد ، وكلها من العبادات العظيمة وحذروا من تتبع خطرات النفس ووساوسها ، لأن ذلك يقطع عن العبادة ويقعد عنهـا ، لـذا يقول الإمام ابن القيم : ((فلا إله إلا ا . كم في النفـوس مـن علـل وأغـراض وحظوظ تمنع الأعمال أن تكون خالصة ، وأن تصل إليه ؟ فبين العمـل وبـين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة قطّاع تمنع وصول العمل إلى القلب ... ثـم بـين القلب وبين الرب مسافة ، وعليها قطّاع تمنع وصول العمل إليه ، من كبر وإعجاب ، ورؤية العمل ، ونسيان المنة ، وعلل خفية لو استقصى في طلبها لـرأى العجـب ، ومن رحمة ا تعالى سترها على أكثر العمال ، إذ لو رأوها وعاينوها لوقعوا فيمـا هو أشد منها ، من اليأس والقنوط والاستحسار ، وترك العمل ، وخمـود العـزم ، وفتور الهمة ، ولهذا لما ظهرت رعاية أبي عبد ا الحارث بـن أسـد المحاسـبي واشتغل بها العباد عطلت بها مساجد كانوا يعمرونها بالعبادة ، والطبيب الحاذق يعلم كيف يطب النفوس ، فلا يعمر قصراً ويهدم مصراً))[1] ، ويقول في موضع آخـر : ((وسألت يوماً شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا - عن هذه المسألة - " تهـذيب الأخلاق وترويضها " وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وبتنظيفها - فقال لـي - جملة كلام - : النفس مثل الباطوس – وهو جب القذر – كلما نبشته ظهر وخرج ، ولكن إن أمكنك أن تسقف عليه ، وتعبره وتجوزه فافعل ، ولا تشتغل بنبشه ، فإنـك لن تصل إلى قراره ، وكلما نبشت شيئاً ظهر غيره ، فقلت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ ، فقال لي : مثل آفات النفس مثل الحيات والعقارب التي في طريـق المسافر ، فإن أقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولـم يمكنـه السفر قـط ولتكن همتك المسير ، والإعراض عنها وعدم الالتفات إليهـا ، فـإذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك فاستحسـن شـيخ الإسلام هذا جداً و أثنى على قائله))[2] .

١ . مدارج السالكين ١ / ٤٣٩ .

٢ . مدارج السالكين ٢ / ٣١٣ .

كما أن الاشتغـال بتلك الدقائق ينبغي أن يكون مسبوقاً بما هو آكد فرضاً مـن فعـل الواجبات الظاهرة وترك المحرمات الظاهرة ، ولذا يقول ابن رجب – رحمـه ا - : ((وهاهنا أمر ينبغي التفطن له ، وهو أن التدقيق في التوقف عـن الشـبهات إنمـا يصلح لمن استقامت أحواله كلها ، وتشابهت أعماله في التقوى والورع ، فأما مـن يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشـبه فإنه لا يحتمل له ذاك ، بل ينكر عليه ، كما قال ابن عمر - لمـن سـأله عـن دم البعوض من أهل العراق - : يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين))[1] .

٦ - ومن معالم السلوك الشرعي مراعاة تفاوت قدرات النـاس : فـي فعـل الطاعات وذلك بسبب اختلاف استعداداتهم ، وتنوع مواهبهم وميـولهم . وقـد قـرر الإمام مالك بن أنس - رحمه ا - هذا المعلم ، وذلك لما كتب عبد ا العمري العابد إلى مالك يحضه على الإنفراد والعمل فكتب إليه مالك : ((إن ا قسم الأعمال كمـا قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم ... وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجوا أن يكون كلانا على خير و بر))[2] ولما سئل ابن تيمية – رحمه ا - عن الأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل ... هـل يبـدأ بالزهد ، أو بالعلم ، أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته ، أجاب بقولـه : ((النـاس يتفاضلون في هذا الباب ، فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد ، ومـنهم مـن يكون الزهد أيسر عليه ، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما ، فالمشروع لكـل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير ، كما قال تعـالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦]) ثم بين – رحمه ا - موقف العبد عند ازدحام الأمور عليه فقـال : ((وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى وهو عليه أقدر ، فقـد يكـون على المفضول أقدر منه على الفاضل ، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له ، وهو في حقه أفضل ، ولا يطلب مـا هـو أفضل مطلقاً ، إذا كان متعذراً في حقه أو متعثراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع ، كمن

---

١ . العلوم والحكم ١ / ٢٨٣ .

٢ . السير ٨ / ١١٤ .

يقرآ القرآن فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه ، ولا ينتفع منها بعمـل ، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة ، فأي عمل كان له أنفع و ا أطوع فهو أفضل في حقه من تكاف عمل لا يأتي به على وجهه ، بل على وجهه الناقص ويفوته مـا هو أنفع له))[1] ، وقال في موضع آخر : ((وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمـال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه ، وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع لكل أحد))[2] ، وتحدث ابن القيم عن هذا المعلم فكان مما قاله : ((والمقصود أن الطريق إلى ا واحد ، فإنه الحق المبين ، والحق واحد مرجعـه إلى واحد ، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر ، بل كل ما سواه باطل ، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل ، فالباطل متعدد وطرقه متعددة وأما ما يقع في كـلام بعـض العلماء أن الطريق إلى ا متعددة متنوعة ، جعلها ا كذلك لتنـوع الاسـتعدادات واختلافها رحمة منه وفضلاً ، فهو صحيح لا ينافي ما ذكرناه من وحدة الطريق))[3] .

وبهذا يتبين أن الطريق واحد جامع لكل ما يحبـه ا ويرضـاه ، وإن تنوعـت واختلفت استعدادات العباد ، فمنهم من استعداده العلم والتعليم ، ومنهم من يكثر مـن الذكر والدعاء ، ومنهم من يكون له إقبال على الصلاة والنوافـل ، وطائفـة فـي الإنفاق ، وأخرى في الجهاد ، كما قال ابن القيم – رحمه ا - : ((وكشف ذلـك إيضاحه أن الطريق هي واحدة جامعة لكل ما يرضي ا ، وما يرضيه متعدد متنوع وجميع ما يرضيه طريق واحد ، ومراضيه متعددة متنوعة بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال ، وكلها طرق مرضاته ، فهذه التي جعلها ا لرحمته وحكمته كثيرة متنوعة جداً لاختلاف استعدادات العباد وقوابلهم .

وإذا علم هذا فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الذي يعد سـلوكه إلـى ا طريق العلم والتعليم ، قد وفر عليه زمانه مبتغيا به وجه ا ، فلا يزال كذلك عاكفاً على طريق العلم والتعليم حتى يصل من تلك الطريق إلى ا ، ويفتح له فيها الفـتح الخاص أو يموت في طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه بعد مماته ... ومن

---

١ . الفتاوى ٧ / ٦٥١ .

٢ . الفتاوى ١٠ / ٦٦٠ .

٣ . طريق الهجرتين ص ١٧٨ ، مدارج السالكين ٣ / ١٧ ، والفوائد ٣٨ .

الناس من يكون سيد عمله الذكر وقد جعله زاده لمعاده ورأس ماله لمآله ، فمتى فتر عنه أو قصر رأى أنه قد غبن وخسر . ومن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الصلاة ، فمتى قصر في ورده منها أو مضى عليه وقت و هو غير مشغول بها أو مستعد لها أظلم عليه وقته وضاق صدره . ومن الناس من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدي كقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان وأنواع الصدقات . ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد فتح الله له فيه ونفذت منه إلى ربه ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق تجريد الهمة ودوام المراقبة وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة . ومنهم جامع المنفذ السالك إلى الله تعالى في كل واد ، الواصل إليه من كل طريق ، فهو جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه يؤمها أين كانت ، ويسير معها حيث سارت ، قد ضرب مع كل فريق بسهم ، فأين كانت العبودية وجدته هناك ، إن كان علم وجدته مع أهله ، أو ذكر وجدته في الذاكرين ، أو إحسان ونفع وجدته زمرة المحسنين ... يدين بدين العبودية أنى استقلت ركائبها ، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها ، لو قيل له : ما تريد من الأعمال لقال : أريد أن أنفذ أوامر ربي حيث كانت ...))[1] - وهذا الصنف الأخير الذي ذكره ابن القيم آنفاً – هم الصديقون ، الذين سلكوا كل أبواب الخير وحققوا جميع خصال البر وأعماله ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وخير مثال على الصديقين أبو بكر الصديق – رضي الله عنه - والذي كان له السبق في جميع القربات والصالحات ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله - ﷺ - : (من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر - رضي الله عنه – : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟

---

١ . طريق الهجرتين ص ١٧٩ .

قال أبو بكر - رضي ا عنه - : أنا ، قال : فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً ؟ : قال أبو بكر – رضي ا عنه - : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول ا - ﷺ - : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)[١] ، كما أن هذا الصنف الكريم هم أصحاب التعبد المطلق ، فليس لهم غرض في تعبد بعينه يؤثرونه على غيره ، بل غرضهم تتبع مرضاة ا تعالى أين كانت ، فيعملون على مرضاة الرب – سبحانه وتعالى - في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته .

هذا ما تيسر جمعه والاطلاع عليه من تلك المعالم و ا المستعان .

المبحث الثاني : موقف السلف إجمالاً من منهج المتصوفة في باب تزكية النفوس

كلام أهل التصوف عموماً ومنهم الغزالي في باب تزكية النفوس وتطهيرها من مهلكات الأخلاق والطباع ، يقوم على رياضة النفس وكسر شهواتها وقهر رغباتها ، فاستحدثوا لذلك طرقاً كثيرة ، كالأمر بالخلوة والعزلة ، والترغيب في السياحة وطول السهر والجوع المستمر ، إلى غير ذلك من الزهد الزائد عن حده ، حتى وصل إلى الزهد في شرب الماء أو اللبن أو نحوه وأمرهم بإهانة النفس وإذلالها ، والنوم في المزابل والتلذذ بالشتائم ، كل هذه الشطحات والمزالق الخطيرة كان للسلف الصالح أهل السنة والجماعة جهوداً كبيرة في بيان أخطائها وتوضيح خطرها وشرها على العقيدة وذلك من وجهين :

الوجه الأول : بيان أن طريق الولاية وأعظم الطاعة هو التمسك بالكتاب والسنة ، وأن من أراد حقيقة الإيمان ومنزلة الولاية فعليه باتباع النبي المصطفى - ﷺ - والتمسك بما كان عليه من هدي وما كان عليه أصحابه - رضي ا عنهم - .

يقول شيخ الإسلام – رحمه ا – : ((أما بعد : اعلم أنه يجب على كل بالغ عاقل من الإنس والجن أن يشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً رسول ا ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى با شهيداً ، أرسله إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم وعربهم وعجمهم وفرسهم وهندهم وبربرهم ورومهم وسائر أصناف

---

١ . أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر ، ص ٤١٤ ، ح ١٠٢٨ .

العجم أسودهم وأبيضهم ... فمحمد - ﷺ - أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة ، في عقائده وحقائقه وطرائقه وشرائعه ، فلا عقيدة إلا عقيدته ، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا طريقة إلا طريقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا يصل أحد من الخلق إلى ا وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته ظاهراً وباطناً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، في أقوال القلب وعقائده وأحوال القلب وحقائقه وأقوال اللسان وأعمال الجوارح وليس ولي إلا من إتبعه ظاهراً وباطناً ...))[1] فالعلم المطلوب والعمل المشروع مأخوذ عن الرسول - ﷺ - وعن أصحابه الذين تربوا على يديه وتعلموا الوحي منه ، فكانت عبادتهم خالصة ، وعلى وفق شريعته كاملة ، فطريقهم هو الطريق الصحيح والأصوب والأكمل ، فهو المنهاج الواضح المبين .

قال ابن تيمية – رحمه ا - : ((فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول ا - ﷺ - وأما من جاء بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلاً وإن كان صاحبه معذوراً بل مأجوراً لاجتهاده أو تقليده ... وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال الدينية على الإيمان والسنة والهدي الذي كان عليه محمد - ﷺ - وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة وهذه طريق أئمة الهدى))[2] .

وأئمة السلف قد بينوا أن الكلمات الصادرة من بعض العباد والزهاد ونحوهم لا تتخذ أصلاً وشرعاً لخطئها في نفسها أو في لوازمها وعواقبها فالرسول - ﷺ - أعظم الخلق وأنصحهم للخلق ، يقول شيخ الإسلام – رحمه ا - : ((وهذه الكلمات التي تصدر عن صاحب حال لم يفكر في لوازم أقواله ، وعواقبها لا تجعل طريقة ولا تتخذ سبيلاً ، ولكن قد يستدل بها على ما لصاحبها من الرضا والمحبة ونحو ذلك ، وما معه من التقصير في معرفة حقوق الطريقة وما يقدر عليه من التقوى والصبر ، وما لا يقدر عليه من التقوى والصبر ، والرسل – عليهم السلام -

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٣٠ .

٢ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٦٢ .

أعلم بطريق سبيل الله وأهدى وأنصح ، فمن خرج عن سنتهم وسبيلهم كان منقوصاً مخطئاً محروماً ، وإن لم يكن عاصياً أو فاسقاً أو كافراً)) .

وقد أوضح أهل السنة أن هذا الأمر متفق عليه في القرون الفاضلة ، وأن عليه كلام كثير من المشايخ الذين ينتسب لهم المتصوفة كالداراني والجنيد وغيرهم ، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((وهذا الذي ذكرناه من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، هو مما اتفق عليه أولياء الله – عز وجل - ومن خالف هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذي أمر الله بإتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً جاهلاً ، وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول أبي سليمان الداراني : " إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهد من الكتاب والسنة "[1] وقال أبو القاسم الجنيد – رحمه الله - : " علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا – أو قال – لا يقتدى به ... "[2] وقال أبو عثمان النيسابوري[3] : " من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ... "[4] وقال أبو عمر بن نجيد[5] : " كل وجه لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل "[6] .

---

١ . انظر السير ١٠ / ١٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢٥٦ ، وطبقات الصوفية ص٨١ .

٢ . أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠ / ٢٥٥ .

٣ . أبو عثمان النيسابوري : هو الإمام الشيخ المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي ، ولد سنة ٢٣٠هـ بالري ، وسمع محمد بن مقاتل وحميد بن الربيع ، وعنه أبو عمر بن مصر ، كان شديد التمسك بالسنة ويسمع ويدل العلماء ويعظمهم ، انظر السير ١٤ / ٦٢ ، والحلية ١٠ / ٢٤٤ .

٤ . انظر السير ١٤ / ٦٤ .

٥ . أبو عمر بن نجيد : هو الشيخ الإمام القدوة المحدث الرباني شيخ نيسابور أبو عمر إسماعيل بن نجيد بن الحافظ أحمد بن يوسف بن خالد السلمي النيسابوري الصوفي كبير الطائفة ومسند خراسان ، ولد سنة ٢٧٢هـ ، سمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعنه أبو عبد الله الحاكم وأبو عبد الرحمن السلمي ، توفي سنة ٣٦٥هـ وعمره ٩٣ سنة ، انظر المنتظم ٧ / ٨٤ ، والسير ١٦ / ١٤٦ ، وطبقات الصوفية ٤٥٤ .

٦ . انظر طبقات الصوفية ص ٤٥٤ ، والسير ١٦ / ١٦٤ .

وحكى النصرابادي[١] أنهم كانوا يقولون : " يدع علم الخرق ويأخذ علم الـورق ، قال : وكنت أستر ألواحي منهم فلما كبرت احتاجوا إلى علمي "[٢] ، وكـذلك حكـى السري السقطي[٣] : " أن واحداً منهم دخل عليه ، فلما رأى عنده محبرةً وقلماً خـرج ولم يقعد عنده "[٤] وقال سهل التستري[٥] : " يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق "[٦] لذا نجد أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم حتى الكتـاب فـلا يحبون الكتاب ولا من معه كتاب ولو كان مصحفاً أو حديثاً))[٧] .

الوجه الثاني : نقد السلف وردهم على منهج الصوفية في تزكية أخلاقهم ورياضـة نفوسهم وبيان مخالفتها للشرع والطبع فمن ذلك :

ردهم على الصوفية دعوتهم للخلوات والاقتصار على الذكر ، يقول شيخ الإسلام : ((وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه - ﷺ - بغار حراء قبل الوحي ، وهـذا خطأ فإنه فعله قبل النبوة أما بعد النبوة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة في مكـة ثـم رجع إليها في أربع عمرات وفي حجة الوداع ومع ذلك لم يقصد غار حراء للخلـوة والتحنث فيه ، أما من جعل الخلوة أربعين يومـاً ويعظمـون أمـر الأربعينيـة ، ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشـر وقـد روي أن موسى صامها وصام المسيح أيضاً أربعين لله تعالى وخوطب بعـدها ، فيقولـون :

---

١ . النصرابادي : هو الإمام المحدث القدوة الواعظ شيخ الصوفية أبو القاسم إبراهيم بن محمد بـن أحمـد بـن محمويه الخراساني النصرابادي النيسابوري ، ونصر آباذ : محلة من نيسابور ، سمع من ابـن خزيمـة وأبـي العباس السراج وعنه الحاكم وأبو عبد الرحمن السلمي ، توفي سنة ٣٦٧هـ ، انظر المنـتظم ٧ / ٨٩ ، والسـير ١٦ / ٢٦٣ ، وطبقات الصوفية ٤٨٤ .

٢ . انظر السير ١٦ / ٢٦٤ ، وطبقات الصوفية ص ٤٨٤ .

٣ . السري : هو السري بن المغلس السقطي الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي ، ولد سنة ٢٦٠هـ ، حدث عن الفضيل بن عياض وهشيم بن بشير وعنه الجنيد بن محمد والنوري أبو الحسـين وغيـرهم ، تـوفي ٢٥٣هـ ، انظر صفة الصفوة ٢ / ٢٠٩ ، وحلية الأولياء ١٠ / ١١٦ ، والسير ١٢ / ١٨٥ .

٤ . الحلية ١٠ / ١١٦ ، وصفة الصفوة ٢ / ٢٠٩ ، والسير ١٢ / ١٨٥ .

٥ . سهل التستري : هو سهل بن يونس التستري أبو محمد الصوفي الزاهد ، صحب خاله محمد بن سوار ولقي ولقي ذا النون المصري ، وعنه عمر بن واصب وأبو محمد الجريري ، توفي سنة ٢٧٣هـ وقيل ٢٨٣هـ ، وعاش ٨٠ أو أكثر ، انظر وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩ ، وحلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ ، والسير ١٣ / ٣٣٠ .

٦ . السير ١٠ / ١٨٣ .

٧ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٤١١ .

يحصل بعدها الخطاب والتنزل ، كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي ، وهذا أيضاً غلو فإن هذه ليست من شريعة محمد - ﷺ - ، بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون ، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد - ﷺ - فهذا تمسك بشرع منسوخ وذاك تمسك بما كان قبل النبوة ، وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين وحصل له تنزل شيطاني وخطاب شيطاني))[1] .

وقال – رحمه ا - : ((ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجنس العبادات المشروعة كالصلاة والصيام والذكر ، وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، فمن ذلك طريقة أبي حامد الغزالي ومن تبعه ، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظر في حديث نبوي ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر ثم قد يقولون ما يقوله أبو حامد : ذكر العامة " لا إله إلا ا " وذكر الخاصة " ا ا " وذكر خاصة الخاصة " هو هو " والذكر بالاسم المفرد مضمراً أو مظهراً بدعة في الشرع ، وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفراً))[2] .

وقال – رحمه ا - : ((وأما الاقتصار على الذكر المجرد الشرعي مثل قول : لا إله إلا ا ، فهذا قد ينتفع به الإنسان لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريقة إلى ا تعالى دون ما عداه ، بل أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم القراءة ثم الذكر ثم الدعاء والمفضول في وقته أفضل من الفاضل ، ثم قد يفتح عليه في العمل المفضول ما لا يفتح عليه في العمل الفاضل ، وقد ييسر عليه هذا دون هذا فيكون هذا أفضل في حقه لعجزه عن الأفضل))[3] .

وما يأمر به الصوفية من الجوع والسهر والصمت وكذلك الامتناع عن المباحات كالخبز واللحم ونحوها كل هذا بين السلف بطلانه ، يقول شيخ الإسلام : ((وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء فذلك من البدع المذمومة أيضاً ، كما يثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي ا عنه - أن النبي - ﷺ - رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال : (ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في

---

١ . الفتاوى ١٠ / ٣٩٣
٢ . الفتاوى ١٠ / ٣٩٦ ، وينظر أيضاً طريق الهجرتين ص٤٩٨ .
٣ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٠١ .

الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبـي - ﷺ - : (مـروه فلـيجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه)[1] ثم ذكر حديث الذين سألوا عن عبادة الرسول ثـم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنـام وقـال الثالث : أما أنا فلا آكل اللحم وقال آخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول ا - ﷺ - : (ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2] أي سلك غيرها خير منها ، فمن كان كذلك فهو بريء من ا ورسوله ، قال – عز وجل - : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقـرة : ١٣٠] ، بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام ا ، وخير الهدي هـدي محمـد - ﷺ - كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة))[3] .

وها هو ابن الجوزي في تلبيس إبليس يذكر شطحات الصوفية ، ومنهم الغزالـي فيقول : ((وإني لأتعجب من أبي حامد يأمر بهذه الأشياء التي تخـالف الشـريعة ، وكيف يحل القيام على الرأس طوال الليل فينعكس الدم ويورثه ذلك مرضاً شـديداً ، وكيف يحل رمي المال في البحر وقد نهى رسول ا ﷺ عن إضاعة المال ، وهـل يحل سب المسلم بلا سبب ، وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك – أي يسـتأجر رجلاً لسبه أمام الملأ – وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قـد سقط فيه الخطاب بأداء الحج ، وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف))[4] .

وقال ابن الجوزي - بعد ما ساق قصة عن أبي يزيد البسطامي أنه أمـر رجـلاً ليكسر جاه نفسه أن يحلق لحيته وشعره وأن يلبس عباءة ويعلق في عنقه مخلاةً فيها جوز ، ويجمع الصبيان ويقول لهم من يصفعني صفعة أعطيه جوزة ليسقط جاهـك وتذل نفسك - قال – رحمه ا - : ((ليس في شرعنا بحمد ا من هذا شيء بـل

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ٦ / ٢٤٦٥ ، ح ٦٤٢٦ .

٢ . أخرجه البخاري ٥ / ١٩٤٩ ح ٤٧٧٦ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . وأخرجه مسلم في كتـاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ح ١٤٠١ .

٣ . مجموع الفتاوى ١١ / ٢٠٠ .

٤ . تلبيس إبليس ص ٤٢٨ .

فيه تحريم ذلك ، والمنع منه ، وقد قال نبينا - ﷺ - : (ليس للمؤمن أن يذل نفسه)[1] ، ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين الـنقص فـي قصة الصلاة ، وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال - ﷺ - : (مـن أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله)[2] كل هذا للإبقاء على جاه الـنفس ، ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً ، فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدئ بما لا يرضاه الشرع فينفر))[3] .

وأما في ما يأمرون به من الزهد في الحلال وإضاعة المال والسياحة في الأرض وترك المال والأولاد ، فيقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القلب بما عند الله ، وليس الزهـد فـي الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد أن تكون بما في الله أوثق مما في يدك ، هذا صفة القلب ، أما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها علـى طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك ، كما قال الإمام أحمد : " إنمـا هـو طعام دون طعام ولباس دون لباس وصبر أيام قلائل " وجماع ذلك خلـق الرسـول - ﷺ - ، فهديه - ﷺ - خير الهدي ... فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فلـيس مما يحبه الله ورسوله ولا هو من دين الأنبياء بل قد قـال – سـبحانه وتعـالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] ، والإنفاق على العيـال والكسب لهم يكون واجباً تارة ومستحباً أخرى ، فكيف يكون ترك الواجب والمسـتحب من الدين ؟! وكذلك السياحة في البلاد لغير مقصود مشروع كما يعانيه بعض النسـاك أمر منهي عنه ، قال الإمام أحمد : " ليست السياحةُ من الإسلام في شيء ولا من فعل النبي ولا الصالحين ، والسياحة المذكورة في القرآن المراد بها الصيام أو الجهاد ""))[4]

---

١ . أخرجه الترمذي ٤ / ٥٣٢ ، ح ٢٢٥٤ ، من حديث حذيفة ، كتاب الفتن عن رسـول الله ﷺ ، بـاب ٦٧ ، وقال الترمذي حديث حسن غريب ، صححه الألباني في صحيح الجامع ، ح ٧٧٩٧ ، وأخرجه ابن ماجـه ٢ / ١٣٣٢ ، ح ٤٠١٦ ، كتاب الفتن ، باب قول الله تعالى : { يا أَيها الذين آمَنُواْ عليْكُم أَنفُسكُم } .

٢ . أخرجه الحاكم ٤ / ٢٧٢ ، ح ٧٦١٥ ، والبيهقي ٨ / ٣٢٦ ، ح ١٧٣٥٢ من حديث ابن عمر ، وصـححه الألباني في الجامع الصغير ، ح١٤٩ .

٣ . تلبيس إبليس ٤٢٢ – ٤٢٩ .

٤ . مجموع الفتاوى١٠ / ٦٤١

المبحث الثالث : المآخذ العامة على الغزالي في ربع المهلكات

قبل أن نبدأ في بيان المآخذ العقدية في ربع المهلكات لعلنا نشير إلى المآخذ العامة على الغزالي في ربع المهلكات ، في أسلوبه ، وطريقة استدلاله ، واستشهاده ، وما يدعو له من أفكار ، ولعلنا أن نوجزها فيما يلي :

١ ـ تفسيره لآيات القرآن بالتفسير الإشاري الصوفي :

لقد وصف الغزالي بأنه أول من صبغ التعاليم الصوفية بالصبغة الشرعية ، وحاول الاستدلال عليها بنصوص الكتاب والسنة[١] ، وهذا الأمر لا يتمكن منه الغزالي إلا بتفسير الآيات تفسيراً إشارياً صوفياً لا علاقة له بتفسير السلف ولا تقتضيه قواعد التفسير ، لذا نجد أن الغزالي يفسر بعض الآيات بتفسيرات غريبة ليؤيد بها ما يدعوا إليه من فكرة روحية أو منهج صوفي ، ومن أمثلة ذلك :

١ - قوله في تفسير قول الله تعالى عن الخليل - عليه السلام - : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، قال : وعنى بها - أي إبراهيم - هذين الحجرين الذهب والفضة ، إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة ، إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر ، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما[٢] .

فقلب الغزالي الآية من مدلولها الأعظم وهو الحرص على التوحيد والخوف من الشرك والدعاء بالاستعاذة منه إلى كونها تحذير من الدنيا والذهب والفضة ؟!! فترك الظاهر المقصود من الآية وذهب إلى تأويل بعيد غريب ، قال ابن الجوزي - رداً لهذا التفسير من الغزالي - : ((هذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب – عليه السلام – ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] ، ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا إنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر ،

---

١ . ينظر أبو حامد الغزالي والتصوف ، لعبد الرحمن دمشقية ص ٢٨٥، وسيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، لعبد الكريم عثمان ص ١٣ ، والحقيقة في نظر الغزالي ص ٥٢ .

٢ . الإحياء ٣ / ٣٠٠ .

فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال : (واجنبني وبني) ، ومعلوم أن العـرب أولاده ، وقد عبد أكثرهم الأصنام))[1] .

وأيضاً قال ابن جرير - رحمه ا - في تفسير هذه الآية : ((ومعنى ذلك أبعدني وبني من عبادة الأصنام ، والأصنام جمع صنم وهو التمثال المصور ، قال مجاهـد : فاستجاب ا لإبراهيم دعوته في ولده ، فلم يعبد أحداً من ولده صنماً بعـد دعوتـه ، والصنم : التمثال المصور ، ما لم يكن صنماً فهو وثن ، وكان إبراهيم التيمي يقول : من يأمن البلاء بعدك يا إبراهيم))[2] وبنحوه فسرها ابن كثير - رحمه ا - .

٢ - وفي أثناء كلامه عن تحقير الدنيا وأن طعامها يعود رجيعاً منتناً قال الغزالي : وقد قال ا عز وجل : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [عبسـى : ٢٤] ، قال ابن عباس : ((إلى رجيعة ...))[3] ، هذا الأثر عن ابن عباس لم أجده في كتب التفسير المعروفة .

وعموماً فالآية شاملة للإرشاد إلى التفكر في عظيم نعمة ا وقدرتـه فـي هـذا الطعام ، في بذره وإنزال الغيث وإخراجه زرعاً ، ثم استوائه على سوقه ، ثم ثماره ونفعه ، ثم تطييب طعمه واستساغة أكله ، ثم تيسير هضمه ، ومن ضمن ذلك التفكر في أخره ومآله ، فلماذا قصر الغزالي معنى الآية على آخر شيء فقط ؟ وهل هـذا إلا لأثر التصوف عليه ، فأما أهل التفسير فقد بينوا عموم هذه الآية ، يقـول ابـن جرير - رحمه ا - في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [عبسى : ٢٤] ، قال : فلينظر هذا الإنسان الكافر المنكر توحيد ا إلى طعامه كيـف دبـره ، قـال مجاهد : ((إلى مأكله ومشربه)) ونحوه قال ابن كثير[4] .

٣ - وهذا مثال يزيد من تعجبنا من الغزالي ، حيث قال - في معرض ذمة للنميمة - : ((قال عبد ا بن المبارك : الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث ، وأشار به إلـى

---

١ . انظر تلبيس إبليس ص ٤٠٥ .

٢ . ينظر تفسير ابن جرير ٧ / ٤٦٠ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٧١٢

٣ . الإحياء ٣ / ٢٧٧

٤ . ينظر تفسير ابن جرير ١٢ / ٤٤٨ ، وابن كثير ٤ / ٦٠٦

أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطاً من قوله - عز وجل - : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣]))[1] .

فأما تفسير ابن المبارك فلم أجد له أثراً في كتب التفسير ، ومع ذلك فهو موافق لتفسير السلف للآية أن الزنيم في الآية هو ولد الزنا أو الدعي ، ومن صفاته أيضاً أي الذي في الآية أنه لا يكتم الحديث[2] ، فلماذا قلب الغزالي المعنى وجعل من لم يكتم الحديث فهو ولد الزنا ، وهل هذا إلا قدح في الأعراض وطعن في الأنساب وإن ظنه الغزالي تنفيراً من النميمة وتحذيراً منها .

٤ - وأما المثال الرابع الذي لا يدع مجالاً للشك في محاولة الغزالي تأويل القرآن بحسب ما يدعوا إليه من المبادئ الصوفية ، قوله - في أثناء كلامه عن ضرورة كسر شهوة الفرج - : وقد قيل في تأويل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، معناه شدة الغُلمة ، وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق : ٣] ، قال : هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة إلى الرسول - ﷺ - إلا أنه قال في تفسيره الذكر إذا دخل[3] .

وهذا الكلام لا يوجد في كتب التفسير المعتبرة ، لذا قال العراقي في التخريج " هذا حديث لا أصل له " ، وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، بأنه شدة الغلمة ، فهو موجود قد حكاه ابن جرير في تفسيره ونقله ابن كثير من قول مكحول[4] ، والآية تفسر على عمومها كما هو ظاهر منها ، قال ابن كثير في تفسيرها ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا ﴾ أي : من التكاليف والمصائب والبلاء ولا تبتلني بما لا قبل لنا به .

---

١ . الإحياء ٣ / ١٩٨ .

٢ . سيأتي ذكر أقوال بعض المفسرين ، انظر ص ٢٥٦ من هذا البحث .

٣ . الإحياء ٣ / ١٢٩ .

٤ . ينظر تفسير ابن جرير ٢ / ١٥٤ ، وابن كثير ١ / ٤٥٥ ، وزاد المسير ١ / ٣٤٧ .

فقصرها على ما ذكر الغزالي قصور في فهمها ، وأما تفسير أئمة التفسـير لقولـه تعالى : ﴿ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قالوا أي : الليل إذا أقبل بظلامه ، أو القمـر أو الكوكـب والنجم ونحوها ، قال ابن جرير - رحمه ا - : وأولى الأقوال عندي بالصـواب أن ا أمر نبيه - ﷺ - أن يستعيذ من شر غاسق ، وهو الذي يظلم إذا دخل في ظلامه[1] .

وأيضاً فمن علم أن أهل التفسير من أئمة السلف قرروا أن التفسير يكون على أحوال :

١ - تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - تفسير القرآن بالسنة الصحيحة .

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

٤ - تفسير القرآن بما تقتضيه معاني اللغة[2] .

ثم نظر لتأويلات الغزالي الصوفية وتفسيراته الإشارية علم أنه قد خـالف بـذلك طريقة السلف في فهم معاني كلام ا سبحانه وتعالى .

٢ – أن بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة :

قال الغزالي واصفاً نفسه وعلمه بالحديث : ((بضاعتي في الحديث مزجـاة))[3] لذا فإن الناظر في كتابه الإحياء ، ليدرك فعلاً أن الغزالي نقل كل ما سمعه ، وكـل ما مر عليه من الأحاديث والآثار والقصص والحكايات ، دون تميز للصحيح منهـا والضعيف ، ودون التعليق عليها ، مع وجود بعضها يرده من له أدنى علم بقواعـد الشريعة وتعاليم الإسلام ، فأورد أحاديث موضوعة ومكذوبة تخالف الصحاح مـن الأحاديث ، وحشد من الآثار والحكايات والقصص ما لا يصدقه عقل أو تقبله الفطرة دون أي تعليق منه على شيء من ذلك ، لذا قال الطرطوشي ((... ثم شحن كتابـه

---

١ . ينظر تفسير ابن جرير ١٢ / ٧٤٨ ، وزاد المسير ٩ / ٢٧٠

٢ . ينظر تفسير ابن كثير ١ / ٥ ، وانظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام بشرح د . مساعد الطيـار ، ص٢٦٩ ، وأصول التفسير لابن عثيمين ص ٢٧ .

٣ . قانون التأويل ص ١٢ .

بالكذب على رسول الله - ﷺ - ، فلا أعلم كتاباً على وجه بسيط الأرض أكثر كذباً على الرسول - ﷺ - منه))[1] .

وقال ابن الجوزي ((وجاء أبو حامد فصنف لهم كتابه الأحياء .. وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها))[2] .

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - ((وأبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه ، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها))[3] .

وقال أيضاً : ((وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء - يعني السلف وأئمة الحديث - ولا تلقي عن هذه الطبقة ، ولا كان خبيراً بطريقة الصحابة والتابعين ، بل كان يقول عن نفسه أنا مزجى البضاعة في الحديث ، ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة والحكايات الموضوعة ما لا يعتمد عليه من له علم بالآثار ...))[4] .

بل جمع السبكي فصلاً في الأحاديث التي ليس لها إسناد في كتاب الإحياء فبلغت تسعمائة حديث[5] ، أما المسند الضعيف فهي أكثر وأكثر .

وقد حكم الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء على مئات الأحاديث بأنه لا أصل لها ولا وجود لها في الكتب المعروفة ، أما الأحاديث الضعيفة فهذه أكثر من ذلك بكثير ، وهذا بلا شك ليس تعمداً من الغزالي ، وإنما سببه قلة معرفته في الحديث ليميز صحيحه من سقيمه ، كما اعتذر له في ذلك شيخ الإسلام ، وإلا فالغزالي نفسه قد حذر من الكذب على رسول الله - ﷺ - وبين أنها كبيرة من الكبائر لا يقاومها شيء ، فقال : ((وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في

---

١ . سيرة أعلام النبلاء ٤٩٤/١٩ وتقدم .

٢ . تلبيس إبليس ص١٦٦ وتقدم .

٣ . درء تعارف العقل والنقل ٧ / ١٤٩ وتقدم .

٤ . الأصفهانية ١ / ١٦٥ .

٥ . طبقات الشافعية ٦ / ٢٨٧

فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي ، وزعموا أن القصد منه صـحيح وهـو خطأ محض ، إذ قال - ﷺ - : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النـار)[1] وهذا لا يرتكب إلى لضرورة ولا ضرورة ، إذ في الصدق مندوحة عـن الكـذب ، ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها ، وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه ، وما هو جديد فوقعه أعظم ، فهذا هوس ، إذ ليس هـذا مـن الأغراض التي تُقاوم محضور الكذب على رسول الله - ﷺ - وعلـى الله تعـالى ، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة ، فلا يقاوم خير هذا شره أصلاً ، والكذب على رسول الله - ﷺ - من الكبائر التي لا يقاومها شيء ، نسأل الله العفو عنّا وعن جميع المسلمين))[2] .

رحم الله الغزالي ، ليت هذا الكلام زاده حرصاً وتمحيصاً لما يورده في كتبه من الأحاديث ، لكن تساهله ونقله لكل ما يسمعه كان سبباً في وجـود هـذه الأحاديـث الموضوعة والضعيفة .

وإليك بعض الأحاديث الموضوعة والباطلة على سبيل المثال لا الحصر ، لـتعلم مدى تساهله ، وإلى أي درجة وصل به الحال من التساهل فـي إيـراد الأحاديـث الضعيفة ، مع أن النبي - ﷺ - قد حذر من ذلك فقال : (من كذب علـي متعمـداً فليتبوأ مقعده من النار) ومن ذلك :

١ - ما روى في ذم البخل : (أن رسول الله - ﷺ - كان يطوف بالبيـت ، فـإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي ، فقـال - ﷺ - : وما ذنبك صفه لي ؟ أهو أعظم أم الأرض ؟ أم الجبـال ؟ أم البحـار ؟ أم العرش ؟ قال : بل ذنبي أعظم يا رسول الله ، قال : فذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم ، فقال : فصف لي ذنبك ، فقال يا رسول الله : إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار ، فقال - ﷺ - : إليك عنـي لا تحرقني بنارك ... ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ...)[3] .

---

١ . أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، ١ / ٥٣ ، رقم ١٠٧ ، ومسلم في مقدمته ، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ١٠ ، رقم ٢

٢ . الإحياء ٣ / ١٧٩ .

٣ . الإحياء ٣ / ٣٢٥ .

قال الحافظ العراقي : الحديث بطوله باطل لا أصل له .

وفيه تقنيط للبخيل من رحمة ا ، ونسبه ذلك إلى رسول ا مع أنه لا يخفى على الغزالي الآية الجامعة : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

٢ - أجاب الغزالي على حديث موضوع أورده فقال : ((فإن قلت فقد روي في غريب الحديث أن رسول ا - ﷺ - قال : (شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة) فاعلم أنه - ﷺ - تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع ، وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن ، فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع))[١] .

فنظر ألهذا الحد صح عند الغزالي هذا الحديث الموضوع فاضطر إلى الإجابة عليه بما سبق ، مع أن العراقي قال : أخرجه العقيلي في الضعفاء والطبراني في الأوسط وهو موضوع .

ومع مخالفته لما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس – رضي ا عنه – قال : (كان النبي - ﷺ - يدور على نساءه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة ، قال قتادة : قلت لأنس أوكان يطيقه ؟ قال : كُنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين)[٢] .

٣ - أيضاً أورد الغزالي في ذم البخل قصة منع ثعلبة بن حاطب للزكاة ، وهي القصة المشتهرة عند الوعاظ ، قال عنها العراقي : أخرجها الطبراني بسند ضعيف[٣] وقد استقر عند المحققين من أهل العلم بطلان هذه القصة ، وأنها مكذوبة على الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب ، مع ما تضمنته من القدح في هذا الصحابي الجليل .

وقبل الختام فإليك نموذج واحد من تورع السلف عن الكذب على رسول ا - ﷺ - لتعلم مدى التجاوز الذي حصل عند الغزالي حتى أورد في كتاب واحد مئات الموضوعات وآلاف من الأحاديث الضعيفة ، ومع ذلك سماه أتباعه حجة الإسلام !!!!

---

١ . الإحياء ٣ / ١٣٠ .

٢ . اخرجه البخاري ، كتاب الغسل ، باب إذا جامع ثم عاد ، ومن دار على نساءه بغسل واحد ١ / ١٠٤ ، ح ٢٦٥ .

٣ . الإحياء ٣ / ٣٤٥ .

جاء عن الإمام مالك بن أنس يقول : ((أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخـذون دينكم ، لقد أدركت سبعين ممن يحدث قال فلان قال رسول ا - ﷺ - فما أخـذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت المال لكان أميناً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن))[1] .

٣ - إيراده للإسرائيليات :

مما يلحظ على الغزالي أنه يورد كثيراً من الإسرائيليات ، فأورد كثيراً من وصايا عيسى - عليه السلام - وكثيراً من الحكايات عن بني إسرائيل ، والمعروف عنـد أئمة السلف أنهم يقسمون الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما ورد في شرعنا ما يرده فهذا يرد .

الثاني : ما ورد في شرعنا ما يوافقه فهذا نقبله لأن شرعنا أقره .

الثالث : ما لم يرد في شرعنا ما يرده ولم يرد فيه ما يوافقه ، فهنا نحدث عن بنـي إسرائيل ولا حرج من باب الاستئناس والقصص لا من باب أخذ الأحكام والعقائد[2] .

يقول شيخ الإسلام : ((مع أن هذه الشريعة المحفوظة المحروسة ، ومـع هـذه الأمة المعصومة التي لا تجتمع على ضلالة ، ومع ذلك إذا حدث بعض التابعين عن النبي - ﷺ - كعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وأبي العالية ، مع أنهم خيـار علماء المسلمين في زمانهم ، وليس بينهم وبـين الرسـول - ﷺ - وصـحابته إلا سنوات قليلة ، ومع ذلك توقف أهل العلم في هذه المراسيل ، فمـنهم مـن ردهـا ، ومنهم من قبلها بشروط ، ومنهم من يميز بينها ، فكيف بعد ذلك يحتج البعض بما ورد عن بني إسرائيل وبيننا وبينهم آلاف السنين ، وقد ذمهم ا بالتحريف والتبديل))[3] .

أما الغزالي فأورد هذه الحكايات عن بني إسرائيل دون أي تعليق عليها ، سـواء وافقت أو خالفت فمن ذلك :

---

١ . التمهيد ١ / ٦٧ .

٢ . ينظر تفسير ابن كثير ١ / ٥

٣ . ينظر اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٤٣٨ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القـاهرة ، ط٢ ، ١٣٦٩هـ

١ – ما ذكره عن موسى : ((أن موسى - عليه السلام - كان جالساً في بعض مجالسه ، إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس فيه ألوان ، فلما دنا منه خلع البرنس ، فوضعه ثم أتاه وذكر أنه سأله عما يفتن به الإنسان ، فذكر منها لا تخلو بامرأة لا تحل لك ... القصة))[١] .

٢ - ذكر من وصايا أنبياء بني إسرائيل أن عيسى - عليه السلام - قال : ((إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة)) .

وقال داود لابنه : ((امش خلف الأسد والأسود ولا تمشي خلف المرأة)) ، وقيل ليحيى - عليه السلام - : ((ما بدء الزنا ؟ قال : النظر والتمني))[٢] .

٣ - وذكر أن عيسى - عليه السلام - : ((وضع رأسه على حجر ثم نام عليه ثم رماه لما تمثل له إبليس وقال : رغبت في الدنيا)) ، ومتى حرمت طيبات الدنيا حتى يحرم نبي الله عيسى على نفسه وساداً من الحجر ؟!! وذكر أن سليمان - عليه السلام - كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير)) .

أين إسناد الغزالي على هذا وأين هو من قوله - ﷺ - : (أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)[٣] .

٤ - وأما قصة داود وفتنته بالمرأة ، فقد كررها الغزالي في ثلاث مواضع من ربع المهلكات ، فنقل عن سعيد بن جبير أنه قال : إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة[٤] .

وذكر - في باب ذم العجب - أن داود قال لربه : يا رب إن ابتليتني صبرت ، فابتلي بالمرأة فوقع فيما وقع فيه ، ثم أورد القصة مرة أخرى وأنه سأل ربه أن يحيي له خصمه أوريا ليستحله ، فلما أقامه الله وأحياه ، ناداه داود فقال : لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد ؟ فقال : أني أسأت إليك في أمر فهبه لي ، قال فعلت ذلك يا نبي الله ، ثم أوحي إلى داود أن اذكر له إساءتك ، فأخبره بشأنه

---

١ . الإحياء ٣ / ١٢٩ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٣٢ .

٣ . أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، باب ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وحسنه قلت وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥ / ١٢٣ ، رقم ٢٨١٩

٤ . الإحياء ٣ / ١٣٢ .

وشأن المرأة فلم يجبه ، فقال : يا أوريا ألم تجبني ؟ قال : يا نبي ا ما هكذا يفعـل الأنبياء ، حتى أقف معك بين يدي ا ، فاستقبل داود البكاء والصراخ من الـرأس حتى وعده ا أن يستوهبه منه في الآخرة[1] .

وهذه القصة معلوم بطلانها سنداً ، أخرجها ابن أبي حاتم بسند ضعيف ، ومعلوم بطلانها متناً فهي تهمة لنبي ا داود ، فقد كان أواباً شاكراً منيباً ، وفيها قدح فـي الأنبياء وتنقص لمنزلتهم وإساءة للأدب معهم بقصة باطلة مكذوبة ، وإن كـان لهـا وجود في كتب التفسير ، لكن الصواب ضعفها ، قال ابن سعدي – رحمـه ا - : وهذا الذنب الذي صدر من داود - عليه السلام - لم يذكره ا لعدم الحاجـة إلـى ذكره فالتعرض له من باب التكلف وإنما الغاية ما قصة ا علينا من لطفه به وتوبته وإنابته ، وإنه ارتفع محله فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها[2] .

قال ابن كثير – رحمه ا - : قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذة مـن الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكـن روى ابـن أبي حاتم ها هنا حديثاً لا يصح سنده ، لأنه من رواية يزيد الرقاشـي عـن أنـس - رضي ا عنه - ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وإن يرد علمها إلـى ا - عـز وجل - فإن القرآن حقٌ وما تضمنه فهو حق أيضاً[3].

٥ - بل نقل الغزالي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال : ((تعلمت المعرفة من راهب ، وذكر قصة ذلك)) فأين الغزالي من غضبه - ﷺ - لما رأى عمر وبيده ورقة مـن التوراة فقال : ((أمتهوك[4] يا ابن الخطاب ...))[5] الحديث .

---

١ . الإحياء ٣ / ٥٠٨ .

٢ . تفسير ابن سعدي ص٦٧٩

٣ . تفسير ابن كثير ٣٤/٤ .

٤ . التهوك : التحير والتردد ، انظر لسان العرب ١٠ / ٥٠٨ ، مـادة هـوك ، وانظـر القـاموس المحـيط ص ١٣٣٧ .

٥ . أخرجه أحمد ٣ / ٣٨٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١ / ١٩٩ ، رقم ١٧٩ ، وحسنه الألباني فـي مشـكاة المصابيح ١ / ٣٨ ، رقم ١٧٧ ، وانظر الإحياء ٣ / ٤٢٤ .

قال شيخ الإسلام - رحمه ا - : ((ومن وجد من هذه الأمة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء به الرسول - ﷺ - فلضعف معرفته وإتباعه بما جاء به الرسول ، مثل كثير منهم من يقول أنه يحتاج إلى الإسرائليات وغيرها من أحوال أهـل الكتـاب ، وآخرون منهم من يقول إنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهنـد واليونـان وغيرهم من الأمم ، وآخرون يقولون إنهم محتاجون إلى ذوقهم وعقلهـم أو رأيهـم بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ، ولا تجد من يقول : إنه محتاج إلى غيـر آثـار الرسول - ﷺ - إلا من هو ضعيف المعرفة والإتباع لآثاره ، وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين ، وأغناه ا بالنور الذي بعـث به محمد - ﷺ - عما سواه)[1] .

٤ - تناقض نقولاته مع تقريراته :

عند استعراض كلام الغزالي في ربع المهلكات ، لاحظت تناقضاً بـين نقـولات الغزالي وما يحكيه عن العباد والزهاد وبين تقريراته واختياراته ، فهو يحشد عـدداً كبيراً من قصص العباد والزهاد بما يكون فيها من غلو وتكلف ، وبما يكون فيها من شذوذ أو نكارة دون أي تعليق واستنكار لها ، مما يحمل القارئ علـى الظـن بـأن الغزالي يدعو لهذه الشذوذات وهذا الغلو والتكلف ، ثم يفاجأ في آخر المبحث أو بعده أن الغزالي يقرر التوسط في هذا الأمر ولزوم السنة فيه ، وإنما قصـد بالمبالغـات السابقة ترويض النفس وردها إلى الطرف الثاني ، ثم يرجع بهـا بعـد ذلـك إلـى الاعتدال ، وكأنه يرى أن دعوة النفس للاعتدال في هذه الأمور لا يحصل إلا بشـدة تنفيرها عنه إلى درجة كبيرة ، ثم إذا ارتاضت على ذلك سهل عليها الاعتدال بعد ذلك ، ولكن من نظر إلى صراحة دعوة الكتاب والسنة إلى التوسط والاعتدال مباشـرة ، وعدم استعمالها لأسلوب الغزالي ، عرف أن هذا من أخطائه ومن اجتهاداته المردودة عليه ، فليس في نصوص الكتاب والسنة نصوص تنفر وتغلظ ثم يأتي بعدها نصوص تدعو للوسطية والاعتدال ، بل جاءت النصوص تخاطب جميع فئات الناس بالوسطية والاعتدال يقول تعالى في المأكل والمشرب : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ﴾ [الأعراف : ٣١]

---

١ . ينظر الصفدية لشيخ الإسلام ١ / ٣٦٠ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، جامعة الإمام

وقال في النكاح : ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء ﴾ [النساء : ٣] ، وقال في الزينـة : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقال : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وقال سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] ، وقال في النفقة : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] ، وأدلة الكتاب والسنة كثير في الدعوة إلى الوسطية ومراعاة الفطرة البشـرية ، ومـن أمثلـة مـا وقـع فيه الغزالي :

١ - ذكر الغزالي - في كتاب كسر شهوة البطن - الحث على الجـوع وأورد عـدداً كبيراً من أخبار العباد والزهاد ، وأن منهم من بقي ثلاثة أيام ، بل بعضهم إلى ثلاثـين يوماً ، أو أربعين يوماً بل نسب ذلك لبعض الصحابة كأبي بكر الصديق وعبد ا   بـن الزبير - رضي ا   عنهم - وذكر أن ذلك سبب للمكاشفة بالأسرار الإلهية ، بـل إن بعض العباد أسلم على يديه راهب لأنه طوى ستين يوماً ، فتجاوز بذلك المسيح - عليه السلام - الذي لم يطوِ إلا أربعين يوماً ، فلما رأى ذلك كان ذلك سبباً لإسلامه[1] .

وذكر أن منهم من منع نفسه اللبن أربعين عاماً ، ومنهم من منع نفسـه الرطـب خمسين سنة ، وهكذا يسترسل الغزالي في كلامه - في أكثر من ست صـفحات - في بيان أحوال العباد ، وقوتهم وصبرهم عن ملاذ الدنيا ، ثم بعدها يقول : ((اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط ، إذ خير الأمور أوسـطها ... وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات ، ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهـل إلـى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ... فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهـي للغايـة ... فـإذا

١ . الإحياء ٣ / ١١٧ - ١١٩ .

عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحـس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع))[1] .

٢ - ذكر الغزالي أن القلب هو المقصـود بالعبـادة ، فهـو المعاقـب والمعاتـب والمطالب[2] فهذا كلام قد يفهم منه أن المقصود من العبادات المعرفة القلبية ، ومن ثم يشطح الجهلة ويتركوا العبادات ظناً منهم أن مقصودهم حصل لهـم وأن المعرفـة القلبية قد تمت عندهم ، ثم في آخر الكتاب بين طوائف الناس في تعاملهم مع الـدنيا وانتقد أحدها بقوله : ((وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصـل العبد إلى معرفة الله تعالى ، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل ، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحلية ، فتركوا السعي والعبادة ، وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف ، وإنما التكاليف على عوام الخلق))[3] .

٣ - وعند كلامه عن آفة الضحك والمزاح ، أورد أن الضحك يميت القلب ويورث الضغينة ويسقط الوقار ، ثم ذكر أن أحد السلف ما رؤى ضاحكاً حتى مات ، وذكر أن الحسن البصري بقي ثلاثين سنة لم يضحك ، وقيل أقام عطاء السلُيمي[4] أربعـين سنة لم يضحك ، وهكذا تتوارد هذه الأخبار لتنادي سامعيها وقارئيها إلـى التحفـز لهجر الضحك السنوات الطويلة ، ثم يقرر أن الرسول - ﷺ - كـان لا يمـزح إلا بحق ، فإن استطعت على أن لا تمزح إلا بحق ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الندور فلا حرج عليك فيه[5] .

ثم في كلامه عن الغرور عند بعض العلماء والعباد وأن منهم من يصـعر خـده للناس وبعض العباد يرى العبوس في وجهه ويقطب جبينه قـال : ((ولـيس يعلـم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعـبس .. إنمـا

---

١ . الإحياء ٣ / ١٢٤ - ١٢٥ - ٢٩٣ .

٢ . الإحياء ٣ / ٤ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٩٤ .

٤ . عطاء السليمي : هو عطاء السليمي البصري العابد ، من صغار التابعين ، أدرك أنس بـن مالـك وسـمع الحسن البصري ، وكان كثير الخوف والبكاء ، مات بعد أربعين ومائة من الهجرة ، انظـر السـير ٦ / ٨٦ ، والحلية ٦ / ٢١٥ .

٥ . الإحياء ٣ / ١٦٦ .

الورع في القلوب قال رسول ا - ﷺ - : (التقوى ها هنا وأشار إلى صدره)[1] ، فقد كان رسول ا - ﷺ - أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقاً وأكثرهم بشـراً وتبسماً وانبساطاً ، ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول ا - ﷺ - : ((يعجبني من القراء كل طليق مضحاك ، فأما الذي تلقاه ببشر ويلقـاك بعبـوس ، يمن عليك بعلمه فلا كثر ا في المسلمين مثله ، ولو كان ا سبحانه وتعالى يرضـى ذلك لما قال لنبيه - ﷺ - : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥]))[2]

فكيف يورد الغزالي كل هذا الحث في ترك الضحك ، حتى إذا استجاب له العباد والعلماء ، ولازموا العبوس والحزن ، قال لهم بعد ذلك إن هذا غرور ، فالورع في القلب والرسول - ﷺ - أكثر انبساطاً وبشراً وأحسن خلقاً ، فأي تناقض أوضح من هذا الذي فعله الغزالي .

٤ - وبعد أن أثنى على السياحة في الأرض بغير زاد وذكر ذلك عن بعض العباد[3] رجع مرة أخرى يقرر أن التوكل لا ينافي فعل الأسباب فقال : ((فإن أخذ التـرس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول ا - ﷺ - ... وقـد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسـباب بالكلية ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، لا يناقض امتثال التوكل))[4] ، وقال : ((وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكـل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لـم تُنقل عن السلف والصحابة ، وقد كانوا أعرف بالتوكل منه ، فما فهموا أن التوكـل

---

١ . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ٤ / ١٩٨٦ ، ح ٢٥٤٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسـلم وخذله واحتقاره .

٢ . الإحياء ٣ / ٤٤٥ .

٣ . الإحياء ٣ / ٩٧ .

٤ . الإحياء ٣ / ٤٠١

المخاطرة بالروح وترك الزاد ، بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد ، وهذا ربما ترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به))[1] .

٥ - وبعد أن حشد الغزالي قصصاً كثيرة عن العباد وتكلفاتهم لكسر كبر النفس وعزتها ، وتعويدها على التواضع ، حتى زاد الأمر بأحدهم فاستأجر من يشتمه على الملأ ، وآخر سرق ثياباً من الحمام ليسمى لص الحمام ، وآخر اشترى لحماً فأبت نفسه حمله في السوق فجعله في عنقه ومشى به في السوق ، كل هذه الحكايات تفيد أن الإنسان يتكلف التواضع ولو وصل به الحال إلى المذلة والإهانة[2] .

ثم يأتي بعد ذلك في بيان التواضع ويقول : ((اعلم أن هذا الخلق - التواضع - كسائر الأخلاق له طرفان ووسط ، فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسساً ، أي من الخسة ، والوسط يسمى تواضعاً ، والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها ..))[3] .

فكيف يذكر الغزالي - في رياضة النفس وكسر عزتها - قصصاً تفيد مدح إهانة النفس وإذلالها ، ثم يأتي في آخر الكتاب يبين أن التواضع يكون بلا مذلة ولا خسة .

فمثل هذه التناقضات بين ما يحكيه عن العباد والزهاد في معرض الثناء عليهم وانتصارهم على أنفسهم وتهذيبهم لأخلاقهم ورياضة طباعهم ، يعاكس ما يقرره بعد ذلك من معنى التواضع عنده ، أو معنى التوكل عنده ، أو ضابط الجوع عنده ، وهو في هذه التقريرات يوافق ما دل عليه الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، لكن فيما يورد من أخبار العباد والزهاد دون تعقب لها وتعليق عليها وانتقاد لها يجعل من هذا مآخذاً على الغزالي في كتابه يستدعي التوقف عنده ومناقشته .

٥ - إيراد الغرائب من القصص والروايات دون التعليق عليها:

يوجد في ربع المهلكات عدد كبيراً من الآثار الغريبة والحكايات المستغربة ، ومع غرابتها لا نجد عليها أي تعليق من الغزالي ، مع أنه من عادة أهل العلم إذا أوردوا

---

١ .الإحياء ٣ / ٥١٥

٢ . أنظر الأحياء ٣ / ٨١ – ٣٦٧ .

٣ . الإحياء ٣ / ٤٦٧

مثل ذلك أن يعلقوا عليها ، ويبينوا حال هذه القصص والروايات الغريبة ، حماية لكتبهم ، وإبراء لذمتهم ، وسلامة لعهدتهم ، أما الغزالي فإنه لم يفعل شيئاً من ذلك ومن الأمثلة على ذلك :

١ - أنه أورد أن عائشة كانت تتمنى الشر لعثمان وتحسده - ذكر ذلك أثناء كلامه عن أن من عقوبة الحاسد أنه يبتلى بما يشتهيه لعدوه - حتى قالت عائشة - رضي الله عنها - : ((ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد .... الخ))[1] .

فالقارئ يستغرب كيف تكون عائشة تقاتل لأجل المطالبة بدم عثمان ، ومع ذلك يورد الغزالي أنها تحسده وتتمنى له الشر بدون إسناد أو تعليق على هذا الأثر ، مع أن هذا الأثر لم أجد له أصلاً في الكتب المعروفة .

٢ - أورد في ذمه للدنيا قول أبي هريرة – رضي الله عنه - : ((الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها : يا رب يا رب لم تبغضني ؟ فيقول لها : اسكتي يا لاشيء))[2] .

ومع ذلك لم يذكر لهذا الأثر إسناداً ولم أجد له أصلاً ، ولم يعلق عليه الغزالي بتوضيح معناه .

٣ - وأورد في ذم الدنيا عن الفضيل أنه قال : ((بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب .. عجوزاً شمطاء زرقاء عمشاء قال : فقلت أعوذ بالله منك ؟ قالت : لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم ؟ قال فقلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا))[3] .

فليس لهذا الأثر دليل من كتاب الله ولا من السنة ، ومن أين لهم القول بعروج أرواح الأحياء ولم يذكر عليها الغزالي أي تعليق أو توضيح .

٤ - ذكر في باب الرياء أثراً عن ابن المبارك أنه قال : ((إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له : وكيف ذلك قال : يحب أن لا يذكر أنه مجاور بمكة))[4]

---

١ . الإحياء ٣ / ٢٥٤

٢ .الإحياء ٣ / ٢٦٨

٣ . الإحياء ٣ / ٢٧٥

٤ . الإحياء ٣ / ٣٧٨

وهذا نص ما تزعمه المتصوفة في أوليائهم ومشايخهم أن أحدهم ليطوف بالبيت ويصلي فيه الصلوات الخمس ويحضر الحج ، ثم يرجع في يومه وهذه مع غرابتها وفسادها ونكارتها إلا أن الغزالي يذكرها ويحكيها دون تعقب لها باستنكار أو إبطال ، ودون تعليق عليها أو توضيح .

عموماً لا تكاد تخلو صفحة من صفحات ربع المهلكات من عجائب وغرائب القصص ، والآثار والحكايات ، حتى يشعر القارئ باستخفاف بعقله وثوابته الشرعية ، وما حمل الغزالي على ذلك إلا لأنه ألغى - حين توجه للطريقة الصوفية - كل موازين العلم والفقه ، خاصة ما يحكي عن العباد والزهاد فإنه يوردها دون نظر وتدقيق .

يقول الدكتور القرضاوي : ((كان دخول الغزالي إلى التصوف دخول المحب العاشق لا دخول الفاحص الناقد ، فلم ينظر إلى علوم الصوفية وتراثهم بعين النقد التي نظر بها إلى علوم الفلاسفة والمتكلمين والباطنيين ، بل بعين الرضا والحب ، والحب يعمي ويصم ... وسر هذا أنه تعامل مع التصوف بقلبه قبل عقله ، وبذوقه قبل فقهه ، وهذا ما جعله يقبل أشياء مما يُأخذ على القوم في الفكر وفي السلوك دون أن يعرضها على قانون الفقه أو منطق العقل))[1] .

والعجب ليس من الغزالي لكنه من جمهوره المنتشرين في كثير من بلدان المسلمين ، كيف لم توقفهم هذه الغرائب وهذه الأحاديث الموضوعة وهذه الحكايات الباطلة سنداً ومتناً وعقلاً وهل ذلك إلا لتقديسهم للغزالي ، وقبولهم كل ما جاء به دون عرضه على كتاب ا وسنة رسوله - ﷺ - ومنهج السلف الصالح رضوان ا عليهم أجمعين .

٦ - استشهاده بالمنامات :

من مصادر التلقي عند الصوفية المنامات ، حتى إنهم عقدوا لها أبواباً في كتبهم[2] ، ويعتبرونها نوعاً من الوحي والإلهام ، وبهم تأثر الغزالي فأورد في كتابه الإحياء كثيراً من المنامات مستشهداً ببعضها على كرامات الصالحين وتقديس الأولياء

---

١ . انظر الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، الدكتور . يوسف القرضاوي ، ص ٢٢ .

٢ . انظر الرسالة ص ١٧٥ ، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٨١ .

والعباد ، والمنامات عند أهل السنة لا يبنون عليها أحكاماً عقائدية ولا أحكاماً فقهية ، وإنما هي عندهم مما يستأنس به ، وهي عندهم أيضاً من المبشرات .

ومن المنامات التي ذكرها الغزالي في كتابه الإحياء :

١ - ذكر مناماً غريباً عن إبراهيم بن أدهم وأنه منع نفسه من أكل السكباج[1] ثلاثين سنة ، فبينما هو جالس إذ غلبه النعاس فرأى في المنام الخضر ومعه قدح وفيه سكباج فالقمه السكباج بيديه ، فقام وحلاوته في فمه ، ثم قال له شقيق بن إبراهيم أرني كفك ثم قبلها ودعا الله وقال : بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه جد على عبدك المسكين[2] .

وهذا المنام أورده مدحاً لمن منع نفسه من المباحات وحرم عليها الطيبات ، وما ذاك بأمر يمدح ، وقد جعل الله ذلك سبباً لعقوبة اليهود فقال سبحانه : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وامتدح نبيه - ﷺ - بقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧] .

وفي آخرها استغاثة ودعاء بجاه الصالحين وبقدر أكفهم ، وهذا أمر مخالف ومن أنواع التوسل الممنوع وسيأتي تفصيل الجواب عنه في مكانه .

٢ – وفي أثناء كلامه عن العفة ذكر : ((أن سليمان بن يسار - رحمه الله - كان حسن الوجه فدخلت عليه امرأة فامتنع منها وهرب ، ثم لما نام رأى يوسف - عليه السلام - فقال له : أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم)) ثم ذكر مناماً مشابهاً له[3] .

---

١ . السكباج : بكسر السين ، معرب عن سركه باجه ، كلمة فارسية ، معناها لحم يطبخ بالخل ، انظر تاج العروس ٣ / ٤٠٤ ، فصل السين ، كلمة سكباج .

٢ . الإحياء ٣ / ١٢١ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٦٣ .

وهذا المنام يفضي إلى تفضيل سليمان بن يسار على يوسف نبـي ا - عليـه السلام - وهكذا تورد المنامات دليلاً على الكرامات وتفضيلاً للعباد على الأنبيـاء ، فأين الغزالي عن تعقبها والتعليق عليها أم أنه راضٍ بها ومعتد بهـا وبمـا تحويـه من معاني ؟؟!! .

٣ – ومما ذكره في حكايات الأسخياء : ((أن قوماً من العرب جاءوا إلى قبـر بعـض أسخيائهم للزيارة ، فنزلوا عند قبره وباتوا عنده ، فرآه أحدهم في المنام فقال له : هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي وكان للسخي نجيب معروف به ، فلما وافق الرجل النائم علـى ذلك ، قام هذا السخي إلى البعير ونحره ، فقام الرجل فإذا الدم يثج من بعيره ...))[١] .

وفي هذه الرؤيا مآخذ وغرائب لماذا نزلوا عند القبر ؟ هل هو للاعتقاد فيـه أو التبرك به ؟ ثم إن البيع تم بينهم وهو نائم ؟! ثم من نحر البعير أهو الميـت ؟ أم ملك ؟ أم شيطان ؟ ومع هذه الإشكالات إلا أن الغزالي يوردها ويقصـها دون أي تعليق أو تعقب ، فما أعجب هذا من الغزالي .

٧ - دعوته للمبادئ الصوفية :

ألف الغزالي كتابه إحياء علوم الدين نصرة للطريقة الصوفية ودعوة إلى مبادئها ، والخطير في الأمر أنه صبغ ذلك بكساء الشريعة ، وحاول تأويل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بما يسند به المبادئ الصوفية ، ولقد كان لربع المهلكـات الحـظ الأكبر من ذكر المبادئ الصوفية ، لأن ربع المهلكات عنده يـدور حـول رياضـة النفوس وتهذيب الأخلاق والتزهيد في الدنيا ، وهذه هي الأمور التي يدندن حولهـا أئمة الصوفية ومشايخ الطرق .

فعقد كتاباً في رياضة النفوس وذكر فيه نماذج من تعذيبهم لأنفسهم وإهانتهم لها ، ثم عقد فصلاً في بيان صحة طريق الكشف ودلائل صحته ، وأفاض في الاسـتدلال عليه وذكر نماذج لمكاشفات الأولياء والزهاد وإخبارهم عما في الضمائر وتفرساتهم في الأشخاص .

---

١ . الإحياء ٣ / ٣١٨ .

وأيضاً ذكر كثيراً من مخالفات المتصوفة ، وتكليفهم للنفس بما لا يطاق كالجوع أياماً وأشهراً ، وحرمان أنفسهم من الطيبات ، والسهر والصوم والسياحة ، وتضييع الأموال ورميها في البحر .

بل تلحظ أن الألفاظ الدارجة عند الصوفية منتشره في كتاب الإحياء وخاصة ربع المهلكات ، كلفظ المريد والأبدال والوجد والسـماع والأوتـاد والغنـاء والحضـرة الربوبية ونحو ذلك .

ولنستمع إلى الدكتور عبد الرحمن دمشقية - وهو يصف الغزالي وكتابـه الإحيـاء وعلاقتهما بالتصوف - فيقول : ((ولعلك تعجب حيث تراه وهو يثني عليهم ثناء يتخيل معه أنهم هم الطائفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، كقوله : إني علمت يقينـاً أن الصوفية هم السابقون لطريق ا تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكمـاء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسـكناتهم فـي ظـاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به)) [1] ، بينما يعترف بأن في التصوف ميلاً عن أكثر ظواهر الشرع[2] .

وما أن بدأ بالتكلم عن بداية سلوك التصوف وأحوال الصوفية ، حتى كان ذلـك بداية عجائبه وميله عن كثير من الأمور الشرعية[3] .

وقال أيضاً : ((ولذلك فإن أبا بكر بن العربي قد صرح وهـو ممـن يعرفـون الغزالي جيداً ، بأن أبا حامد كان تاجاً في همة الليالي ، وعقداً في لبة المعالي ، حتى أوغل في التصوف ، وأكثر معهم التصرف ، فخرج على الحقيقة ، وخرج في أكثر أحواله عن الطريقة ، وجاء بألفاظ لا تطاق ومعانٍ ليس لها مع الشريعة انتظـام ولا اتساق ، فكان علماء بغداد يقولون لقد أصابت الإسلام فيه عين))[4] .

---

١ . المنقذ من الضلال ٤٩ ـ ٥٠ .

٢ . ميزان العمل ١٠١ .

٣ . أبو حامد الغزالي والتصوف ، د. عبد الرحمن دمشقية ص١٥٠ وما بعدها ، دار طيبة للنشر ط٢ ، ١٤٠ﻫ .

٤ . المرجع السابق ، وانظر العواصم من القواصم ٧٨ ، ٧٩ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه ا - : ((وقد اعتـرف الغزالـي بـأن طريق الصوفية هو الغاية ، لأنهم يطهرون قلوبهم مما سوى ا ويملئونه بذكر ا ، وهذا مبدأ دعوة الرسل ، لكن الصوفي الذي ليس معه الآثار النبوية مفصلة يسـتفيد بها إيماناً مجملاً بخلاف أصحاب الآثار النبوية ، فإن المعرفة عنده مفصلة))[١] ثـم وضح شيخ الإسلام فقال : ((لكن هو - أي الغزالي - لم يعرف طريقة أهل السنة والحديث من العارفين ، فلهذا لم يذكرها وهي الطريقة المحمدية المحضة الشـاهدة على جميع الطرق))[٢] .

وهكذا لم يزل الغزالي يشيد بالطريقة الصوفية ويستشهد بأحوال رجالها ومشائخها ، ولو عارضت هذه الأحوال الكتاب والسنة ، أو العقل والفطرة يصدق فيه قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدئ المساوئ[٣]

المساوئ[٣]

يقول الدكتور القرضاوي : ((ومن عرف كيف كان التصوف قبل الغزالـي ثـم كيف صار بعده ، عرف فضل الغزالي على التصوف وأهله ...))[٤] .

٨ - اعتماده على أحوال العباد وتقديمها على الأحاديث النبوية :

اعتماد الغزالي على الأحاديث الموضوعة كان سببه أن بضاعته فـي الحـديث مزجاة ، ولكن المحزن في الأمر أن يقدم على صحاح الأحاديـث أحـوال العبـاد

---

١ . مجموع الفتاوى ٢ / ٢٤ .

٢ . مجموع الفتاوي ٥٦/٢ ـ ٥٧

٣ . انظر العقد الفريد ٢ / ١٨١ ، والكامل في الأدب ١ / ١١١ ، وتنسب لعبد ا بن معاوية بن عبـد ا بـن جعفر الطالبي ، ومن أبياتها :

وأنت أخي ما لم تكن لـي حاجـةٌ فإن عرضت أيقنت ألا أخا ليـا
فلا زاد ما بينـي وبينـك بعـدما بلوتك في الحاجـات إلا تماديـا
كلانا غنـي عـن أخيـه حياتـه ونحـن إذا متنـا أشـد تغانيـا
فلست براء عيب ذي الـود كلـه ولا بعض ما فيه إذا كان راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلـة ولكن عين السخط تبدي المساويا

٤ . الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ص ١٣٦ .

ويفضلها عليها وينقل من قصص الأولياء ووصاياهم ما يجعلونه أفضل للسـالك مـن مئات الأحاديث ولا حول ولا قوة إلا با   ثم لا ينكر ذلك ولا يتعقبه ، ومن أمثلة ذلك :

١ - أنه ذكر في بداية علاج الحرص والطمع ما يلي : ((وقال عبد ا   بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء إذ وعوها وعقلوها ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج ، وقال رجل للفضيل : فسر لي قول كعب قال : يطمع الرجل في شيء يطلبـه فيذهب عليه دينه ، وأما الشره فشره النفس في هذا حتى لا تحـب أن يفوقهـا شـيء ، ويكون لك إلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خزم أنفك ، وقادك حيث شاء ، واستمكن منك ، وخضعت له ... ثم قال : هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان ؟؟؟؟))[١] .

وهذه الوصية وأن كانت عظيمة لكن لماذا يحكي الغزالي تقديمها علـى حـديث رسول ا   - ﷺ - وهل هي إلا مستمدة من حديث رسول ا   - ﷺ - ووصـاياه ، وليتهم قدموها على حديث واحد ، بل قدموها على مائة حديث !! فهذا الأثر يـوحي للعامة بل لكل قارئي أن مئات الأحاديث يمكن الاستغناء عنهـا بوصـايا العلمـاء والعباد والزهاد .

فإذا كان القرآن وهو القرآن لا يغني عن السـنة والحـديث ، فكيـف يحكـي الغزالي أن بعض الوصايا يغني عن مئات الأحاديث ، جاء عنه - ﷺ - أنه قال : (لألفين أحداً منكم متكئاً على أريكته يقول : بيني وبينكم كتاب ا   ... ألا إنمـا أوتيت القرآن ومثله معه)[٢] .

٢ - وامتدح الغزالي من يتصدق بماله كله ولا يترك شيئاً لولـده ، فقـال : ((إن محمد بن كعب القرظي أصاب مالاً فتصدق بماله كله ، فقيل له : لو أدخرته لولدك من بعدك ؟ قال : لا ولكن ادخرته لنفسي عند ربي وادخر ربي لولـدي)) وهـذا الأمر مخالف لوصية النبي - ﷺ - لسعد بن أبي وقاص - رضي ا   عنه - حيث قال : يا رسول ا   أنا رجل ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي صغيرة أفأتصدق بثلثي مـالي ؟

---

١ .الإحياء ٣ / ٣٠٧ .

٢ . أخرجه أبو داود ٢ / ٦١٠ ، ح ٤٦٠٤ ، والترمذي ٥ / ٣٨ ، ح ٢٦٦٤ ، وصححه الألباني فـي مشـكاة المصابيح ١ / ٣٥ ، ح ١٦٣ .

قال : لا ، قال : فالشطر ؟ قال : لا ، قال : فالثلث قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس))[1] .

بل قال ابن عباس - رضي الله عنه - : ((لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي - ﷺ - قال : الثلث كثير))[2] .

فيا ليت أن الغزالي إذا أورد مثل هذه المخالفات لوصايا النبي - ﷺ - وأحاديثه تعقبها ببيان ضعفها ، أو الاعتذار لأصحابها والرد عليهم ، لكن الغزالي يوردها مستدلاً بها ومستشهداً بها ومادحاً لأهلها ، مع وضوح مخالفتها لحديث النبي - ﷺ - ، فمنذ متى كان الميزان أحوال العباد وأخبارهم ووصاياهم ومنذ متى كانت أحوال العباد حاكمة على الكتاب والسنة .

٩ - تأثره بالفلسفة وعلم الكلام :

لقد كان للمدرسة الفلسفية والكلامية أثرهما الواضح على الغزالي ، حتى وبعد أن تركهما واختار لنفسه الطريقة الصوفية ، والمتصفح لكتابه إحياء علوم الدين وخاصة ربع المهلكات ، يجد مباحث وتقريرات مستمدة من المدارس الفلسفية والكلامية ، ومن ذلك :

ذكر الغزالي مسألة الجوهر والعرض[3] وهي من أصول الفلاسفة ، ثم راجت عند أهل الكلام ، وفي تقريره للنبوة وأن مشكاة النبوة ومشكاة الولاية[4] متقاربة ، وهذا من أثر الفلسفة عليه ، والتي يقرر أصحابها أن النبوة مكتسبة يحصل عليها من تحققت فيه صفاتها

وفي تقرير علوم الكشف والإلهام ذكر عالم الملك والملكوت والحضرة الربوبية ، وهي ألفاظ متكررة عند الفلاسفة ، وكذلك تقريره أن الله يعشق[5] ، كان تابعاً في ذلك للفلاسفة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[6] .

---

١ . الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففون الناس ، حديث ٢٧٤٢ ، ومسلم ، باب الوصية بالثلث ، رقم ١٦٢٨ .

٢ . أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث ٣ / ١٢٥٣ ، ح ١٦٢٩ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٣

٤ . الإحياء ٣ / ٢٧

٥ . الإحياء ٣ / ١٠٠

٦ . انظر مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٩٧ .

أما في تقريره لمسألة الإيمان[1] وتقسيمه أهله إلى مراتب ، عوام ، وأهل الكـلام وهم أهل النظر والاستدلال ، والخواص أهل العلوم الكشفية الإلهامية ، كـان ذلـك لتأثره بقول أهل الكلام أن أول واجب هو النظر والاستدلال .

وأما ما ذكره في صفات الله تعالى وتأويله لصفة الأصابع[2] ، ومـا عقـده مـن فصول لتحذير العوام من الخوض في صفات الله وعدم تكلف معرفة معانيها[3] ، فهو الأمر الذي روجه علماء الكلام على العوام حتى لا يلتفتوا لتـأويلاتهم الفاسـدة ولا ينتبهوا لتحريفاتهم لنصوص الكتاب والسنة .

ومن تأثر الغزالي بالفلسفة أنه جعل للشريعة ظاهراً وباطناً ، وهذا أشهر ما دعت له الفلاسفة ، لذا لما ذكر أبو حامد عن بعض الصوفية قوله : للربوبية سر لو ظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام .

رد عليه ابن الجوزي بقوله : ((فانظروا إخواني إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها))[4] .

كلها تدل دلالة واضحة على أثر علم الكلام والفلسفة على الغزالي في مؤلفاته .

١٠ - التزهيد في العلم والعلماء :

إن عبارات الغزالي توحي لسامعها صعوبة طريق العلـم ووعورتـه ، وأنـه لا يستطاع إلا للعلماء وأن العوام لابد أن يبتعدوا عنه ويحذروه .

فيقول : ((وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ، ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشـهم ويتركوا العلم للعلماء ، فالعامي لو يزني ويسرق خير له من أن يتكلم في العلم ، فإن من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان للعلم وقع في الكفر من حيـث لا يـدري ،

---

١ . الإحياء ٣ / ٢١ .
٢ . الإحياء ٣ / ٣٦ – ٦٣ .
٣ . الإحياء ٣ / ٢٠٩ – ٤٧٩ .
٤ . تلبس إبليس ص٤٦٢ .

كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ، ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر))[1] .

سبحان ا كيف يأتي الغزالي بكلام حق ، ثم يرتب عليه مستلزمات باطلة ، فالكلام في ا وفي دينه بغير علم خطير ، لكن هذا يستلزم الإقبال على تعلم كلام ا وكلام رسوله وأحكام شريعته ليعبد ربه على بصيرة ويكون على علم وهدى ويسلم من الانحرافات والشبهات .

ويقول واصفاً للعلم بأنه مشغلة عن الوصول للحق وحصول الكشف لصاحبه ، فيوصي قائلاً : ((ثم يخلوا بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره))[2].

سبحان ا قراءة القرآن ومعرفة تفسيره والنظر في كتب أهل العلم مما يقرب إلى ا تعالى ، وسبب أعظم لرضاه وهباته وأعطياته ، فكيف يجعلها الغزالي من القواطع عن ا ومن أسباب حرمان الوصول إلى ا تعالى .

وقال : ((وسبب عدم الإيمان ، عدم الهداة والمذكرين والعلماء با تعالى الهادين إلى طريقه ، والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها ، وإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق))[3] .

وقال : ((وقد سلمت المدارس لأقوام قل خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم ، وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الأتباع حرصهم))[4] .

وهكذا يستمر الغزالي ذاماً لأهل العلم والفقه في زمانه ، داعياً إلى عدم الانشغال به ، ومزهداً للعوام ومخوفاً لهم في طلبه ، وهذا وإن لم يقصد الغزالي كله إلا أنه فحوى كلامه ومدلول خطابه .

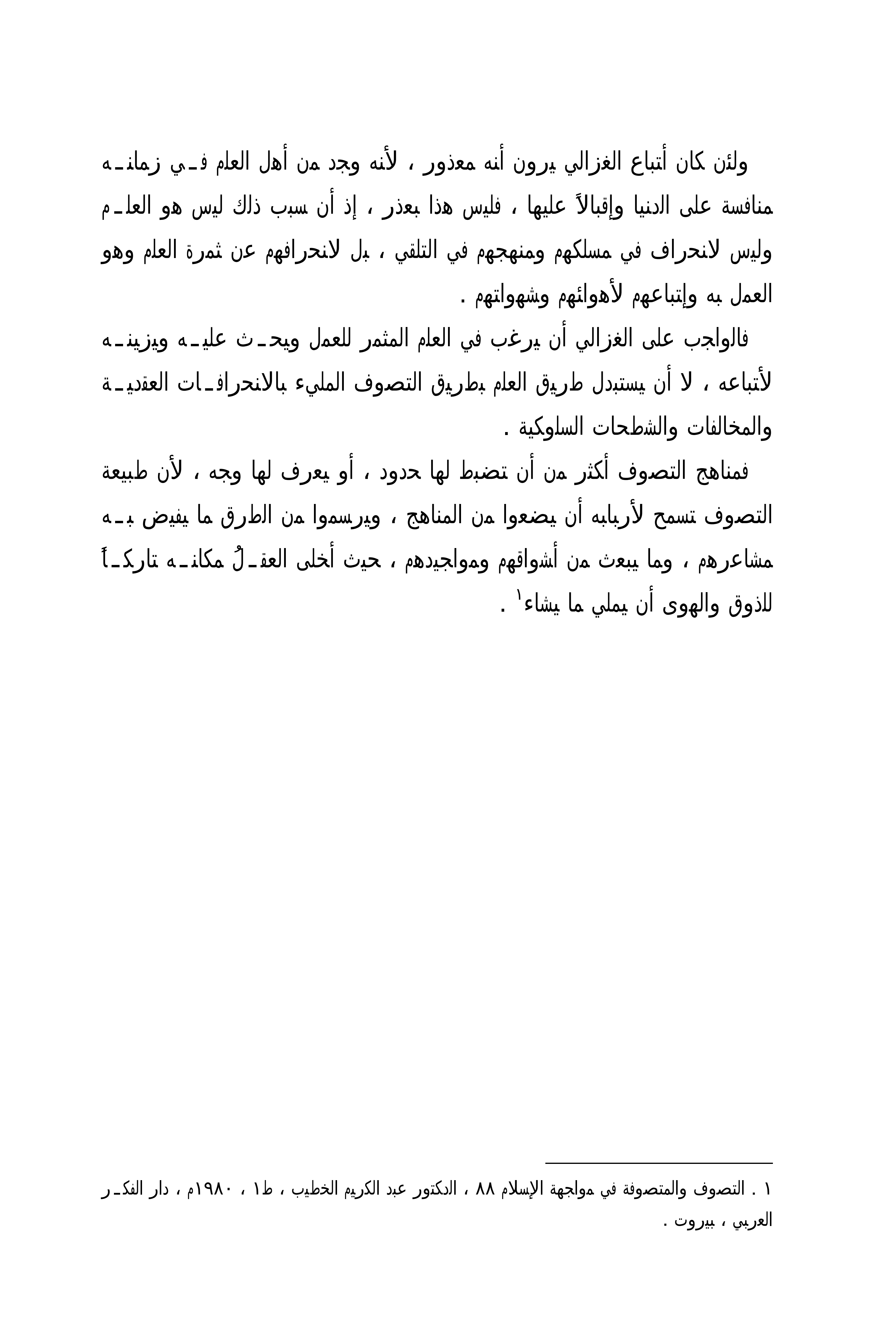
---

١ . الإحياء ٣ / ٤٨ .

٢ . الإحياء ٣ / ٢٦

٣ . الإحياء ٣ / ٩٧

٤ . الإحياء ٣ / ٤٧



ولئن كان أتباع الغزالي يرون أنه معذور ، لأنه وجد من أهل العلم في زمانه منافسة على الدنيا وإقبالاً عليها ، فليس هذا بعذر ، إذ أن سبب ذلك ليس هو العلم وليس لانحراف في مسلكهم ومنهجهم في التلقي ، بل لانحرافهم عن ثمرة العلم وهو العمل به وإتباعهم لأهوائهم وشهواتهم .

فالواجب على الغزالي أن يرغب في العلم المثمر للعمل ويحث عليه ويزينه لأتباعه ، لا أن يستبدل طريق العلم بطريق التصوف المليء بالانحرافات العقدية والمخالفات والشطحات السلوكية .

فمناهج التصوف أكثر من أن تضبط لها حدود ، أو يعرف لها وجه ، لأن طبيعة التصوف تسمح لأربابه أن يضعوا من المناهج ، ويرسموا من الطرق ما يفيض به مشاعرهم ، وما يبعث من أشواقهم ومواجيدهم ، حيث أخلى العقلُ مكانه تاركاً للذوق والهوى أن يملي ما يشاء[1] .

---

١ . التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ٨٨ ، الدكتور عبد الكريم الخطيب ، ط١ ، ١٩٨٠م ، دار الفكر العربي ، بيروت .

الباب الثاني : المآخذ العقدية على قسم ربع المهلكات ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : المآخذ العقدية في كلام الغزالي عن أحـوال القلـوب ورياضـة النفوس وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن القلب والروح .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن الإيمان .

المبحث الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن بعض صفات ا تعالى .

المبحث الرابع : اعتماد الغزالي على طريق الإلهام والكشف الصوفي .

المبحث الخامس : المآخذ العقدية في كلامه عن رياضة النفوس .

الفصل الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسـان والغضـب والحقـد والحسد ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد .

الفصل الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الدنيا والبخل وحـب المـال ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية على كتاب ذم البخل وحب المال .

الفصل الرابع : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الجاه والرياء والكبر والعجـب والغرور ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كتاب ذم الجاه والرياء .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب الكبر والعجب والغرور .

الفصل الأول : المآخذ العقدية في كلام الغزالي عن أحـوال القلـوب ورياضـة النفوس وفيه خمسة مباحث :

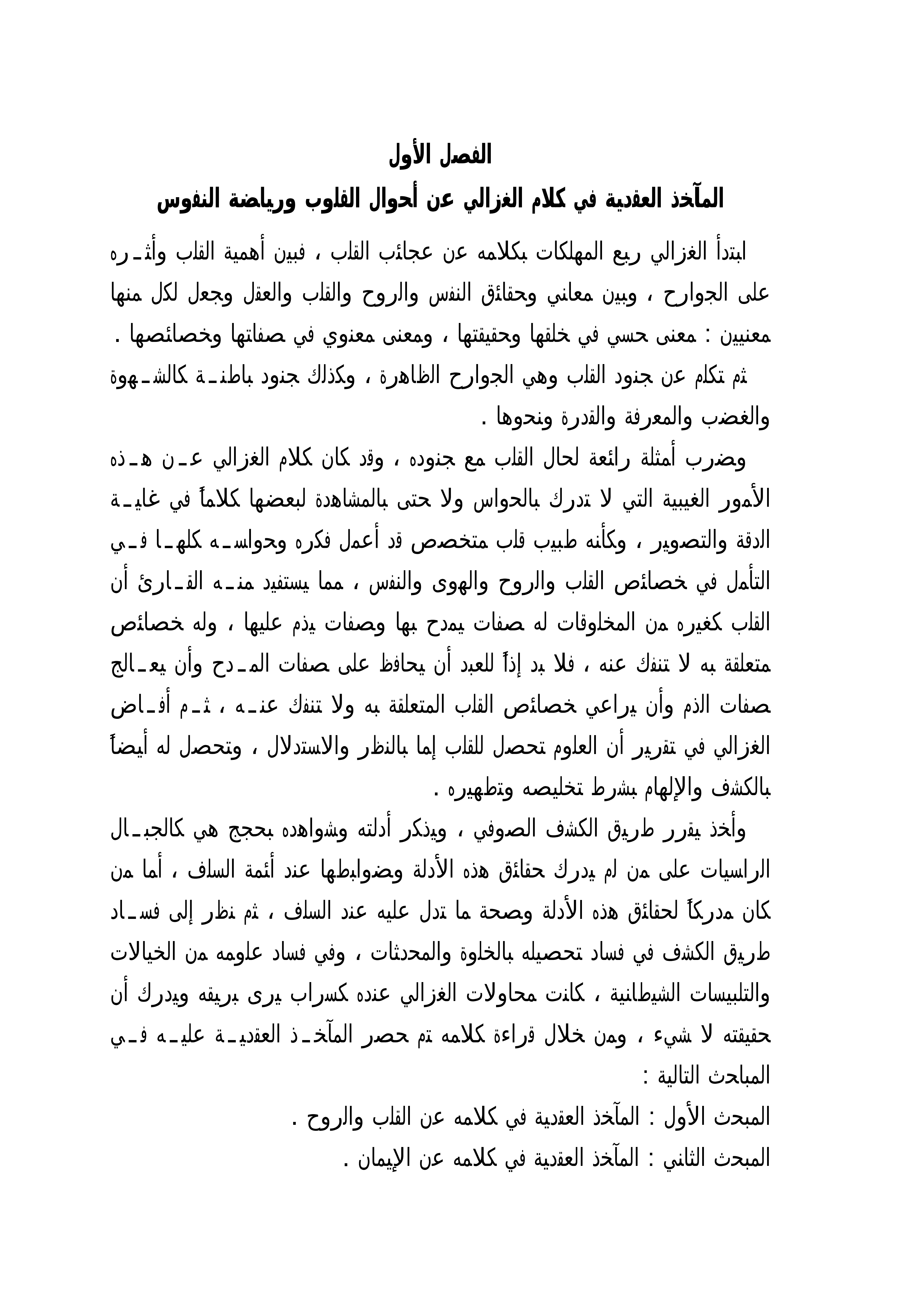
المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن القلب والروح .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن الإيمان .

المبحث الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن بعض صفات الله تعالى .

المبحث الرابع : اعتماد الغزالي على طريق الإلهام والكشف الصوفي .

المبحث الخامس : المآخذ العقدية في كلامه عن رياضة النفوس .



الفصل الأول

المآخذ العقدية في كلام الغزالي عن أحوال القلوب ورياضة النفوس

ابتدأ الغزالي ربع المهلكات بكلامه عن عجائب القلب ، فبين أهمية القلب وأثره على الجوارح ، وبين معاني وحقائق النفس والروح والقلب والعقل وجعل لكل منها معنيين : معنى حسي في خلقها وحقيقتها ، ومعنى معنوي في صفاتها وخصائصها .

ثم تكلم عن جنود القلب وهي الجوارح الظاهرة ، وكذلك جنود باطنة كالشهوة والغضب والمعرفة والقدرة ونحوها .

وضرب أمثلة رائعة لحال القلب مع جنوده ، وقد كان كلام الغزالي عن هذه الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس ولا حتى بالمشاهدة لبعضها كلاماً في غاية الدقة والتصوير ، وكأنه طبيب قلب متخصص قد أعمل فكره وحواسه كلها في التأمل في خصائص القلب والروح والهوى والنفس ، مما يستفيد منه القارئ أن القلب كغيره من المخلوقات له صفات يمدح بها وصفات يذم عليها ، وله خصائص متعلقة به لا تنفك عنه ، فلا بد إذاً للعبد أن يحافظ على صفات المدح وأن يعالج صفات الذم وأن يراعي خصائص القلب المتعلقة به ولا تنفك عنه ، ثم أفاض الغزالي في تقرير أن العلوم تحصل للقلب إما بالنظر والاستدلال ، وتحصل له أيضاً بالكشف والإلهام بشرط تخليصه وتطهيره .

وأخذ يقرر طريق الكشف الصوفي ، ويذكر أدلته وشواهده بحجج هي كالجبال الراسيات على من لم يدرك حقائق هذه الأدلة وضوابطها عند أئمة السلف ، أما من كان مدركاً لحقائق هذه الأدلة وصحة ما تدل عليه عند السلف ، ثم نظر إلى فساد طريق الكشف في فساد تحصيله بالخلوة والمحدثات ، وفي فساد علومه من الخيالات والتلبيسات الشيطانية ، كانت محاولات الغزالي عنده كسراب يرى بريقه ويدرك أن حقيقته لا شيء ، ومن خلال قراءة كلامه تم حصر المآخذ العقدية عليه في المباحث التالية :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن القلب والروح .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن الإيمان .

المبحث الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن بعض صفات ا تعالى .
المبحث الرابع : اعتماد الغزالي على طريق الإلهام والكشف الصوفي .
المبحث الخامس : المآخذ العقدية في كلامه عن رياضة النفوس .

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن القلب والروح

لقد كان كلام الغزالي عن القلب حقيقته وماهيته كلاماً دقيقاً في بيان أحوال القلوب ، فضرب للقلب أمثلةً كثيرة ، تصور للإنسان حقيقة العلاقة بين قلبه وجوارحه ، فخيله كالملك مع جنوده زمام الأمور كلها بيده ، وجعل الإنسان في خلقتـه وتركيبـه قـد اصطحب أربعة أوصاف ، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية .

ثم تكلم عن مداخل الشيطان على القلوب ، وأنواع الوساوس التي تتـردد علـى القلوب ، بكلام يجعل القارئ ينتقل بين الإعجاب به لدقة تصويره وروعة أمثلتـه ، وبين مستغرب لغرائب ما يذكره من معاني خفية وغامضة ، تدل على تبحر الرجل وفرط ذكائه وسعة علومه ومعرفته ، وقد وجد في كلامه بعـض المآخـذ العقديـة جعلتها في المطالب الثلاث الآتية :

المطلب الأول : أنه جعل عبودية القلب هي المقصد الحقيقي .
المطلب الثاني : قوله عن علي – رضي ا عنه - : (كرم ا وجهه) .
المطلب الثالث : كلامه عن منبع الروح .

المطلب الأول : أنه جعل العبودية الحقيقية هي عبودية القلب

لشدة حرص الغزالي على بيان أهمية القلوب ووجوب العناية بها ، صدر منـه بعض الكلمات التي تفيد بأن العبرة هي عبوديـة القلـب ، وأن الجـوارح ليسـت عبوديتها إلا آثاراً وأنواراً لعبودية القلب ، فقال في مقدمة ربع المهلكات في بيان أن ا ميز الإنسان على سائر المخلوقات ، وشرفه بمعرفته قـال : ((وإنمـا اسـتعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم با وهو المتقرب إلـى ا وهو العامل   وهو الساعي إلى ا وهو المكاشف بما عنـد ا ولديـه ... وهـو

المطيع بالحقيقة تعالى ، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهـو العاصي المتمرد على ا تعالى ، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره))[١] .

وقال عن القلب : ((فهو المخاطب والمعاقـب والمعاتـب والمطالـب ...))[٢] ، وقال : ((وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ، قد أفلح من زكاها ، ومراد تزكيته حصول أنـوار الإيمـان فيـه أعنـي إشـراق نور المعرفة))[٣] وهذه النصوص من الغزالي تدعو سامعها إلى الغلو فـي تحقيـق المعرفة القلبية وتحصيل عبودية القلب على وجه يحصل به الزهـد فـي عبوديـة الجوارح والتقليل من شأنها ، مما يدعو بعد ذلك إلى أن يسقط أحـدهم عـن نفسـه العبادات الظاهرة .

التعليق :

هذا الكلام وأمثاله استغله غلاة المتصوفة والباطنية الذين أسقطوا عـن أنفسـهم العبادات الظاهرة بحجة تمام المعرفة القلبية وتمام العبودية القلبية ، وأهـل السـنة مقرون بأن القلب هو ملك الجوارح ، وعبودية القلب هي أصل العبودية ، لكن مـع ذلك لا يفرطون في عبودية الجوارح بل يجعلون لكلٍ عبوديته ، وأن مقام العبوديـة لا يتم إلا باجتماع عبودية القلب وعبودية الجوارح ، يقول ابن القـيم : ((ورحـى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ، من كملها كمل مراتب العبودية ، وبيانهـا أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصـه ، والأحكام التي للعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ، وهي لكـل واحد من القلب واللسان والجوارح ...))[٤] .

وقال : ((والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الأمر كما يظـن قطـاع الطريـق وزنادقة الصوفية ... ومن السالكين من حقق صور الأعمال والعبادات دون تحقيـق أرواحها وحقائقها ، ومنهم من قصد للغايات والحقائق ورأى أن الاشتغال بالأعمـال

---

١ . الإحياء ٣ / ٣ .

٢ . الإحياء ٣ / ٤ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

٤ . مدارج السالكين ، ص ٩٤ .

والعبادات الظاهرة انشغال بالوسيلة عن الغايات ، فحصل من تقصير أولئك ، وعدوان هؤلاء تعطيل ... وجملة الأمر أن هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا أنهم يصلون إلى حقيقته من غير رسمه وظاهره فلم يصلوا إلا إلى الكفر والزندقة ، وجحدوا ما علم بالضرورة مجيء الرسل به ، فهؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين ، والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الأمر متوجه إلى قلوبهم قبل جوارحهم وأن على القلب عبودية في الأمر كما على الجوارح ، وأن تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح ، وأن كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده بعبوديته ، فهؤلاء خواص أهل الإيمان وأهل العلم والعرفان))[1] أ . هـ .

المطلب الثاني : قوله عن علي – رضي الله عنه - ((كرم الله وجهه)) :

من عادة الغزالي في كتابه الإحياء إذا ذكر أثراً عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه وأرضاه - أن يقول : (قال علي كرم الله وجهه) وإن كان قد قال في بعض المواضع - رضي الله عنه[2] - ، لكن في غالب الكتاب إذا ذكر عليا رضي الله عنه قال : كرم الله وجهه .

التعليق :

هذه الكلمة فيها تخصيص لعلي - رضي الله عنه - بمزيد فضل على الصحابة والمتفق عليه بين سائر أئمة السلف تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي - رضي الله عنهم أجمعين - وقد ذكر ابن حجر الهيتمي – رحمه الله - في الصواعق المحرقة أن سبب تخصيصه بذلك أنه لم يعبد صنماً ، فقال : ((وأخرج أبو سعد عن الحسن بن زيد بن حسن قال : - يعني في علي - أنه لم يعبد صنماً قط من صغره ، أي ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه ، وألحق به الصديق في ذلك لما قيل أنه لم يعبد صنماً))[3] ، وعلي – رضي الله عنه - له من الفضل الكبير

---

١ . المرجع السابق ، ص ٣٣٤ ، وانظر بدائع الفوائد ، ٣ / ٧١٠ .

٢ . الإحياء ٣ / ٢٢ .

٣ . الصواعق المحرقة ٢ / ٣٥١ بتحقيق التركي .

والمكانة العالية عند أهل السنة والجماعة ما هو أهل له – رضي ا عنه - فهو من السابقين إلى الإسلام ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وصهر رسول ا - ﷺ - وابن عمه ، لكنهم مع ذلك لا يخصونه بلفظ دون سائر الصحابة ، يقول ابن كثير – رحمه ا - عن هذه العبارة : ((قد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ في الكتب أن يفرد علي - رضي ا عنه - بأن يقال " عليه السلام " من دون سائر الصحابة أو " كرم ا وجهه " وهذا وإن كان معناه صحيحاً ولكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه))[١] .

المطلب الثالث : كلامه عن منبع الروح

يلحظ في كلام الغزالي عن الروح أنه حددها بقوله : ((الروح جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، فينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن ... وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب ...))[٢] وقال أيضاً : ((وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول عن درك حقيقته))[٣] .

ثم ذكر أن الكلام في معنى الروح مما يتوقاه لأمرين :

١ – لأنه من علوم المكاشفة وغرضه من الكتاب علوم المعاملة .

٢ – أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح .

وذلك مما لم يتكلم فيه رسول ا - ﷺ - ، فليس لغيره أن يتكلم فيه[٤] ، وبهذا يتضح أنه يقرر إمكانية معرفة ماهية الروح وأنها ليست مما استأثر ا بعلمه .

التعليق :

أجمعت عبارات السلف أن ماهية الروح أمر استأثر ا بعلمه ولا يمكن معرفته ولا سبيل للعقول لإدراكها ، وأن العقول اضطربت في تحديدها لأنهم لم يشاهدوها ولم يشاهدوا لها نظيراً ، وأنه لا سبيل لمعرفتها عن طريق الطبع والفلسفة ، وإنما

---

١ . تفسير ابن كثير ٣ / ٦٧٧ تفسير الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

٢ . الإحياء ٣ / ٥ .

٣ . الإحياء ٣ / ٥ .

٤ . الإحياء ٣ / ٥ .

ينال ذلك من جهة الشرع في بيان وصفها في النصوص ، لأنها من الأمور الغيبيـة ومن أقوال السلف في ذلك :

١ - قال ابن كثير - رحمه ا - في تفسير سورة الإسراء قوله – سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسـراء : ٨٥] ، قال : ((أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولم يطلعكم عليه ، وقال السـهيلي : قال بعض الناس وقوله من أمر ربي ، أي من شرعه ، فأدخلوا فيه وقد علمتم ذلـك أنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع))[1] .

٢ - قال البغوي - رحمه ا – بعد أن ذكر أقوال الناس فـي المـراد بـالروح : ((وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى ا عز وجل وهو قول أهل السنة ، قال عبـد ا بن بريدة : إن ا لم يطلع على الروح ملكاً مقربا ولا نبياً مرسلا))[2] .

٣ - قال الشوكاني : ((قد اختلف الناس في الروح المسئول عنها ، فقيـل : هـو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته ، وبهذا قال أكثر المفسرين ، قال الفـراء : الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر ا سبحانه به أحداً من خلقه ، ولـم يعطـي علمه أحداً من عباده ... ثم أمره أن يجيب على السائلين له عن الروح ، فقال : قل الروح من أمر ربي " من " بيانية ، والأمر الشأن ، والإضافة للاختصاص ، أي هو من جنس ما استأثر ا بعلمه من الأشياء التي لم يعلم بها عباده ... وفي هذه الآيـة ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيتها وإيضاح حقيقتهـا أبلـغ زجر ويردعهم أعظم ردعٍ ، وقد أطال المقال في هذا البحث بما لا يتسع له المقـام وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع لا دين ولا دنيا ، وقد حكـى بعـض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثماني عشرة مائة قول ، فـانظر إلى هذا الفضول الفارغ ، والتعب العاطل عن النفع ، بعد أن علموا أن ا سـبحانه

---

١ . تفسير ابن كثير ٥ / ١١٦

٢ . تفسير البغوي ٢ / ٧١١ ، دار طيبة ، تحقيق محمد عبد ا النمر ، د . عثمان جمعة ضميرية ، سليمان بن مسلم الحرش ، ط ١ ١٤٢٣هـ .

استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ، ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أممهم المقتدين بهم))[1] .

٤ - وبعد أن ذكر ابن القيم أقوال الناس في الروح قال : ((قال الرازي : وأما القسم الثاني وهو أن الروح عبارة عن جسم مخصوص موجود في داخل هذا البدن ، فالقائلون بهذا القول اختلفوا في تعيين ذلك الجسم على وجوه :

الأول : أنه عبارة عن الأخلاط التي منها يتولد هذا البدن .

الثاني : أنه الدم .

الثالث : أنه الروح اللطيف الذي يتولد في الجانب الأيسر من القلب ، وينفذ في الشريانات إلى سائر الأعضاء .

الرابع : أنه الروح الذي يصعد في القلب إلى الدماغ ، ويتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوة الحفظ والفكرة والذكر .

الخامس : أنه جزء لا يتجزأ في القلب .

السادس : أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جواهر الأعضاء ويسري منها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح .

قال : وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة))[2] ثم ساق الأدلة على هذا ، وبلغت أكثر من مائة دليل .

---

١ . فتح القدير للشوكاني ٣ / ٣٦٣ .

٢ . كتاب الروح لابن القيم ، ص ٥٧٩ – ٥٨٠ .

بل إن شيوخ المتصوفة الأوائل يصفون الروح كما وصفها أئمة السلف ، ومن ذلك قال الجنيد : ((الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥])) .

قال أبو عبد الله الناجي : ((الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود))[١] .

وقول الغزالي إن بيان معناها من علوم المكاشفة ، هذا على ما جعله من مصادر التلقي عنده وهو الكشف الصوفي ، فمن أين له أنه يحصل له الكشف ثم إن حصل من أين له أهو إلهام رحماني ؟ أو تخيلات ؟ أو وساوس شيطانية ؟

أما قول الغزالي : أن الرسول لم يفش هذا السر ، فالآية صريحة في أنه لا يعلم عن الروح وحقيقتها شيئاً ، وكذلك ما ورد في سبب نزولها دليل على أنه لا يعرف عنها شيئاً ، فمن أين للغزالي أنه - ﷺ - عرف سر الروح ثم لم يفشه ، وهل هذا إلا من كتمان الوحي حاشاه - ﷺ - .

ولعل الغزالي لم يرد كل هذا ، لكن أثر الفلسفة عليه والمنهج الصوفي جعله يظن أن في الإسلام أسراراً لا يجوز إفشائها للعامة ، وأن للشريعة ظاهراً وباطناً كما تقدم .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن الإيمان

الإيمان في اللغة : هو التصديق مع الإقرار والطمأنينة بخلاف من يقول أنه مجرد التصديق[٢] .

يقول شيخ الإسلام : ((إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق ، وإنما هو الإقرار والطمأنينة وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط ، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر ، وكلام الله خبر وأمر فالخبر يستوجب تصديق المخبر ، والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام وهو عمل في القلب

---

١ . التعرف لمذهب أهل التصوف : للكلاباذي ، محمد أبو بكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١ / ٦٨ .

٢ . هذا هو المشتهر عند أكثر من عرف الإيمان وخاصة أهل الكلام كالباقلاني حتى نبه شيخ الإسلام على قصوره .

جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به ، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينـة والإقـرار ، فـإن اشتقاقه من الأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد))[1] .

وقد رد شيخ الإسلام في سـتة عشـر وجهـاً علـى مـن ادعـى أن الإيمـان مرادف للتصديق[2] .

الإيمان شرعاً : اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[3] .

ويلحظ في كلام الغزالي عن الإيمان بعض المآخذ العقدية جعلتها في مطلبين :

المطلب الأول : أنه جعل الإيمان ثلاث مراتب .

المطلب الثاني : قوله : أن من يزيد إيمانه على مثقال لا يدخل النار .

المطلب الأول : قوله : ((الإيمان ثلاث مراتب ...)) .

جعل الغزالي إيمان الناس على ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى : إيمان العوام : وهو القائم على التقليد المحض دون نظر واستدلال .

المرتبة الثانية : إيمان المتكلمين : وهو الممزوج بالنظر والاستدلال .

المرتبة الثالثة : إيمان الخواص العارفين وهو المشاهد بنور اليقين .

حيث قال : ((وهذا الإيمان له ثلاث مراتب ، المرتبة الأولى : إيمان العوام وهـو إيمان التقليد المحض ، والثانية : إيمان المتكلمين وهـو ممـزوج بنـوع اسـتدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام ، والثالثة : إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين)) [4] .

---

١ . الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٣ / ٩٦٧ .

٢ . الإيمان لابن تيمية ، ص ١٠١ – ١٠٨ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤١٦هـ ، تحقيق الألباني .

٣ . الإيمان لابن منده ١ / ٣٦٢ – وأصول اعتقاد أهل السنة للألكائي ٤ / ٩١١ – والفتاوى ٧ / ٣٠٩ – فـتح الباري لابن رجب ١ / ٥ ت طارق عوض ا – دار ابن الجوزي – الدمام .

٤ . الإحياء ٣ / ٢١ .

التعليق :

هذا الكلام من الغزالي في مراتب الإيمان قد يفهم منه ما تدعو له المتصوفة مـن أن الناس في دينهم أقسام ثلاثة ، فمنهم العامة ومنهم الخاصة ومنهم خاصة الخاصة ، ومن ثم يرتبون لكل قسم من العبادات والأوراد ما يناسبه بلا دليـل ولا برهـان ولا حجة ، بل جعل شيخ الإسلام الغزالي ممن قسم الناس إلى ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة[1] .

فكون الناس أقسام بالنسبة لتحقيقهم خصال الإيمان ، فمنهم من حقق أصل الإيمان فقط ومنهم من حقق مقدار الإيمان الواجب ومنهم من ارتفع في المقام فحقق الإيمان الواجب والمستحب ، هذا حق ولكن لا يعني التمييز بين هذه الطبقـات اختصـاص بعض الناس بطبقة دون أخرى ، بل هي ميدان للناس كلهم يتسابقون في تحصـيله وتحقيقه على حد سواء دون تقييد هؤلاء بشعائر أو بعبادات تخصهم ونحو ذلـك ، ولذلك نجد في كلام السلف بياناً لمراتب الناس في الإيمان ، ولكن ليس بالمفهوم التي تدعو له الصوفية .

وقد جعل شيخ الإسلام الإيمان ثلاث مراتب :

١ – أصل الإيمان .

٢ – الإيمان الواجب .

٣ – الإيمان المستحب .

فقال : ((وهو - أي الإيمان - مركب من أصل لا يتم بدونه ، ومن واجب يـنقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة ، ومن مستحب يفوت بفواته علـو الدرجـة ، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق))[2] .

وهذا استنباط من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : ((أي ثم جعلنا القائمين بالكتـاب العظـيم المصدق لما بين يديه من الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هـذه الأمـة ، ثـم

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٩٦ .

٢ . مجموع الفتاوى ٧ / ٦٧٣ .

قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال – سبحانه وتعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ وهو المفـرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمسـتحبات التـارك للمحرمـات والمكروهات وبعض المباحات))[1] ، وهذه درجات الناس في عبادة ربهم يتسـابقون إليها وليس بالمعنى التي تدعو له الصوفية وأن لكل قسم أحوالاً وعبادات تخصـه ، لذا بين ابن القيم أن جعل الناس في دينهم أقساماً ثلاثة عامة ، وخاصة ، وخاصـة الخاصة ، إنما نشأ من جعل الفناء غاية الطريق ، وعلم القوم الذي شـمروا إليـه ، وأن هذا الترتيب هو تحكم هوى ودعوى غير مطابقة ، فقال : ((إن الترتيب الـذي يشير إليه كل مرتبٍ للمنازل لا يخلو عن تحكم ودعوى من غير مطابقة ، فإن العبد إذا التزم عقد الإسلام ودخل فيه كله فقد التزم لوازمه الظاهرة والباطنـة ومقاماتـه وأحواله ... فالتوبة مثلاً التي جعلوها من أول المقامات هي غاية العارفين ونهايـة أولياء ا المقربين ، ولا ريب أن حاجتهم إلى المحاسبة في نهايتهم فـوق حـاجتهم إليها في بدايتهم ، ثم ذكر أن آخر ما نزل على النبي - ﷺ - قوله – سبحانه وتعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصـر : ٣]))[2] ، وقد أوضح ابن القـيم أن مراتب العبودية مرتبتان : مرتبة لأصحاب اليمين ومرتبة للسابقين المقربين ، قال : ((وأما مراتبها العملية فمرتبتان : مرتبة لأصحاب اليمين ومرتبة للسابقين المقربين ، فأما مرتبة أصحاب اليمين فأداء الواجبات وترك المحرمات مع ارتكاب المباحـات وبعض المكروهات وترك بعض المسـتحبات ، أمـا مرتبـة المقـربين : فالقيـام بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات ، زاهدين فيما لا ينفعهم فـي معادهم متورعين عما يخافون ضرره ، وخاصتهم : قد انقلبت المباحات في حقهـم طاعات وقربات بالنية))[3] .

---

١ . تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٦٢ .

٢ . مدارج السالكين ص ١١٥ .

٣ . مدارج السالكين ص٩٤ .

والذي يظهر لي أن كلام الغزالي هو وصف لإيمان هـؤلاء الطوائـف الـثلاث (العوام والمتكلمين والخواص) فالعوام يرى أنهم بنوا إيمانهم وتصـديقهم بتقليـد الرسل ، وما بلغهم عنهم دون نظر واستدلال والمتكلمين مزجوا إيمانهم بنوع مـن استدلالاتهم العقلية ، والخواص يقتبسون إيمانهم من أذواقهم وكشـفهم وإلهامـاتهم ، وهذا الوصف قد يفيد نقص مرتبة إيمان العوام المعتمـدة علـى مجـرد ظـواهر النصوص ، وأن إيمان المتكلمين والخواص أعلى منه ، وهـذا التفضـيل لإيمـان المتكلمين على إيمان العوام غير صحيح ، بل إن إيمان العوام الذي زعمه الغزالـي هو الإيمان الذي كان يرتضيه الرسول - ﷺ - من الناس ويقبله منهم ، وكـم مـن سالك في إيمانه طريق الاستدلال والنظر انتهى به الأمر إلى الحيرة والشك ، ولـذا نجد أن أهل العلم بل أهل الكلام أنفسهم معترفون بأن إيمان العـوام هـو الإيمـان الراسخ الثابت الذي لا يتزعزع حتى بشهادة الغزالي نفسه ، فها هو يقول : ((فكـم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيالٌ فاسد لم يقو على كشفه فـانقطع عليـه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ، ومن تجرد للـذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار ، فإنه قد ركـب سـفينة الخطر فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ، ولذلك قال - ﷺ - : (عليكم بدين العجائز)[1] ، وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليـد والاشتغال بأعمال الخير ، فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير))[2] .

وقد أوضح الألوسي أن أكثر المتكلمين على القول بصحة إيمان المقلّد وأن مـا نُقل عن بعضهم كالأشعري وغيره بعدم صحة إيمان المقلد هو كذب عليهم ، ثم قال : ((ويكفي دليلاً على صحة إيمان المقلد اكتفاءا بالنبي - ﷺ - وأصحابه – رضي ا عنهم - من عوام العجم وأجلاف العرب النطق بالشهادتين ، ولو كـان الاسـتدلال فرضاً لأمروا به بعد النطق بالشهادتين ، ولقنوهم إياه كما يعلمونهم سائر الواجبات ،

---

١ . حديث ((عليكم بدين العجائز)) ذكر العراقي أنه لا أصل له بل هو من كلام العامة . وروي : ((إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية)) وفيها ابن السليماني متهم بالوضع . وهو عند ابـن حبان في الضعفاء وفي ترجمة ابن السليماني .

٢ . الإحياء ٣ / ١٠١ .

ولو وقع ذلك لنقل إلينا فإنه من أهم مهمات الدين ، ولم ينقل أنهم أمروا واحداً منهم أسلم بترديد نظر ولا سألوه عن دليل تصديقه ، ولا أرجئوا أمره ، حتى ينظر فلو كان النظر واجباً على الأعيان ولو إجمالاً على طريق العامة لما اكتفى به النبي - ﷺ - ، لأنهم لا يقرون أحداً على ترك فرض العين من غير عذر ، فلا يكون تاركه آثماً فضلاً عن أن يكون بتركه غير صحيح الإيمان .

ثم نقل الألوسي عن الغزالي أنه قال : ((بل الإيمان المستعار من الدلائل الكلامية ضعيف جداً مشرف على التزلزل بكل شبهة ، بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا بتواتر السماع ، أوالحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن العبارة عنها)) .

ثم قال الألوسي : ((وقد صح عن بعض أكابر المحققين بأن توحيد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عن علم ضروري وجدوه في نفوسهم لم يقدروا على دفعه ، وبأن من أهل الفترة من وحد كذلك ، بل قد صرح بأن الإيمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه ، فكم من آمن بلادليل ومن لم يؤمن مع الدليل ، وقلما يوثق بإيمان من آمن بدليل فإنه تعرض له الشبه القادحة فيه))[1] .

المطلب الثاني : قول الغزالي : أن من يزيد إيمانه على مثقال فإنه لا يدخل النار

في أثناء تقرير الغزالي أن الكشف سبب لتحصيل المعرفة بالله سبحانه وسعة ملكوته ، ذكر أن زيادة الإيمان بالمعرفة تزداد بحسب ذلك ، فيكشف من نور الشمس في الآفاق ما لا يكشف بنور السراج ، ثم قال : ((لذا جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ونصف مثقال ، وربع مثقال ، وشعيرة ، وذرة))[2] ، كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي مفهومه أن من

---

١ . روح المعاني ٢٦ / ٦٢ وما بعدها باختصار – دار إحياء التراث العربي – بيروت ، وانظر كلام الغزالي في كتابه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، ص ٩٤ ضمن كتاب مجموعة الرسائل للإمام الغزالي ، الرسالة رقم ٩ ، دار الكتب العلمية بيروت .

٢ . أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١ / ١٦ ، ح ٢٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١ / ١٦٧ ، ح ١٨٣ .

إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولاً ، وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها))[1] .

التعليق :

استدلال الغزالي بهذا الحديث على تفاوت الإيمان في القلوب صحيح ، وهو من أظهر أدلة أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاوت مراتب أهله فيه ، وأيضاً قوله إن هذه المقادير ((مثقال – ربع ...)) لا تمنع دخول النار صحيح بنص الحديث .

وقوله وأن من دخلها وفي قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها صحيح بنص الحديث ، لكن قوله : ((أن من يزيد إيمانه على مثقال لا يدخل النار)) هذا الذي يحتاج له إلى دليل من الغزالي ! فأين في الحديث ما يقطع الغزالي به ، أن من كان في قلبه أكثر من مثقال أنه لا يدخل النار من أين له هذا الجزم .

نعم جاء من حديث أبي مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه ذرة من إيمان)[2] .

فهذا الحديث أصرح من المفهوم الذي ذكره الغزالي ، بل صرح بأنه لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة بينما الغزالي ذكر : أنه لا يدخل النار من في قلبه أزيد من مثقال ذرة .

وأهل السنة يفسرون هذا الحديث كغيره من أحاديث الوعد أنه في بيان فضل الإيمان وتحقيقه ، لا أن معناه امتناع دخوله مطلقاً ولو أتى بسبب آخر لدخوله النار .

لذا يرون أن معنى مثل هذه الأحاديث أنه لا يدخل النار دخول خلود فيها كدخول المشركين ، وقد ذكر ابن خزيمة – رحمه الله - في كتاب التوحيد وجه الجمع هذا وأنه موجود في لغة العرب إذا سمعوا الكلمتين المتعارضتين ممن يعلمون صدقه وبره ، علموا أنهما ليستا متناقضتين ولا متهاترتين ويحملونها على الصدق جميعاً ويؤلفون بينهما ثم قال : ((فوجب على كل مسلم يقر بنبوة محمد - ﷺ - ويستيقن

---

١ . الإحياء ٣ / ٣٠ .

٢ . أخرجه مسلم ١ / ٩٣ – كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

أنه أبر الخلق وأصدقهم وأبعدهم عن الكذب أن يحمل هذين الحديثين ، وهما : حديث (لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) وحديث (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) على المعنى الذي ذكرنا وهو أنه مجمل حديث لا يدخل النار من كان في قلبه ، أي لا يدخلها دخولاً كدخول المشركين ، فإذا تأولهـا على ما ذكرنا كانتا متفقتين في المعنى وكانتا من ألفـاظ العمـوم الـذي أراد بـه الخصوص))[1] .

قال شيخ الإسلام : ((فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر ومعه إيمان أيضاً ، وعلى هذا ورد عن النبي - ﷺ - تسمية كثير من الـذنوب كفـراً مـع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان فلا يخلد في النار كقوله : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))[2] .

ويقول شيخ الإسلام في أول هذا الحديث : ((لا يدخل الجنة من كان فـي قلبـه مثقال ذرة من كبر ، قال : معناه أن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ليس هـو من أهل الجنة ولا يدخلها بلا عذاب ، بل هو مستحق للعذاب لكبره كمـا يسـتحقها غيره من أهل الكبائر ، ولكن قد يعذب في النار ما شاء ا فإنه لا يخلد فـي النـار أحد من أهل التوحيد))[3] .

وهكذا هنا نقول من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو أكثر من ذلك ليس هـو بداخل للنار دخول الأبد كالمشركين ، أو ليس هو بداخل موضع الكفار من النار أما أنه لا يدخل النار ، مطلقاً فهذا لا دليل عليه بل الأدلة خلافه .

فقد توعد ا بالنار على ذنوب كثيرة مع أن إيمان أهلها أكثر من مثقال ، فقـال - ﷺ - : (ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار)[4] .

وممن في النار أهل الغيبة والزنا والربا ونحوهم ، مع أن معهم أصل الإيمان بل مع بعضهم كماله الواجب ، بل أخبر النبي - ﷺ - أن ا حرم على النار أكل مواضـع

---

١ . التوحيد لابن خزيمة ، ٢ / ٨٧٦ وما بعده بتصرف يسير ، تحقيق : عبد العزيز الشهوان ، ط5 ١٩٩٤م ، مكتبة الرشد بالرياض .

٢ . مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٥ .

٣ . مجموع الفتاوى ٧ / ٦٧٨ .

٤ . أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، باب ما أسفل الكعبين فهو في النار ، ٥ / ٢١٨٢ ح ٥٤٥٠ .

السجود[1] أي أنه سيدخلها بعض المحافظين على الصلاة ، وهل سيقول الغزالـي أن إيمانهم لا يتجاوز مثقالاً ؟! ثم إن ألفاظ الحديث فيها : مثقال دينار ، ومثقال بـرة ، وشعيرة وذرة فأي المثاقيل أراد الغزالي ؟؟

المبحث الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن صفات الله تعالى

عندما يتعرض الغزالي للكلام عن الله وصفاته ، فإنه يوجد فـي كلامـه بعـض المخالفات ، وذلك نظراً لتأثره الكبير بعلم الكلام والفلسفة ، وقد وجدت في كلامـه عن صفات الله تعالى بعض المآخذ حصرتها في أربعة مطالب .

المطلب الأول : قوله إن الله يعشق ويعشق .

المطلب الثاني : قوله إن الله سبحانه ليس جوهر ولا عرض .

المطلب الثالث : تأويله لصفة الأصابع لله تعالى .

المطلب الرابع : ما وجد في بعض كلامه مما يفضي إلى القول بالحلول ووحدة الوجود .

المطلب الأول : قوله إن الله يعشق ويعشق :

لقد تابع الغزالي من سبقه من المتصوفة في الإفراط في دعوى محبـة الله ، حتـى جعلوها كمحبة العاشق المستهتر فقال : ((وهذا التجرد – أي عن الخلائق والعوائق – لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فـي صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد))[2] .

وقال : ((وقد كان استغراقه - ﷺ - بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى من بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه ، فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحياناً ويقول : (كلميني يا عائشة) لتشغله بكلامه عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه ...))[3] .

التعليق :

أما ما أورده أن النبي - ﷺ - كان يضرب بيده على فخـذ عائشـة ويقـول : (كلميني يا عائشة) فقد قال العراقي عنه : ليس له أصل ، فحينئذ يسقط الاسـتدلال

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل السجود ص ١٣٠ ، ح ٨٠٦ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٠٠ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٣١ .

الغزالي به ، ومن المعلوم أن محبة ا سبحانه هي محبة تقدير وإجلال ، ومحبة تأله وعبودية وتعظيم ، فمن بلغ بها إلى جنون العشاق ، وهيجان الوجد واحتراقه ، فقد تعدى حدوده ، وأساء الأدب مع ربه .

يقول ابن الجوزي – رحمه ا - : - بعد أن ذكر عن بعض المتصوفة قوله : " أنا أعشق ا عز وجل وهو يعشقني " - : ((وقد ذهبت الحلولية إلى أن ا – عز وجل - يعشق ، وهذا جهل من ثلاثة أوجه :

أحدها : من حيث الاسم ، فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح .

والثاني : أن صفات ا – عز وجل - منقولة ، فهو يحب ، ولا يقال يعشق ، كما يقال يعلم ، ولا يقال يعرف .

والثالث : من أين له أن ا تعالى يحبه ، فهذه دعوى بلا دليل ، وقد قال النبي - ﷺ - : (من قال إني في الجنة فهو في النار[1]) ...))[2]، وقال ابن الجوزي أيضاً : ((وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال في حقه أنه يعشق ويقع الهيمان به ، وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط))[3] ، واستنكر ابن الجوزي أن تصدر مثل هذه اللفظة من أبي حامد ، ومما قاله في ذلك : ((وقد قال أبو حامد : من أحب ا وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه)) ، ثم علق عليه ابن الجوزي بقوله : ((وهذا قبيح أن يقال عن ا – عز وجل – يعشق))[4] .

ونقل ابن الجوزي عن ابن عقيل ذمه للمتصوفة في قولهم هذا ، حيث قال عنهم : ((بل أنتم زنادقة في زي زهاد يعتقدون أن ا – عز وجل - يعشق ويهام فيه ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن ا خلق المخلوقات وجعل فيها مشابهة

---

١ . أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عمر إلا أنه منقطع ، قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من قول يحيى بن أبي كثير وسنده ضعيف ، الإحياء ١ / ٧٣ ، وانظر كشف الخفاء ٢ / ١٥٥٤ ، والمعجم الصغير ١ / ١٢٠ ، ح ١٧٦ .

٢ . تلبيس إبليس ، ص٢١١ .

٣ . تلبيس إبليس ص ٢٨٠ .

٤ . تلبيس ابليس ٣٠١ .

ومشاكلة فيحصل بها الأنس والعشق ، أما الخالق والمخلوق فأين التشابه والمشاركة بينهما ، حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق ...))[1] .

قال شيخ الإسلام : ((والناس في العشق على قولين ، قيل : إنه من باب الإرادات ، وهذا هو المشهور ، وقيل : من باب التصورات ، وأنه فساد في التخييل ، حيث يتصور المعشوق على ما هو به ، قال هؤلاء : ولهذا لا يوصف ا بالعشق ، ولا أنه يعشق ، لأنه منزه عن ذلك ، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالاً فاسداً ، وأما الأولون فمنهم من قال : يوصف بالعشق فإنه المحبة التامة ، وا يحب ويحب ، وروي في أثر عن عبد الواحد بن زيد[2] أنه قال في الحديث القدسي : (لا يزال عبدي يتقرب إلي يعشقني وأعشقه) وهذا قول بعض الصوفية .

والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق ا ، لأن العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي ، وا تعالى محبته لا نهاية لها فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته ، قال هؤلاء : والعشق مذموم مطلقاً لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق ، لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود ، وأيضاً فإن لفظ (العشق) إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي ، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه ، ومحبة الأنبياء والصالحين ، وهو مقرون كثيراً بالفعل المحرم : إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي يقترن به النظر المحرم ، واللمس المحرم ، وغير ذلك من الأفعال المحرمة))[3] .

وقد أوضح شيخ الإسلام أن الغزالي يوافق أئمة السلف على أن ا يحب ويحب ، ولكن استناده لكتب الفلاسفة جعلته يقول : يعشق ويعشق لذا قال : ((والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ومشايخ الطريق أن ا يحب ويحب ، ولهذا وافقهم على ذلك من تصوف من أهل الكلام ، كأبي القاسم القشيري ، وأبي حامد الغزالي ، وأمثالهما ، ونصر ذلك أبو حامد في " الإحياء " وغيره ، وكذلك أبو

---

١ . تلبيس ابليس ٣٠٢ .

٢ . عبد الواحد بن زيد : الزاهد القدوة شيخ العباد البصري ، حدث عن الحسن وعطاء وعنه الداراني ووكيع ، ضعيف الرواية ، مات بعد الخمسين ومائة ، انظر السير ٧ / ١٧٨ ، وحلية الأولياء ٦ / ٥٥ .

٣ . الفتاوى ١٠ / ١٣١ .

القاسم ذكر ذلك في " الرسالة " على طريق الصوفية ، كما في كتاب أبـي طالـب المسمى بـ " قوت القلوب " وأبو حامد مع كونه تابع في ذلك الصوفية ، استند فـي ذلك لما وجده في كتب الفلاسفة من إثبات نحو ذلك حيث قالوا : يعشق ويعشق .

وقد بسط الكلام على هذه المسألة العظيمة في القواعد الكبار بما ليس هذا موضعه ، وقد قال تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقال : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٢٤] ، وفي الصحيحين عن النبي - ﷺ - أنه قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : مـن كـان ا ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه ا منه كما يكره أن يلقى في النار[1]) أ . هـ .[2]

المطلب الثاني : قوله : ((كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض)) :

لما كانت الأصول الكلامية والفلسفية مترسخة في الغزالي حتى بعد انتقاله إلـى مرحلة التصوف ، فإنه ذكر في أثناء كلامه عن ا تعالى وصفاته الكلمات المجملة كالجوهر والعرض ونحوها .

لذا لما تكلم الغزالي عن العلوم العقلية أشار إلى أن القلم سطر ا به العلوم على صفحات القلوب ، ثم اسـتدل بقولـه تعـالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٤ - ٥] ، ثم قال : ((وقلم ا تعالى لا يشبه قلم خلقه كمـا لا يشـبه وصفه وصف خلقه ، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض))[3] .

التعليق :

وهذه الكلمات عند محققي السلف لا تثبت بإطلاق ولا تنفى عنه بإطلاق ، بل يستفصل من صاحبها ، فإن أراد المعنى الحق اللائق با تعالى لم ينف ما أراده من

---

١ . أخرجه البخاري من حديث أنس رضي ا عنه في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمـان ١ / ١٤ ح ١٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ ح ٦٧

٢ . الفتاوى ١٠ / ٦٩٧

٣ . الإحياء ٣ / ٢٣ .

معنى صحيح ، وأُرشد إلى اختيار الكلمات الشرعية التي ليس فيها إجمال ، وإن أراد بها المعنى الباطل الذي لا يليق با تعالى فإنهم ينكرون عليه ، وهذا ما فعله أئمة السلف مع المتكلمين لما أحدثوا كلمات ليست ثابتة في الكتاب والسنة وتحمل إجمالاً في معانيها ، فإنهم ينكرون عليهم إطلاقها على ا تعالى ، كما أنهم لا ينفونها مطلقاً بل يسألون عن المعنى الذي يريده من تكلم بها .

ومسألة الجوهر والعرض من مصطلحات الفلاسفة وأهل المنطق ، ثم استعملت عند أهل الكلام ما بين منكر لها وناف ، وما بين مستعمل مقر لها ، أما أهل السنة فهم وسط في إنكارهم لها ووسط في قبولهم ، لما دلت عليه من معنى صحيح وإن كانوا ينصحون ويرشدون إلى اختيار الألفاظ الشرعية الواضحة السليمة من الإجمال والمعاني الباطلة .

وقد أوضح شيخ الإسلام – رحمه ا – ذلك فقال : ((إن لفظ الجوهر فيه إجمال ، وكذلك العرض له عدة معاني ، ثم قال : ومعلوم أن مذهب السلف والأئمة وعامة أهل السنة والجماعة إثبات صفات ا ، وأن له علماً وقدرةً وحياةً وكلاماً ، ويسمون هذه الصفات ، ثم منهم من يقول هي صفات وليست أعراضاً ، ومنهم من يقول تسمى أعراضاً ، ومنهم من يقول أنا لا أطلق ذلك بناء على أن الإطلاق مستنده الشرع ، والناس متنازعون هل يسمى ا بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع ، أم لا يطلق إلا ما أُطلق بنص أو إجماع ؟ على قولين مشهورين ، ثم وضح أنه في باب الأسماء لا يطلق مثل هذه المعاني لأن أسمائه كلها حسنى ، أما في باب الإخبار عنه فلا بأس إذا احتيج لذلك مثل ا قديم وموجود ونحو ذلك فلا حرج ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح ...))[1] .

وقال أيضاً : ((وكذلك لفظ الجسم والجوهر والعرض والتحيز والانقسام والتركيب معانيها في اصطلاح النظار غير معانيها في لغة العرب ، لكن هذه الألفاظ لم تستعمل في القرآن في الأمور الإلهية ، وكذلك غير طائفة من أهل الكلام

١ . الفتاوى ٩ / ٢٩٨ .

والفلسفة لفظ التوحيد والإيمان والسنة والشريعة ، ونحو ذلك من الألفاظ المستعملة في الأمور الإلهية .

والمقصود هنا أن السائل إذا سأل عن الأمور الدينية بألفاظ ليست مأثورة عن الرسول - ﷺ - في ذلك ، مثل سؤاله بلفظ الجهة والحيز والجسم والجوهر والمركب والمنقسم ونحو ذلك ، نظرنا إلى معنى لفظه فأثبتنا المعنى الذي أثبته ا ونفينا المعنى الذي نفاه ا ، ثم إن كان التعبير عن ذلك بعبارته سائغاً في الشرع وإلا عبر بعبارة تسوغ في الشرع ، وإذا كانت عبارته تحمل حقاً وباطلاً منع من إطلاقها نفياً وإثباتاً ...))[1] ثم ذكر أن لفظ الجسم والجوهر والعرض لم يرد في كتاب ا ولا سنة رسوله ولا كلام أحد من السلف والأئمة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية : ((إن القول بأن ا ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا داخل العالم ولا خارجه ونحو ذلك ، ليس هو قول أحد من سلف الأمة ، ولا أئمتها ، ولا له أصل في شيء من كتب ا المنزلة ولا آثار أنبيائه ، بل متواتر عن السلف والأئمة إنكار هذا الكلام وتبديع أهله))[2] .

المطلب الثالث : تأويله لصفة أصابع الرحمن :

نظراً لتأثر الغزالي بأهل الكلام الذين يؤولون صفات الرحمن - عز وجل - فإنه قد وقع في تأويل بعض الصفات ، فقال في تعليقه على حديث (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) : ((فا يتعالى من أن يكون له أصبع مركبة من لحم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ، ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير))[3] وقال في موضع آخر ((فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع

---

١ . درء تعارض العقل والنقل ١٠ / ٣٠٢ .

٢ . بيان تلبيس الجهمية ٢ / ٤٩٨ ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، دار القاسم – بالرياض .

٣ . الإحياء ٣ / ٣٦

الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين أي الملائكة والشياطين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب إلى حزب))[1] .

التعليق :

وهذا الكلام من الغزالي فيه إجمال أيضاً ، فإن قصد نفي مشابهة أصابع الرحمن لأصابع المخلوقين ، فهذا هو الحق الذي دلت عليه النصوص في الكتاب والسنة ، يقول الله تعالى : ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، ويقول سبحانه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] ، ويقول نعيم بن حماد : ((من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن نفى ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً))[2] .

ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله - في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة : ((ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله محمد - ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل))[3] .

وإن أراد إنكار صفة الأصبع للرحمن وإنكار الأنامل وتحريف معناه إلى أنها كناية عن سرعة التقليب ، فهذا من جنس فعل أهل التأويل والتعطيل .

وقد ثبت أن لله أصبعاً بل أصابع وأن له أنامل[4] ، ولا يلزم من إثباتها له أنها تشبه أصابع المخلوقين حتى نلجأ لتأويلها أو تحريف النصوص الواردة فيها ، بل نؤمن بها ونثبتها لله على وجه يليق بجلاله وعظمته ، أما كيفيتها وصورتها ، فهذه لا سبيل لنا لمعرفتها لأن كيفية الصفات لا يعلمها إلا الله تعالى ، كما أن كيفية الذات له سبحانه لا يعلمها إلا هو ، وهذا الذي عليه أئمة السلف ،

---

١ . الإحياء ٣ / ٦٣ .

٢ . الواسطية ص ٧ .

٣ . العقيدة الواسطية ص٧ .

٤ . حديث الأنامل هو الحديث المشهور باسم اختصام الملأ الأعلى وفيه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه لما نام وهو ساجد وفيه : ((فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري)) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٣/٥والترمذي ٤٦/٥ برقم ٣٢٨٨ كتاب التفسير باب تفسير سورة ص)وقال : حديث حسن صحيح ، وقال : سألت محمد بن إسماعيل البخاري فقال : هذا حديث حسن صحيح

وقد أورد الدارقطني أحاديث إثبات الأصابع ، مثل حديث ابن مسعود - رضي ا عنه - قال : ((أتى النبي - ﷺ - رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم أبلغك أن ا جعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع ... الحديث))[1] .

وكذلك حديث عبد ا بن عمرو أنه سمع رسول ا - ﷺ - يقول : (قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - كقلب واحد يصرفه كيف يشاء) ثم قال رسول ا - ﷺ - : (اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك[2]) [3] .

وقال العثيمين – رحمه ا - : ((حديث قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، هذا حديث صحيح رواه مسلم في كتاب القدر ثم قال : وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث ، وقالوا : إن تعالى أصابع حقيقية نثبتها له كما أثبتها له رسوله - ﷺ -[4] ...))[5] .

المطلب الرابع : ما يوجد في بعض كلامه مما يوهم الحلول والاتحاد :

يوجد في كلام الغزالي بعض الكلمات الموهمة للحلول والاتحاد والتي كانت هي وأمثالها سبباً لدخول عقيدة الحلول والاتحاد على المتصوفة ، حتى أصبح متأخروا المتصوفة كابن عربي والحلاج وابن سبعين غلاة في الحلول والاتحاد ، حتى قال

---

١ . أخرجه الترمذي ٥ / ٣٧١ ، ح ٣٢٣٨ ، من حديث عبد ا بن مسعود ، كتاب تفسير القرآن عن رسول ا ﷺ ، باب ٤٠ ومن سورة الزمر .

٢ . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب تصريف ا تعالى للقلوب كيف يشاء ، ٤ / ٢٠٤٥ ح ٢٦٥٤ .

٣ . انظر كتاب الصفات للدار قُطني ، ص ٥٧ – ٧١ ، تحقيق محمد بن يحيى الوصابي ، دار الصميعي للنشر ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .

٤ . انظر القواعد المثلى في صفات ا وأسماءه الحسنى ، لابن عثيمين ، ص٩٩ ، تحقيق أشرف عبد المقصود ، أضواء السلف الرياض ، طُبع ١٤١٦هـ

٥ . ينظر الاستزادة الشريعة للآجري ، ص ٣١٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، رقم ٢٨ ، ٩٤٠ ، وكتاب التوحيد لابن مندة ، ص ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة باب إثبات الأصابع عز وجل ، ص ١٨٧ وما بعدها ، وصفات ا عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف ص ٥٤ - ٥٥ .

قائلهم : ((سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء ولا مثلي صفة في الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو))[1] .

وبهذا نعلم أن فكر الغزالي ممزوج بالفلسفة والكلام والتصوف ، فهو فكر متناقض يجد فيه كل خرافي مبتدع ما يسند به مذهبه ، وكل مدافع عنه ما يدلل على أنه كان يدعو للسنة ، والحق يقال : أنها كانت سبباً ضل به من لا قدم له ولا علم بالكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن اهتدى بهديهم ، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - عن أحد كُتب الغزالي ، وهو " مشكاة الأنوار " – : ((وهذا الكتاب كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود))[2] .

وقال أيضاً : ((وبسبب كلام الغزالي في مشكاة الأنوار تشجع الاتحاديون الملحدون الذين قالوا بوحدة الوجود على ذلك ...))[3] .

ويقول شيخ الإسلام أيضاً : ((وهؤلاء – أي أهل وحدة الوجود – سلكوا في كثير من أصولهم ما ذكره أبو حامد ... ويجعلون ما أشار إليه أبو حامد من الكشف هو ما حصل لهم ، وأنه لتعبده بالشريعة لم يصل إلى القول بوحدة الوجود ، فهم ينتقصونه بما يحمده عليه المسلمون من الأقوال التي اعتصم فيها بالكتاب والسنة ...))[4] .

بل فطن لذلك بعض المستشرقين ، فيقول نيكلسون[5] : ((إن الغزالي أوسع المجال المجال لبعض الصوفية ووحدة الوجود ، أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف

---

١ . ينسب إلى أبي يزيد البسطامي – انظر تلبيس إبليس ص٤١٨ .

٢ . بغية المرتاد ، ص ١٨٩ .

٣ . درأ تعارض العقل والنقل ١٠ / ٢٨٣ .

٤ . شرح الأصفهانية ص ١٢٦ ، تحقيق : مخلوف .

٥ . نيكلسون : مستشرق إنجليزي من كبار المستشرقين الباحثين في مناهج المتصوفة وطرقهم ، وكان مهتم بالأدب العربي والشعر الفارسي ، ساهم في التعريف بالصوفية في مؤتمرات عالمية ، مات سنة ١٩٤٥م ، انظر موسوعة المستشرقين ص ٤١٥ ، ومن كلامه عن الصوفية : (ومن المعروف جيداً أن مذاهب الصوفية المسلمين وتأملاتهم أثرت في الإسلام تأثيراً قوياً ، وإلى حد ما فإنها توفر أرضاً مشتركة يمكن أن يلتقي فيها أُناس من ديانات مختلفة مع بقائهم مخلصين للديانة التي يؤمن بها كل واحد منهم ...) موسوعة المستشرقين ص ٤١٦ .

التصوف ، الذين كانوا إخواناً في ذلك الدين الحر بكُل ما تعنيه كلمة الـدين الحـر من معنى))[1] .

ولنبدأ أولاً بتعريف بعض المصطلحات المهمة ، ومن ذلك :

١ - الحلول :

* **لغةً :** النزول ، مصدر حل يحل إذا نزل بالمكان ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾[2] [الرعد : ٣١] .

* **الحلول اصطلاحاً :** - عند من يعتقده - هو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية ودخولها فيها ، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق[3] .

٢ - الاتحاد :

* **لغة :** مصدر من اتحد يتحد أي يصير المتعدد واحداً يقال اتحد الشيئان أو الأشياء أي صارت شيئا واحداً[4] .

* **والاتحاد اصطلاحاً :** هو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق فيكون بعـد الاتحـاد ذاتاً واحدةً[5] .

٣ - وحدة الوجود :

* **وحدة لغةً :** وحدة ، قال ابن فارس الواو والحاء والدال أصل واحد يـدل علـى الانفراد ، ووحد الشيء جعله واحداً والواحد المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير[6] .

* **الوجود لغةً :** الثبوت والحصول مصدر من وجِد الشيء ، ويطلق الوجود علـى الظفر بالضالة وإدراك المطلوب ، ويطلق أيضاً على الوصف الذي تشـترك فيـه الكائنات ويميزها عن المعدومات[7] .

---

١ . انظر كتاب التصوف الإسلامي لنيكلسون ص ١٠٤ ، ترجمة : د . أبو العلا عفيفي ، طُبع فـي القـاهرة ، لجنة التأليف والترجمة .

٢ . انظر مادة حلّ في القاموس المحيط ص ٩٨٦ ، ولسان العرب ١١ / ١٦٣ .

٣ . مجموع الفتاوى ٢ / ٣٨٦ .

٤ . انظر مادة وحد في القاموس المحيط ص ٣٢٤ ، ولسان العرب ٣ / ٤٤٦ .

٥ . مجموع الفتاوى ٢ / ٣٨٦ .

٦ . ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦ / ٩٠ ، والقاموس المحيط ص ٣٢٤ ، ولسـان العـرب ٣ / ٤٤٦ مادة وحد .

٧ . ينظر مادة وجد القاموس المحيط ص ٣٢٤ ، ولسان العرب ٣ / ٤٤٥ .

وحدة الوجود عند المتصوفة : هي اعتقاد أن الله تعالى هو كل شيء في العالم فهو والعالم شيء واحد ، فهم يعتقدون أن الله يتجلى في الكائنات ، وأن كل شيء هو الله ، وأن الله هو الموجودات والمعدومات والممتنعات ، فهم مضطربون في تحديده .

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه عن وحدة الوجود : ((اعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يتمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً ، فإن هذا لا يكون إلا للحق ، فأما القول الباطل إذا بين فبيانه يظهر فساده حتى يقال كيف اشتبه على أحد؟!!))[1] .

فالحلول والاتحاد وقع فيه متأخروا الصوفية ، قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية ، ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث))[2] .

وقال الغزالي في فضائح الباطنية : ((والحلول قد ذهبت إليه طوائف كثيرة فليس بطلان مذهب الحلولية ضرورياً فكيف يكون ضرورياً وفيه من الخلاف المشهور ما لا يكاد يخفى ، حتى مال إلى ذلك طائفة كبيرة من محققي الصوفية وجماعة من الفلاسفة ، وإليه أشار الحسين بن منصور الحلاج الذي صلب ببغداد حين كان يقول : أنا الحق ، أنا الحق . وكان يقرأ في وقت الصلب : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] ، وإليه أشار أبو يزيد البسطامي بقوله : سبحاني سبحاني ما أعظم شأني))[3] .

ومن كلمات الغزالي التي تجر إلى القول بوحدة الوجود ما ذكره بقوله : ((للتوحيد أربع مراتب – ثم ذكر ثلاث مراتب – ثم قال : والرابعة ألا يرى في الوجود إلا واحداً ، وهي مشاهدة الصديقين ... فلا يرى الكل من حيث أنه كثير ،

---

١ . حقيقة مذهب الاتحاديين ص٧ لابن تيمية . نقلاً عن وحدة الوجود عند الصوفية حقيقتها وآثارها عرض ونقد د . أحمد القصير ، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ١٤٢٠هـ .

٢ . مجموع الفتاوى ٢ / ٢٩٩ .

٣ . فضائح الباطنية ص ١٠١ .

بل من حيث أنه واحد ، وهذه الغاية القصوى في التوحيد ، فإن قُلت : كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ، فكيف يكون الكثير واحداً ؟؟ فاعلم أن هذا غاية علوم المكاشـفات وأسـرار هذا العلم لا يجوز أن تُسطر في كتاب ، فقد قال العارفون : إفشاء سـر الربوبيـة كفر ، إن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار ، فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبـارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحداً ، وباعتبار آخر سواه كثير ، وإلى هذا التوحيد أشار الحسين بن منصور الحلاج ...))[1] .

ومن أقواله أيضاً : ((أنه ذكر عن أحد المتصوفة أنه لما قُرئ عليـه قـول ا تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، قال بحق يحبهم ، فإنه لا يحب إلا نفسه ، قال الغزالي بعدها : على معنى أنه الكل وأنه ليس في الوجود غيره))[2] .

وقال أيضاً : ((النظر بعين التوحيد المحض يعرفك قطعاً أنـه الشـاكر وأنـه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب ، وهذا نظر مـن عـرف أنـه لـيس فـي الوجود غيره))[3] .

وللغزالي كلمات كثيرة في كتابه مشكاة الأنوار والمنقذ من الضـلال وغيرهـا ، كلها تدعو إلى وحدة الوجود ، تتبعها له الدكتور عبد الرحمن الوكيل[4] .

ولم يزل أئمة المتصوفة يطلقون مثل هذه العبارات بحجة الفناء وشـهود السـوى ، والإغراق في الفناء في إثبات الربوبية ، حتى وصل بهم الأمر إلى القـول بوحـدة الوجود ، أما ما وقع فيه ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين فهو أشهر من أن يذكر .

والقول بوحدة الوجود ترده النصوص الشرعية والأدلة العقلية والفطريـة ، فـإن الخالق المعبود سبحانه ليس هو العبد المخلوق أو غيره من المخلوقـات الأخـرى ، فكيف يسوى الخالق لكل شيء بالمخلوق العاجز ، يقول سبحانه : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

---

١ . الإحياء ٤ / ٢٤٥ – ٢٤٧ باختصار .

٢ . الإحياء ٤ / ٣٢٨ .

٣ . الإحياء ٤ / ٨٦ .

٤ . أنظر هذه هي الصوفية ص ٤٧ – ٥٦ .

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، أي : خـالق الجـن والإنـس والسـماوات والأرضين وجميع المخلوقات ، ولا يجوز أن يكون ا خالقاً لنفسه لأنه يستحيل ذلك ، فثبت أنه خالق لغيره ، وقال سبحانه : ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [المؤمنـون : ٨٨] ، فهو مالك للأشياء كلها والمالك يستحيل أن يكون مملوكاً ، فكيف يقال عنـه أنـه هـو والمخلوقات شيئ واحد ، فيكون مالكاً ومملوكاً في آن واحد .

ثم إن القول بوحدة الوجود فيه تسوية بخلقه ، وقد جاءت الآيات بالنهي عن ذلـك ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشـورى : ١١] ، فكيف يجعل مثل كل الأشياء ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ - ٤] ، فهذه السورة أظهرت بطلان وحدة الوجود من عدة أوجه :

أحدها : أنها دلت على أحديته في أفعاله وصفاته وأسماءه ، فكيف يقال هـو هـذا الوجود كله .

ثانيها : أنها دلت على أنه مستغنٍ عن غيره فـي قولـه ﴿ الصَّمَدُ ﴾ والمخلوقـات مفتقرة إليه ، فكيف يجعل المستغني عن غيره كالمفتقر إلى غيره .

ثالثها : أنها دلت على أنه لم يلد ولم يولد ، ومن جعله هو عين المخلوقات فقد كذب بهذه الآية ، لأن أكثر المخلوقات تلد وتولد .

رابعها : قوله ولم يكن له كفواً أحد ، أي ليس له شبيه ولا نظير ولا مكافئ واحد ، فكيف بمن جعله شبيهاً بالمخلوقات كُلها ، بل هو عين المخلوقات كلها ؟؟!!!! نسأل ا السلامة والعافية .

بل إن الشطحات الكُبرى للصوفية كدعوى سقوط التكاليف عنهم وأن فواحشـهم ومنكراتهم كرامات كله بسبب اعتقادهم بوحدة الوجود ، وأن أفعالهم هي أفعـال ا عز وجل ، تعالى ا عما يقولون .

لذا يقول أحدهم : ((جميع ما يصدر منهم – أي الخلق – من خير أو شـر هـو فعل ا وحده في الحقيقة وإن نُسب إليهم بحكم الشـريعة))[1] ، ويقـول الجيلـي : ((الموجودات بأسرها مطيعة ، فما ثم عاصٍ له من حيث الجملة في الحقيقة))[2] .

ويقول الدكتور زكي مبارك : ((القول بوحدة الوجود ليس إلا شطحة صـوفية ، وهو خطر كل الخطر في عالم الأخلاق ... فتأملوا أحوال الصـوفية ، فهـم فـي الأغلب من الذين سقطت عنهم التكاليف وعاشوا عيش التفكك والانحلال))[3] .

ويمكن حصر ما ذكره الغزالي في ربع المهلكات مما يوهم الحلول والاتحاد في ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ما ذكره من حديث ابن عمر وفيه ((... إن ا في قلوب عبـاده المؤمنين)) ، وما ذكره بقوله : ((وفي الخبر قال ا – سبحانه وتعـالى - : لـم تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع)) .

المسألة الثانية : ما ذكره عن عمر من قوله ((رأى قلبي ربي)) .

المسألة الثالثة : قوله : بالحضرة الربوبية وأنها محيطة بكل الموجودات .

وفيما يلي تفصيل الرد على كل مسألة وبا التوفيق .

المسألة الأولى :

ما ذكره من حديث ابن عمر مرفوعاً وفيه قال : ((قيل يا رسول ا أيـن ا ؟ في الأرض أو في السماء ؟ قال : في قلوب عباده المؤمنين))[4] .

هذا الحديث المروي عن ابن عمر هو حديث باطل مكذوب ، قال الحافظ العراقي : ((حديث ابن عمر أين ا ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهـذا اللفـظ ، وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبـي - ﷺ - قـال : (إن ـ

---

١ . انظر حاشية العروسي ١ / ٥٤ .

٢ . الإنسان الكامل ، للجيلي ١ / ٨٤ .

٣ . التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، د . زكي مبارك ١ / ١٨٢ .

٤ . الإحياء ٣ / ١٩ .

آنيةً من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ... الحديث)[1] وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس ولكنه صرح فيه بالتحديث))[2] .

قلت : ثم إنه يعارض حديث الجارية حينما سألها النبي - ﷺ - : (أين الله ؟ فقالت : في السماء . فقال : اعتقها فإنها مؤمنة)[3] .

وأما الحديث القدسي الذي أورده الغزالي وفيه : ((لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع))[4] قال عنه العراقي أيضاً : ((لم أر له أصلاً)) .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحـديث ، فقـال : ((هـو مـذكور فـي الإسرائليات وليس له إسناد معروف عن النبي - ﷺ - ، ومعناه : وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي وإلا فمن قال أن الله يحل في قلوب الناس فهـو أكفـر مـن النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده))[5] أ . هـ .

وقال السخاوي : ((ورأيت بخط الزركشي سمعت بعض أهل العلم يقـول : هـذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة ، وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا[6] لمقاصد يقصدها ، ويقول عند الوجد والرقص : طوفوا ببيت ربكم))[7] أ . هـ .

.

وقد وضح شيخ الإسلام – رحمه الله - أن مثل هذه الكلمات التي قد تصـدر مـن بعض العارفين كقول أحدهم : فلان ما في قلبه إلا الله ، وقوله – سبحانه وتعالى - في

---

١ . أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢ / ١٩ ، ح ٨٤٠ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٦٣ .

٢ الإحياء ٣ / ١٩

٣ . أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ١ / ٣٨١ ، ح ٥٣٧ .

٤ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

٥ . ينظر كلام شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى ٥ / ٨٧ ، مسألة ١٩ ، تحقيق : حسين محمـد مخلـوف ، دار المعرفة – بيروت ، ط ١ ، ١٣٨٦هـ .

٦ . علي بن الوفا : هو علي بن محمد بن وفا ، ولد صاحب الطريقة الوفائية ، ولد سنة ٧٦١هـ ومات سنة ٨٠١ ٨٠١ هـ ، انظر طبقات الشعراني ٢ / ٢٠ .

٧ . انظر كشف الخفا ٢ / ١٢٥٣ ، ح ٢٢٥٦ .

الحديث القدسي : (عبدي .. مرضت فلم تعدني ...)[1] ، وقوله – سبحانه وتعـالى - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] ، فإن المتكلم بها والمخاطب يعلم أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بالآخر ، قال : ((وقد يقال فلان ما في قلبه إلا ا وما عنده إلا ا يريد بذلك إلا ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته ... كما يقال فلان ما عنده إلا فلان إذا كان يلهج بذكره ويفضله على غيره ، وأيضاً فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة ، وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة ، كما يقـال فلان حال في قلبي وهو في سري وسويداء قلبي ونحو ذلك وإنما حـل فيـه مثالـه العلمي ، كما يقال إن ا في قلوب العارفين وحال فيهم والمراد به حلـول معرفتـه والإيمان به ومحبته ونحو ذلك ...))[2] .

فالأحاديث باطلة وما يتوهم من بعض النصوص أو ما يغلب علـى كـلام العبـاد والزهاد يحمل على حلول معرفته وخشيته ومحبته ، لكن هل وقف أتباع الغزالي هـذا الموقف المتجرد ؟ الجواب : لا ، بل قبلوا الأحاديث مع أنها مكذوبة لا وجود لها فـي الكتب المعروفة ، وحملوا معانيها على الحلول والاتحاد ، فا المستعان .

المسألة الثانية : ما ذكره عن عمر أنه قال : ((رأى قلبي ربي))[3] .

التعليق :

هذا الكلام لا يصح عن عمر – رضي ا عنه - وليس له ذكر في المصـادر ، وهو من كلام أهل التصوف ، وقد قرر شيخ الإسلام أن سلف الأمة وأئمتها متفقون على أن ا يرى في الآخرة وأنه لا يرى في الدنيا بالعين ، أما رؤية النبي - ﷺ - لربه بقلبه في الدنيا ففيها خلاف بين الصحابة – رضي ا عنهم - .

يقول شيخ الإسلام : ((وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي - ﷺ - أنه قـال : (واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت) ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتهـا

---

١ . أخرجه مسلم ٤ / ١٩٩٠ ، ح ٢٥٦٩ ، من حديث أبي هريرة ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضـل عيادة المريض .

٢ . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – لشيخ الإسلام ٣ / ٣٤٥ ، بتحقيق : د . علي بن حسن بن ناصر ، والدكتور عبد العزيز عسكر ، والدكتور حمدان بن محمد حمدان .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

على أن الله يرى في الآخرة ، وأنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ، وفي رؤية النبي - ﷺ - ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس ، فعائشة أنكرت الرؤية ، وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال : (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين) وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره : أنه أثبت رؤيته بفؤاده وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما ، هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة))[1] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((أما الرؤية ، فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين) وعائشة أنكرت الرؤية ، فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن " ابن عباس " هي مطلقة ، أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول : رأى محمد ربه ، وتارةً يقول رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه ، وكذلك الإمام أحمد – رحمه الله - تارةً يطلق الرؤية ، وتارة يقول : رآه بفؤاده ، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه ، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ، ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين .

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : (سألتُ رسول الله - ﷺ - : هل رأيتَ ربك ؟ فقال : نور أنى أراه) وقد قال – سبحانه وتعالى - : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] ، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ، وكذلك قوله : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ [النجم : ١٢] ، وقال أيضاً : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] ،

---

١ . الفتاوى ٢ / ٢٣ .

ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ، وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، قـال : هي رؤيا عين أريها رسول الله - ﷺ - ليلة أسري به[١] ، وهذه ((رؤيا الآيـات)) لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صدقه قـوم وكذبه قوم ، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه في شيء من أحاديث المعراج الثابتـة ولم يرد ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه .

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الـدنيا بعينه ، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد - ﷺ - خاصة ، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً ، كما يرون الشمس والقمر))[٢] .

قال ابن القيم : ((اختلاف الصحابة –رضي الله عنهم - : هل رأى ربـه تلـك الليلة ، أم لا ؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنـه قـال : (رآه بفؤاده)[٣] ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالا : (إن قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم : ١٣ - ١٤] إنما هو جبريل)[٤] .

وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ؟ فقال : (نـور أنـى أراه) أي : حال بيني وبين رؤيته النور ، كما قال في لفظ آخر : (رأيت نوراً)[٥] ، وقد حكـى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره))[٦] .

ثم نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – قوله : ((ولـيس قـول ابـن عباس : (إنه رآه) مناقضاً لهذا ، ولا قوله : ((رآه بفؤاده)) وقد صح عنه أنه قال :

---

١ . أخرجه البخاري ٢ / ١٤١٢ ، ح ٣٦٧٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب المعراج .

٢ . مجموع الفتاوى ٦ / ٥٠٩ .

٣ . أخرجه مسلم ، في كتاب الإيمان باب معنى قوله عز وجل : (ولقد رآه نزلةً أخرى) ، ٣ / ٨ ، ح ٤٣٥ – ٤٣٦

٤ . حديث عائشة ، أخرجه مسلم ٣ / ١٠ ، ح ٤٣٨ – ٤٣٩ – ٤٤٠ ، كتاب الإيمان ، باب معنى قولـه عـز وجل : (ولقد رآه نزلة أخرى) ، أما حديث ابن مسعود فأخرجـه مسـلم ٣ / ٦ ، ح ٤٣١ – ٤٣٢ ، كتـاب الإيمان ، باب قول الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) .

٥ . أخرجه مسلم ٣ / ١٥ ، ح ٤٤٢ – ٤٤٣ ، كتاب الإيمان ، باب قوله ﷺ : " نور أنى أراه " .

٦ . زاد المعاد ٣ / ٣٦ ، وانظر كلام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ص ١٢٤ .

((رأيت ربي تبارك وتعالى))[1] ولكن لم يكن هذا في الإسراء ، ولكـن كـان فـي المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد – رحمه ا - وقال : نعم رآه حقاً ، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد ، ولكن لم يقل أحمد - رحمه ا - : إنه رآه بعينـي رأسه يقظةً ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم ، ولكن قال مرةً : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ... فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصـحابه : أنه رآه بعيني رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك .

وأما قول ابن عباس : أنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١] ، ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم : ١٣] ، والظاهر أنه مستنده ، فقد صح عنه - ﷺ - أن هذا المرئي جبريل ، رآه مرتين في صورته التي خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد في قولـه : ((رآه بفؤاده ، وا أعلم))[2] .

وحاصل ما ذكر أهل السنة أن رؤية محمد - ﷺ - لربه بفؤاده ، قال بهـا ابـن عباس وأبو ذر وأنس والحسن وعكرمة والإمام أحمد ، وحكى شيخ الإسلام أن هذا قول أهل السنة ، وأنكرت عائشة وابن مسعود ذلك ، بل حكى عثمـان بـن سـعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره ، والذي يظهر من النصوص أن النبي - ﷺ - رأى ربه في منامه وهو ساجد ، ورؤيا الأنبياء حق ، وأن الذي رآه في المعراج هو جبريل ، وبهذا تجتمع أقوال الصحابة .

فإذا كان هذا الخلاف في رؤية النبي - ﷺ - لربه بقلبه فكيـف يـزعم شـيوخ المتصوفة أن أحدهم يرى ربه بقلبه عدة مرات ؟!! ويستدلون بهذا الأثر الموضـوع عن عمر - رضي ا عنه - .

---

١ . أخرجه الترمذي ٥ / ٣٦٦ ، ح ٣٢٤٧ – ٣٢٤٨ – ٣٢٤٩ ، وقال حديث حسن صحيح ، وقـال : سـألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : حديث حسن صحيح .

٢ . زاد المعاد ٣ / ٣٠ .

المسألة الثالثة : قوله بالحضرة الربوبية :

الحضرة الربوبية في مفهوم الغزالي : هي تجلي عالم الملك والملكوت ، وعالم الملك عنده الشهادة والسماوات والأرض ، وأما عالم الملكوت فهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار ، لذا يقول الغزالي : ((من ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه ، فيرى جنة عرض بعضها السماوات والأرض ، وأما جملتها فأكثر سعة من السماوات والأرض ، لأن السماوات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناهي في الجملة ، وأما عالم الملكوت فهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له ، وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تُسمى الحضرة الربوبية ، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات ، إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله ، فما تجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق))[1] .

التعليق :

هذه هي الدرجة الثالثة عند القائلين بالكشف ، وهو دعواهم أنه يتجلى للعبد الذي روض نفسه بالعبادة والتقوى أمور غيبية ، فيتجلى له صورة الذات الإلهية مثلاً أو الجنة أو النار ، والتحقيق في هذا : أن ما يتجلى للذهن هو نور الإيمان وأثر العبادات ، تُضفي على قلبه يقيناً حتى يستشعر حقيقة الغيب ، لذا يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : ((ومن ظن من القوم أن كشف العين ظهور الذات المقدسة لعيانه حقيقة ، فقد غلط أقبح الغلط وأحسن أحواله أن يكون صادقاً ملبوساً عليه ، فإن هذا لم يقع في الدنيا لبشر قط وقد منع منه كليم الرحمن ، وقد اختلف السلف والخلف هل حصل هذا لسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه ؟ فالأكثرون على أنه لم ير الله سبحانه ، وحكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً من الصحابة ، فمن ادعى كشف العيان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ ، وإن قال إنما هو كشف العيان القلبي بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مريء للعباد كما قال رسول الله

---

١ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

- ﷺ - : (اعبد ا   كأنك تراه) فهذا حق وهو قوة يقين ومزيد علم فقط ، نعم قـد يظهر له نور عظيم فيتوهم أن ذلك النور الحقيقة الإلهية وأنها قد تجلت لـه وذلـك غلط ، فإن نور الرب تعالى لا يقوم له شيء ، ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ الجبل وتدكدك ... وهذا النور العظيم الذي يظهر للصادق هو نور الإيمان الذي أخبر ا   عنه في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] ، قال أبي بن كعب : (مثـل نوره في قلب المؤمن) ... وسر المسألة أن أحكام الطبيعة والنفس شيء ، وأحكام القلـب شيء ، وأحكام الروح شيء ، وأنوار العبادات شيء ، وأنوار استيلاء معـاني الصـفات والأسماء على القلب شيء ، وأنوار الذات المقدسة شيء وراء ذلك كله ، فهذا الباب يغلط فيه رجلان ، أحدهما : غليظ الحجاب كثيف الطبع ، والآخر : قليل العلم ملتبس عليه مـا بالذهن بما في الخارج ، ونور المعاملات بنور رب الأرض والسماوات))[١] .

ثم وضح ابن القيم أن النفس إذا صفت وارتاضت وفارقة الشهوات والرذائل صارت روحانية تجلت لها صورة معتقدها كما اعتقدته ، فيقع الغلط من وجهين :

الوجه الأول : أن يظن أن ذلك ثابت في الخارج كما هو في الذهن .

والوجه الثاني : ظنه أن الأمر كما اعتقده وأن ما في الخارج مطابق لاعتقاده .

فيتولد من هذين الغلطين مثل هذا الكشف والشهود كما يدعي ذلك القائلون بوحدة الوجود وأنه كُشف لهم أن الأمر كما قالوه ، وشاهدوه في الخارج كذلك عياناً[٢] .

وأما قول الغزالي : ((إنه إذا ارتفع الحجاب تجلى له صورة الملك والملكوت))[٣] ، فهذه دعوة باطلة من وجوه :

أولاً : أن ذلك من علم الغيب ، الذي لا يعلمه إلا ا   ، ولا يطلع عليه إلا من شـاء من عباده ، وليس أمراً مقدوراً أو مدركاً بالرياضة ، قال سـبحانه : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] .

---

١ . مدارج السالكين ص ٨٧٧ .

٢ . مدارج السالكين ص٨٨١ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

ثانياً : من أين له القطع بأن ما تجلى له هو صورة الملك والملكوت ، وفي الحقيقة إنما هي أضغاث أوهام كما يكون للنائم أضغاث أحلام .

ثالثاً : أنه ليس في مقدور القدرة البشرية المجردة الإطلاع على جميع عالم الملك والملكوت مرة واحدة ، فإذا كان عالم الملك والشهادة ليس مقدوراً على الإحاطة بالنظر إليه مرة واحدة ، فكيف بعالم الملك والملكوت .

المبحث الرابع : اعتماده على طريق الإلهام والكشف الصوفي

التمهيد

يلحظ من كلام الغزالي : أن علوم الصوفية لا تعتمد على الكتاب والسنة ، ولا على العقل واستدلالاته ، ولا على التجربة والحس لأن هذه المصادر – في اعتقادهم – لا تفيد اليقين ، بل هي من قبيل الأوهام والظنون ، فلا سبيل إلى القطع بها ، ولهذا جاءت وصايا الصوفية وأقوالهم بالاعتداد والاعتماد على علومهم الكشفية واطراح ما سواها .

كما أنهم ادعوا أن علومهم الكشفية تنال بتقديم المجاهدات والرياضات بطرق مبتدعة اتفقوا عليها ، زعموا أن القلوب تتصفى بواسطتها من الكدورات وتنزاح عنها الحجب الظلمانية ، وتتهيأ لانتقاش العلوم عليها من الملأ الأعلى ويبلغ بها الصفاء إلى تحصيل المخاطبات والمشاهدات التي لا تنال إلا بسلوك طريق التصوف ، ويستغني بهذا الفتح والجود الإلهي عن مطالعة الكتب ومدارسة العلم .

وقبل مناقشة الغزالي في ذلك لعلنا نبدأ بتعريف لبعض المصطلحات الصوفية التي ذكرها الغزالي في أثناء كلامه عن الكشف ليتضح للقارئ معنى كلام الغزالي ، فمنها :

١ - الكشف :

*** لغةً :** الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سرو الشيء كالثوب يسرى عن البدن يقال : كشفت الثوب وغيره اكتشفه والكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه وكشف الأمر يكشفه كشفاً : أظهره[١] .

---

١ . لسان العرب ٩ / ٣٠٠ ومعجم مقاييس اللغة ٥ / ١٨١ مادة كشف .

* **الكشف في اصطلاح الصوفية :** هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعـاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً[1] .

٢ - الإلهام :

* **لغة :** ما يلقى في الروع أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبعـث علـى الفعل والترك[2] .

* **وفي الاصطلاح :** إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر ويطمئن ويسكن من غيـر استدلال بآية ولا نظر في حجة يخص به الله تعالى بعض أصفيائه[3] .

وقد يسمى بالعلم اللدني ، قال ابن القيم – رحمه الله - : ((والعلم اللدني هـو العلـم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد ولا استدلال ولهذا سمي لدنياً ...))[4] .

وبعضهم يفرق بين العلم اللدني والإلهام فيجعل الإلهام ما يلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك ، والعلم اللدني يكون في أصل الخلقة والجبلـة كعلـم الحيوانات والأطفال الصغار لبعض منافعهم ومضارهم فهو علم ضروري[5] .

٣ - الهواتف :

* **لغةً :** الهتف والهتاف الصوت الجافي العالي ، وقيل : الصوت الشديد وقد هتـف به هتافاً أي صاح ، وهتفت بفلان أي دعوته وهتفت بفلان أكره مدحتـه وسـمعت هاتفاً يهتف : إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحداً[6] .

* **واصـطلاحاً :** هو ما يسمع من الكلام دون رؤية من تكلم به ، وقد يكون الخطاب من الجان أو من الشيطان أو من الملك[7] .

ومن خلال كلام الغزالي عن الكشف واستدلالاته عليه تم حصر المآخذ العقديـة على كلامه في ثلاثة مطالب ، هي :

---

١ . معجم المصطلحات الصوفية ص٢٢٥ .

٢ . لسان العرب ١٢ / ٥ .

٣ . التعريفات للجرجاني ص٣٤ .

٤ . مدارج السالكين ص١٠٠٥ .

٥ . الفتوحات المكية ١ / ٢٨٧ .

٦ . لسان العرب ٩ / ٣٤٤ ، مادة هتف .

٧ . مدارج السالكين ص ٥٤ .

المطلب الأول : حقيقة الكشف عند الغزالي .

المطلب الثاني : طريقة الكشف عند الغزالي .

المطلب الثالث : مناقشة أدلة الغزالي على الكشف .

المطلب الأول : حقيقة الكشف عند الغزالي :

ألف الغزالي كتابه هذا في مرحلة تأييده للطريقة الصوفية ، وهو يقوم على تلقي العلم الإلهي عن طريق الكشف والإلهام ، لذا كرر الغزالي في كتابه التنويه بهذه الطريقة والإشادة بها وبيان طريق الوصول للكشف بتزكية القلب عن الشواغل والقواطع وكثرة الذكر والخلوة ، ومما قاله في هذا الباب : ((... إن العلوم تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ، ولبعضهم بتعلم واكتساب ... يقول تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر : ٢] ،

وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى ، غير مضنون بها على أحد ، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى ، كما قال - ﷺ - : (إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها)[١] ، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة))[٢] .

التعليق :

يلحظ في كلام الغزالي تقريره لحصول العلم بإلهام إلهي لكل أحد ، وهذا ليس على إطلاقه ، فالعلوم التي تحصل عن طريق الإلهام والمكاشفة لا تحصل لكل أحد ، بل هي مما يخص الله به أهل الإيمان والتقوى كسائر العلوم ، ثم من حصل له إلهام أو مكاشفة فإنها ليست علوم يقينية ، بل لا بد أن تُعرض على الكتاب والسنة ، فإن وافقتها وليس فيها مخالفة لهما قُبلت وإلا ردت .

---

١ . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩ / ٣٣٣ ، ح ٥١٩ ، من حديث محمد بن مسلمة ، وضعفه الألباني ، في ضعيف الجامع ، برقم ١٩١٧ ، وأورد الألباني له شاهداً حسناً في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠ ، بلفظ : (افعلوا الخير دهركم وتعرضوا نفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات ... الحديث) .

٢ . الإحياء ٣ / ١٦ .

وأيضاً يلحظ أن الغزالي جعل لحصول الكشف والإلهام طريقاً محدثاً ، وهو تطهير القلب وتزكية النفس برياضات اخترعها العباد والزهاد كالجوع المفرط والسهر المرهق وإهانة النفس ونحو ذلك .

وهذه الطريقة لا وجود لها في كلام الله تعالى ولا في كلام رسوله - ﷺ - ، ولا في كلام أئمة السلف رحمهم الله .

لذا وضح شيخ الإسلام هذا الأمر بقوله : ((العلماء لا ينكرون بأن للزهد والتقوى أثراً في التوفيق إلى درك العلوم ومعرفتها ، لكن بالزهد الشرعي السني لا البدعي الصوفي ، وهم كذلك لا يجعلون مجرد التقوى والتصفية سبباً لحصول العلم بلا استدلال شرعي أو عقلي . كما يقابل هؤلاء من ينكر الطريقة الأولى ، ويقصر حصول العلم على مجرد الاستدلال ، وقوم يقولون : لا أثر لذلك بل الموجب للعلم : العلم بالأدلة الشرعية ، أو العقلية ، وأما الوسط : فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم ، بل هو شرط في حصول كثير من العلم ، وليس هو وحده كافياً ، بل لا بد من أمر آخر ، إما العلم بالدليل فيما لا يعلم إلا به ؛ وإما التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية .

وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ، ويسعد به العباد ؛ فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل ... فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به ، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل .

وأضل منهما من سلك في العلم أو سلك في الزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف ، بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ، ولا اعتبار العمل بالعلم ، فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع ، وأعرض أولئك عن العمل والشرع ، فضل كل منهما من هذين الوجهين ، وتباينوا تبايناً عظيماً ، حتى أشبه هؤلاء المغضوب عليهم ، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين ، بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى ، كالقرامطة ، والاتحادية ، وأمثالهم من الملاحدة والفلاسفة))[1] .

وقال أيضاً : ((وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ، ولا دين ، ولا تزكية للنفس ، وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريقة

---

١ . مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٤٦ – ٢٤٨ .

الرياضة بمجردها تحصل المعارف ، بلا تعلم ولا نظر ، ولا تدبر للقرآن والحديث ، وكلا الفريقين غالطٌ ، بل لتزكية النفس ، والعمل بالعلم ، وتقوى ا تأثير عظيم في حصول العلم ، لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك ، إلا بنظر وتدبر ، وفهم لما بعـث ا به الرسول ، ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد ؛ لم يعرف ما خص ا به محمداً - ﷺ - إن لم يعرف ذلك من جهته ... وكذلك لو جاع ، وسهر ، وخلا ، وصمت ، وفعل ما عسى أن يفعل لا يكون مهتدياً إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية ، وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول))[1] .

وقال الإمام ابن القيم : ((... وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سـبب مـن الاستدلال فليس بصحيح ، فإن ا سبحانه ربط التعريفات بأسبابها كما ربط الكائنات بأسبابها ، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدل عليه ، وقد أيـد ا سـبحانه رسـله بأنواع الأدلة والبراهين ، التي دلتهم على أن ما جاءهم هو من عنـد ا ، ودلـت أممهم على ذلك ، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند ا ... فكل علم لا يستند إلى دليل ؛ فدعوى لا دليل عليها ، وحكم لا برهان عنـد قائله ، وما كان كذلك لم يكن علماً فضلاً أن يكون لدنياً ، فالعلم اللدني : مـا قـام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند ا على لسان رسله ، وماعداه : فلـدني مـن لدن نفس الإنسان منه بدأ وإليه يعود ، وقد انبثق سد العلم اللدني ، ورخص سـعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني وصار كل من تكلـم فـي حقـائق الإيمـان والسلوك ، وباب الأسماء والصفات بما يسنح له ويلقيه شيطانه في قلبـه يـزعم أن علمه لدني ، فملاحدة الاتحادية ، وزنادقة المنتسبين إلى السلوك يقولون : إن علمهم لدني ، وقد صنف في العلم اللدني متهوكو المتكلمين وزنادقة المتصوفين ، وجهلـة المتفلسفين ، وكل يزعم أن علمه لدني . وصدقوا وكذبوا فإن (اللدني) منسوب إلى (اللدن) بمعنى (عند) ، فكأنهم قالوا : العلم العندي ، ولكن الشأن في هذا العلـم من عنده ومن لدنه .

---

١ . منهاج السنة النبوية ١ / ٩٦ – ٩٧ .

وقد ذم الله تعالى بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] ، فكل من قال : هذا العلم من عند الله – وهو كاذب في هذه النسبة – فله نصيب وافر من الذم ، وهذا في القرآن كثير ، يذم الله سبحانه وتعالى من أضاف إليه ما لا علم له به ، ومن قال عليه ما لا يعلم ، ولهذا رتب سبحانه المحرمات أربع مراتب ، وجعل أشدها : القول عليه بلا علم ، فجعله آخر المحرمات التي لا تباح بحال ، بل هي محرمة في كل ملة ، وعلى لسان كل رسول . فالقائل : إن هذا علم لدني لما لا يعلم أنه من عند الله ولا قام عليه برهان من الله أنه من عنده : كاذب مفتر على الله وهو من أظلم الظالمين وأكذب الكاذبين))[1] .

قال ابن القيم : ((أن هؤلاء المعرضين عن الأدلة السمعية المعارضين لها إذا فعلوا ذلك لم يبق لهم إلا طريقان ، إما طريق النظار وهي الأدلة القياسية العقلية وإما طريق الكشف وما يدرك بالرياضة وصفاء الباطن وكل من هاتين الطريقتين باطلة أضعاف حقه ، وفيها من التناقض والاضطراب والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد ، ولهذا نجد غاية من سلك الطريق الأولى الحيرة والشك ، وغاية من سلك الطريق الثانية الشطح ، فغاية أولئك عدم التصديق بالحق ، وغاية هؤلاء التصديق بالباطل ، وحال أولئك تشبه حال المغضوب عليهم ، وحال هؤلاء تشبه حال الضالين ، ونهاية أولئك التعطيل والنفي ، ونهاية هؤلاء الإلحاد والقول بالوحدة والاتحاد ، ولهذا لما وصل حذاقهم في طريق النظر إلى آخرها ورأوا غوائلها وآفاتها ورأوها لا توصل إلى المطلوب الصحيح ، رجعوا إلى طريق الوحي والآثار النبوية كما صرح به الرازي وابن أبي الحديد وأبو حامد وأبو المعالي وغيرهم واعترفوا في آخر الأمر أن الطرق كلها مسدودة إلا طريق الوحي والأثر))[2] .

وقال ابن القيم : ((فالكشف الصحيح أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه معاينة لقلبه ، ويجرد إرادة القلب له فيدور معه وجوداً وعدماً ، هذا هو التحقيق الصحيح وما خالفه فغرور ... والكشف قد يكون شيطاني كما يحصل لبعض

---

١ . مدارج السالكين ص ١٠٠٥ .

٢ . الصواعق المرسلة ٣ / ١١٦٦ .

النصارى وعابدي النيران والصلبان والسحرة والكهان ، وإما كشفاً رحمانياً كما حصل لأبي بكر لما قال لعائشة – رضي الله عنها - : أن امرأته حامل بأنثى ، وكما كُشف لعمر ، فقال : يا سارية الجبل ... وأفضله وأجله أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها ، وعن عيوب نفسه ليصلحها ، وعن ذنوبه ليتوب منها))[1] .

وقال ابن الجوزي في بيان ضوابط الإلهام : ((لا ننكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي - ﷺ - : (إن في أمتي محدثين وإن يكن في أمتي فعمر)[2] والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه ... وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبها للخير ويلهم الرشد ، فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو وسوسةٌ من الشيطان .

واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية ، فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا ، وأما قولهم : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه لا يدري ما في ضمن هذا القول وإلا فهذا طعن في الشريعة ... وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤوساً في القرآن والفقه والحديث والتفسير لكن هؤلاء يعني المتأخرين أحبوا البطالة))[3] .

بل إن أهل العلم جعلوا شروطاً لقبول الإلهام ، ومنها :

١ – ألا يخالف الإلهام حكماً شرعياً دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، لأنهما من عند الله ، فإذا عارضهم الإلهام فلا عبرة به ، وحينئذ يكون الإلهام ليس من الله بل هو إما حديث نفس أو شيطان .

٢ – اشترطوا للأخذ بالإلهام أن يكون في باب الترجيح إذا اشتبهت المسألة وتعارضت أدلتها ، لذا يقول شيخ الإسلام : ((فليس الإلهام وحده دليلاً على الأحكام

---

١ . مدارج السالكين ص ٨٧٥ .

٢ . أخرجه البخاري ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر ٢ / ١٣٤٩ ، ح ٣٤٨٦ .

٣ . تلبيس إبليس ص ٣٩٢ .

الشرعية ، لكنه قد يرجح به طالب الحق أحد الأقوال التي تتكافأ فيها الأدلة السمعية الظاهرة ، فالترجيح بإلهام خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين))[١] .

فالترجيح بالإلهام هنا كان على سبيل الاستئناس والاعتضاد ، كما يرجح أحياناً بالقياس أو بما تقتضيه المصلحة .

٣ – ألا يعتقد أنها حكم ا تعالى ، بحيث يلتزم بها كالتزامه بما دلت عليه نصوص القرآن والسنة بل ولا يلزم بها غيره ، وإنما هي أقرب للصواب عنده[٢] .

٤ – من شروط العمل بالإلهام : أن يكون العامل بها على قدر من التقوى والإيمان والإتباع للسنة ، طالباً للحق ومتجرداً له ، فإن مثل هذا حري بالتوفيق والتسديد من ا سبحانه وتعالى ، أما منحرف العقيدة وأهل المحدثات والبدع فإن أحدهم حري بتلبيس الشيطان وقلة التوفيق من ا سبحانه وتعالى .

المطلب الثاني : طريق حصول الكشف عند الغزالي :

أوضح الغزالي أن طريق حصول الكشف يكون بتصفية القلب وتزكية النفس من حظوظها وشهواتها ، فقال مبيناً أن صفاء القلب يكون بالتقوى والذكر فقال : ((التقوى باب الذكر ... والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء ا))[٣] .

وقال : ((... إذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ا تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه ، فيرى جنة عرض بعضها السماوات والأرض ... وجملة عالم الملك والملكوت تسمى الحضرة الربوبية))[٤] ، فقال : وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه ، أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ... الخ))[٥] .

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٧٧ .

٢ . ينظر المعرفة في الإسلام ، لشيخنا د . عبد ا القرني ، ص ٨١ – ٨٣ ، بتصرف .

٣ . الإحياء ٣ / ١٧ .

٤ . الإحياء ٣ / ٢٠ .

٥ . الإحياء ٣ / ٩٩ .

وهكذا أورد الغزالي أن الجوع والسهر والصمت سبب لحصول الكشف ، فهـذه الطريقة من الخلوة في مكان مظلم وملازمة الذكر والإعراض عن الخلق ، مع شدة الجوع والسهر سبب لحصول الكشف وطريق للفوز به[1] .

التعليق :

أين في القرآن والسنة ما يدعون إلى مثل هذه الخلوة المظلمة ، وهذه المحـدثات التي يدعو لها الغزالي ، فيجعلها سبباً لنيل أشرف العلوم عنـده ، وهـو الكشـف والإلهام ، وعند التأمل في هذه الطريقة ، نجد أنها طريـق للوسوسـة والخيـالات الفاسدة والتلبسات الشيطانية ، وليست طريقاً للعلوم الإلهية والكشوفات الرحمانية .

لذا أطال شيخ الإسلام ابن تيمية النفس في بيان فساد هذه الطريقة ، ومـا يـنجم عنها من مضار ، فقال : ((... ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجـنس العبادات الشرعية : الصلاة ، والصيام ، والقراءة ، والذكر ، وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، فمن ذلك : طريقة أبي حامد ومن تبعه ...))[2] .

ثم بين – رحمه الله - أن الإنسان إذا فرغ قلبه من كل شيء ، ومن كل خاطر ، فمن أين له أن يعلم أن ما يحصل في قلبه يكون حقاً ؟ فإما أن يعلم ذلـك بطريـق العقل أو السمع وكلاهما لم يدلا على ذلك ، بل إن الذي دل عليه السمع والعقـل أن القلب إذا فرغ من كل شيء حلت فيه الشياطين ، ثم تنزلت عليه الشـياطين ، كمـا كانت تتنـزل على الكهان ، لأن الشيطان إنما يمنعه من دخول القلب ما فيـه مـن ذكر الله الذي أرسل به رسله ، فإذا خلا تولاه الشيطان .

ولو كانت هذه الطريقة حقاً ؛ فإنما تكون في حق من لم يأته رسول ، فأما من أتاه رسول وأمر بسلوك طريقه ؛ فمخالفته ضلال . والذي أمر به خاتم الرسـل - ﷺ - من العبادات والأذكار ، ليس منها قط تفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ما ينـزل عليه ، فهذه الطريقة لو قدر أنها طريقة لبعض الأنبياء ؛ لكانت منسـوخة بشـرع

---

١ . الإحياء ٣ / ٩٩ .

٢ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٩٦ .

محمد - ﷺ - ، فكيف وهي طريقة جاهلية ، لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريق الاتفاق ، بأن يقذف الله في قلب العبد إلهاماً ينفعه ، وهذا قد يحصل لكل أحد ليس هو من لوازم هذه الطريق .

أما التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول ، فهو أن يفرغ العبد قلبه مما لا يحبه الله ، ويملؤه بما يحبه الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله ، فهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه ، لا يناقضه وينافيه))[1] .

وقال ابن الجوزي متعقباً لكلام الغزالي في شرح طريق الإلهام والكشف من الخلوة والمجاهدات والانقطاع عن المال والأهل والولد وعن القرآن والحديث[2] .

قال : ((عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه أنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم ، وعلى هذا المذهب ، فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار ، فإنهم ما سلكوا هذا الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عنده من العلم ما يطرد ذلك ، فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة ، ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى ، فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه ، فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها ، فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء بسبب قد نهى عنه كما لا تستباح الرخص في سفر قد نهي عنه ، ثم لا تنافي بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها ، وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم ، فتارة يفعلون المنهي عنه ، وتارةً يؤثرون ما غيره أولى منه ، وإنما يفتي في هذه الحوادث العلم ، وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان))[3] .

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٩٩ .

٢ . الإحياء ٣ / ٢٦ .

٣ . تلبيس إبليس ص ٣٩٣ .

ثم نقل عن سهل بن عبد ا التستري أنه أوصى فقال : ((إن استطعتَ أن تلقى ا وبيدك المحبرة والكتاب فافعل)) .

وقوله : ((العمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة وتقوم السنة على التقوى)) .

وقوله : ((احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق)) .

وقوله : ((ما من طريق إلى ا أفضل من العلم ، فإن عدلت عن طريق العلم خطوة ، تهت أربعين صباحاً))[1] .

وبهذا نعلم أن ما استدل به من الآيات والأحاديث الآمرة بمجاهدة النفس ولزوم التقوى ، وأن ذلك سبباً للهداية والتوفيق ، المقصود بها مجاهدتها على ما وافق الشريعة بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، حينها يكون الإلهام توفيقاً وهدايةً ، أما إذا جاهدها بالبدع والمحدثات ، كان الإلهام خيالات فاسدة وتلبسات شيطانية .

وقال ابن القيم – رحمه ا - : ((ومن كيده – أي الشيطان – ما ألقاه على جهال المتصوفة من الشطح والطامات ، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات ، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات ، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات ، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقاً إذا سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان ، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن ، فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها ، وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا ، وأهل الرياسة والفقهاء ، وأرباب العلوم ، والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء ، حتى يتنقش فيه الحق بلا واسطة تعلم ، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول ، نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل ، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفاً وعياناً ، فإذا أنكره ورثة الرسل قالوا : لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ، ولكم الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ، ولكم القشور ولنا اللباب ، فلما أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات ، وأوهمهم أنها من الآيات البينات ، وأنها من قبل ا سبحانه إلهامات وتعريفات ، فلا تعرض على السنة والقرآن ، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان ،

---

١ . انظر تلبيس إبليس ص ٣٩٤ .

فلغير الله سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان ، وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم))[1] .

المطلب الثالث : مناقشة أدلة الغزالي على الكشف :

استدلال الغزالي على حصول العلوم بالكشف والإلهام بأدلة منها :

١ – استدل بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ثم قال : ((فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم ، فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال - ﷺ - : (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووفقه فيما يعمل ، حتى يستوجب الجنة ، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ، ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار) ...)) .

٢ – واستدل الغزالي بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق : ٢] ، قال : ((أي من الإشكالات والشبه ، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٣] ، قال : أي يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنة من غير تجربة)) .

٣ – واستدل بقوله تعالى : ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، قيل : ((نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، لذلك كان - ﷺ - يكثر في دعاءه من سؤال النور ، فقال : (اللهم أعطني نورا وزدني نورا وفي قبري نورا ... الحديث) ، وسئل - ﷺ - عن قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، ما هذا الشرح ؟ فقال : (هو التوسعة ، إن النور إذا قُذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح) ، قال - ﷺ - لابن عباس : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) وقال علي رضي الله عنه : (ما عندنا شيء أسره النبي - ﷺ - إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه وليس هذا بالتعلم) ...)) .

---

٢ . إغاثة اللهفان ١ / ١٨٨ – ١٨٩ .

٤ – واستدل بقوله تعالى : ﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، قيل في تفسيرها (إنه الفهم في كتاب ا) .

٥ – واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ، خص ما انكشف باسم الفهم ، وكان أبو الدرداء يقول : ((المؤمن ينظر بنور ا من وراء سترٍ رقيق ، ووا إنه للحق يقذفه ا في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم)) قال بعض السلف : ((ظن المؤمن كهانة)) .

٦ – واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] ، وبحديث : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور ا تعالى) .

٧ – واستدل بقوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] ، وروى الحسن عن رسول ا - ﷺ - أنه قال : (العلم علمان ، فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع) .

٨ – واستدل بقوله - ﷺ - : (إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين ، وإن عمر منهم) وقرأ ابن عباس – رضي ا عنهما - : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) يعني : (الصديقين ، والمحدث هو الملهم ، والملهم هو الذي كشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة) .

٩ – قال والقرآن يصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف ، وذلك علم من غير تعلم قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨][١] .

١٠ - ومن أدلته القياس ، حيث قاس الكشف على الرؤيا وقاس الولي على النبي ، حيث يقول : ((والدليل القاطع الذي لا يستطيع أحد على رده أمران :

أ - عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب ، وإذا جاز ذلك فلا يستحيل أيضاً في اليقظة ، لأن النوم لا يفارق اليقظة إلا في ركود الحواس .

---

١ . الإحياء ٣ / ٣١ – ٣٣ .

ب - إخبار الرسول - ﷺ - عن الغيب وأمور في المستقبل ... وإذا جاز ذلك للرسول جاز لغيره ، إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور ، وشغل بإصلاح الخلق ، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق ، والأول يسمى نبياً والثاني يسمى ولياً))[1] .

التعليق :

ويلحظ في أدلة الغزالي أنه استدل على الكشف بأدلة من القرآن ومن الأحاديث ومن القياس ، والجواب عليها كما يلي :

أولاً : مناقشة أدلته من القرآن على الكشف :

يمكن تقسيم أدلة الغزالي من القرآن والجواب عنها كما يلي :

١ - آيات التقوى ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

فالجواب عنها :

أنه لا يشك أحد أن في تحقيق التقوى أثراً في حصول العلم ، وسبباً للهداية له ، والتوفيق فيه ، لكن دعوى الغزالي إن ملازمة التقوى مع رياضة النفس بالخلوة أو الجوع والسهر ونحوه مع ترك الانشغال بالقرآن والحديث ، هو سبب الحصول على العلم ، بل على أعلى درجاته كما يزعم وهو الكشف ، هذا إلغاء لنصوص كثيرة رغبت في العناية بالقرآن وحفظه وتدبره ، ورغبت في حفظ حديث رسول ا - ﷺ - والفقه في شريعته ، فمن ذلك قوله سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] ، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] وقوله - ﷺ - : (تعاهدوا هذا القرآن فوا الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل

---

١ . الإحياء ٣ / ٣٤ .

في عقلها)[1] وجاء عنه - ﷺ - : (نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)[2] .

وقال أيضاً - ﷺ - : (... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ...)[3] ، فكيف يأمر الله ورسوله بشيء فيه حجاب للقلب عن معرفة الرب .

لذا يقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم ، لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك ، إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ، ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمداً - ﷺ - إن لم يعرف ذلك من جهته ... وكذلك لو جاع وسهر وخلا وصمت وفعل ما عسى أن يفعل ، لا يكون مهتدياً إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية ، وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول))[4] ، وقال ابن كثير – رحمه الله - في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

((قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل فرقاناً أي مخرجاً زاد مجاهد في الدنيا والآخرة ، وفي رواية عن ابن عباس فرقاناً أي نجاة وفي رواية عنه نصراً ، وقال محمد بن إسحاق فرقاناً أي فصلاً بين الحق والباطل ، وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم وقد يستلزم ذلك كله))[5] .

وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] ، فهذا فيه الجمع بين سببي العلم وهو القرآن والإقبال عليه وتدبره ، ثم تحقيق التقوى فبهما جميعاً يحصل العلم النافع لذا يقول شيخ الإسلام : ((وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ، ويسعد به العباد ، فلا يحصل إلا بإتباع الكتب التي

---

١ . أخرجه مسلم ١ / ٥٤٥ ، ح ٧٩١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا ، من حديث أبي موسى .

٢ . أخرجه أبو داود ٢ / ٣٤٦ ، ح ٣٦٦ ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، من حديث زيد بن ثابت ، والترمذي ٥ / ٣٣ ، ح ٢٦٥٦ ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع عن رسول الله - ﷺ - ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٧٦٥ .

٣ . أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٧٤ ، ح ٢٦٩٩ ، من حديث أبي هريرة ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر .

٤ . منهاج السنة النبوية ١ / ٩٦ – ٩٧ ، الطبعة الأميرية .

٥ . تفسير ابن كثير ٣ / ٣٩٩ ، وانظر أيضاً تفسير ابن جرير ٦ / ٢٢٢ ، والبغوي ١ / ٣٤٨ ، وزاد المسير ٣ / ٣٤٥ .

جاءت بها الرسل ، فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به ، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل))[1] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

مجاهدة النفس بطاعة ا سبب للعلم ، ولكن ليست هي السبب الوحيد له ، لذا لما حكى شيخ الإسلام عن ابن رشد قوله : ((وأما الصوفية فطرقهم في النظر ليسـت طرقاً نظرية - أعني مركبة من مقدمات واقعية - وإنما يزعمون أن المعرفة بـا وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية ، وإقبالها بالفكرة على المطلوب ، ويحتجون بظواهر من الشرع كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ و ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ و ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ إلى أشياء كثيرة يظن أنها عاضدة لهذا المعنى ، ونحـن نقول : إن هذه الطريقة وإن سلمنا وجودها فليست عامة للناس بما هم ناس ، ولـو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس ، لبطلت طريقة النظر ولكان وجودها فـي الإنسان عبثاً ، والقرآن كله دعاء إلى النظر والاعتبار وتنبيه على طرق النظر .

نعم لسنا ننكر أن إماتة الشهوات قد تكون شرطاً في صحة النظر ، لا إن إماتـة الشهوات هي التي تفيد المعرفة بذاتها ، وإن كانت شرطاً فيها ، كمـا أن الصـحة شرط في العلم وإن كانت ليست مفيدة له .

ومن هذه الجهة دعا الشارع إلى هذه الطريقة وحث عليها في جملة مـا حـث ، أعني على العمل لا أنها كافية بنفسها كما ظن القوم ، بل إن كانت نافعة في النظـر به على الوجه الذي بينا وهذا بين عند من أنصف واعتبر الأمر بنفسه .

ثم قال شيخ الإسلام معلقاً عليه : ((العمل الذي أصله حب ا تعالى أمر الشرع به لأنه مقصود في نفسه وهو معين على حصول العلم النافع ، كما أنـه معـين علـى حصول عمل آخر صالح ، كما أن الشرع أمر بالعلم با تعالى لأنه مقصـود فـي نفسه وهو معين على العمل الصالح وعلى علم آخر نافع ...))[2] .

---

١ . الفتاوى ١٣ / ٢٤٦ .

٢ . درء التعارض ٥ / ٢٧ تحقيق محمد رشاد سالم – عدد الأجـزاء ١٠ – دار الكنـوز الأدبيـة بالريـاض ١٣٩١هـ .

وقال القرطبي في أثناء تفسيره للآية : ((... قال الضحاك : مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى ، ومن دخل الجنة في العقبى سلم . كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ...))[1] إذاً المجاهدة النافعة هي ما كان عليها النبي - ﷺ - وأصحابه من علم وعمل ، لذا قال ابن كثير : ((﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ يعني الرسول - ﷺ - وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، ثم نقل عن بعض السلف أنه في الذين يعملون بما يعلمون ، ثم نقل عن أبي سليمان الداراني : ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر ، فإذا سمعه في الأثر عليه به وحمد الله وافق ما في نفسه))[2] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء ﴾ وقوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ لقد أوضح السلف أن الحكمة المراد بها فهم القرآن والفقه والأحكام ، لذا قال ابن كثير : ((... وعن ابن عباس أنه قال : (﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء ﴾ يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله) .

وقال مجاهد : (الحكمة ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن) .

وقال أبو العالية : (الحكمة خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة) .

وقال : الحكمة هي الكتاب والفهم ... ثم قال : والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور : لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ، ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع ...))[3] .

قال ابن القيم : ((وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك أنها معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان))[4] .

٤ - واحتجاجه بقراءة ابن عباس – رضي الله عنهما - في الحرف الذي كان يقرأ به : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ... فليس في هذه القراءة ما

---

١ . القرطبي – ٢٠ جزء – ١٣ / ٣٢٤ .

٢ . انظر ابن كثير ٦ / ٢٩٦ .

٣ . انظر ابن كثير ١ / ٤٢٨ .

٤ . مدارج السالكين ص٦٩٩ .

يدل على نسخ ما يلقيه الشيطان في قلب المحدث ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن قيل : ففي قراءة ابن عباس : أو محدث ، وبهذا احتج الحكيم الترمذي[1] وغيره .

قيل : هذه القراءة – إذا ثبت أنها قراءة – فلا يعرف لفظ سائر الكلام معها ، كيف كان ، فإنها بتقدير صحتها ، إما في الحروف السبعة ، وإما مما نسخت تلاوته ، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون نظم سائر الآية كان على وجه لا يدل على عصمة المحدث ، بل فيها نسخ ما يلقيه في أمنية النبي والرسول والمحدث .

وإن ثبت أن ا تعالى كان ينسخ ما يلقي الشيطان في قلوب المحدثين ، فلا يقتضي أن ذلك بوحي يأتيه ، بل يكون ذلك بعرض ذلك على نبوات الأنبياء ، فإن خالف ذلك كان مردوداً ، وحينئذ فيكون حفظ الولي بمتابعة الكتاب والسنة .

وإن قدر أن المحدث ممن قبلنا كان ينسخ ما يلقيه الشيطان فيما يلقي إليه من غير استدلال بالنبوة ، فيكون من كان قبلنا كانوا مأمورين بإتباع المحدث مطلقاً لعصمة ا إياه ونحن لم نؤمر بذلك .

وسببه أن من كان قبلنا لم يكفهم نبوة واحد ، بل كانوا يأخذون بعض الدين عن هذا النبي ، وبعضه عن هذا النبي ، بتصديق الآخر له ، كما كان أنبياء بني إسرائيل مأمورين باتباع التوراة ، وكما أن المسيح أحل لهم بعض ما حرم عليهم ، وأحالهم في أكثر الأحكام على التوراة .

وأما نبوة محمد - ﷺ - فهي كافية لأمته ، كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

وإذا كانت أمتنا مستغنيةً عن أن تأخذ من نبوة غير نبوة محمد فاستغناؤها عن المحدثين أولى ، ومن كانوا قبلنا كانوا محتاجين إلى الأنبياء ، فكذلك ربما احتاجوا إلى المحدثين ، وما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية ، فلا بد أن يكون محفوظاً معصوماً لتقوم الحجة ، ويحصل به مقصود الدعوة ، وهذا مما دل على وجوب

---

١ . الحكيم الترمذي هو الإمام الحافظ العارف الزاهد ، أبو عبد ا ، محمد بن علي بن حسن بن بشر ، له حكم ومواعظ ، وله هفوات ، أخرج من بلده بسبب تصنيفه كتاب " ختم الولاية " وكتاب " علل الشريعة " ، انظر طبقات الصوفية ص ٢١٧ ، وحلية الأولياء ١٠ / ٢٣٣ ، والسير ١٣ / ٤٣٩ .

عصمة ما جاءت به الأنبياء ، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته ، فحفظ ا الـ ذكر الذي أنزله ، وقد أنزل الكتاب والحكمة ... فحفظ ا هذا ، وهذا ، و الحمد والمنة .

ومن وجد من هذه الأمة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء بـه الرسـول فلضـعف معرفته وأتباعه لما جاء به الرسول ، مثل كثير منهم يقول : إنهم محتـاجون إلـى ذوقهم ، أو عقلهم ، أو رأيهم ، بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ، ولا تجـد مـن يقول : إنه محتاج إلى غير آثار الرسول ، إلا من هو ضعيف المعرفـة والإتبـاع لآثاره ، وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين ، وأغناه ا بالنور الذي بعث به محمداً عما سواه[1] .

ثانياً : مناقشة أدلته من السنة على الكشف :

١ - استدل بحديث : ((لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتـي أحد فعمر)) ولا يصح الاستدلال بهذا الحديث على جواز الاعتماد على ما يلقى في القلب من الإلهام ، لأن عمر – رضي ا عنه - مع أنه قيل فيه هذا الحديث ، فلـم يكن يفعل إلا ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جـاء بـه الرسـول - ﷺ - ، فتارة يوافقه ، وتارةً يخالفه ، فيرجع عمر عن ذلك ، كمـا رجـع يـوم الحديبية ، لما كان رأيه محاربة المشركين ، واعترض على شروط الصلح ، كمـا جاء ذلك في صحيح البخاري[2] ، وهكذا كان شأن عمر – رضي ا عنه - فقد كان رجاعاً إلى الحق .

ولا شك أن الصديق أعلى مرتبةً من المحدث ، لأن الصديق يتلقى عن الرسـول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي - ﷺ - ، ولهذا كان عمـر – رضـي ا عنه - يشاور الصحابة ويناظرهم ، ويرجع إليهم في بعض الأمور ، وينازعونه في أشياء ، فيحتج عليهم ، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقررهم على منازعتـه ،

---

١ . الصفدية ١ / ٢٥٦ – ٢٦٠ ، بتصرف .

٢ . انظر : صحيح البخاري (٥ / ٣٢٩ – ٣٣٣ فتح) كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصـالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، رقم ٢٧٣١ و ٢٧٣٢ .

ولا يقول لهم أنا محدث ، أو ملهـم ، أو مخاطـب ، فينبغـي أن تقبلـوا منـي ، ولا تعارضوني !!

فأي أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولي ا ، وأنه مخاطب ، يجب اتباعه في كل ما يقوله من غير اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ، فمثل هذا من أضل الناس .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويتـرك إلا رسـول ا - ﷺ -[1] .

٢ - أما استدلاله بقوله - ﷺ - : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور ا تعـالى)[2] مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجـر : ٧٥] ، فسر مجاهد – رحمـه ا – قوله تعالى : ﴿ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي : " المتفرسين " .

قال ابن القيم عن الفراسة : ((وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ينفـي مـا يضاده ، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة ... وهذه الفراسة على حسـب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة ، ونقل عن عمرو بن نجيد : كـان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطيء ويقول : من غض بصـره عـن الحـرام ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بالمراقبة ، وظاهره بإتباع السنة ، وتعود الحلال ، لم تخطيء فراسته .

وبين ابن القيم أن الفراسة أمر يحصل للقلب بلا استدعاء له بحسب قوة الإيمان وإتباع السنة وترك الشهوات يقوى حصول الوارد ، وبين أنه لا ينبغي أن يـدعيها الشخص لنفسه فقال : قال أبو حفص النيسابوري : ليس لأحد أن يدعي الفراسـة ولكن يتقي الفراسة من الغير ، لأن النبي - ﷺ - قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور ا) ولم يقل تفرسوا ، وكيف تصح دعوى الفراسة لمن هو في محـل اتقاء الفراسة))[3] .

---

١ . انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٢٠٥ – ٢٠٧) ، و (٣٥ / ١٢٤) ، والصفدية (١ / ٢٥٢ – ٢٥٥) ، وبغية المرتاد ، ص (٣٨٥ – ٣٨٨) ، ومدارج السالكين (١ / ٣٩ – ٤٠) .

٢ . أخرجه الترمذي ٥ / ٢٩٨ ، ح ٣١٢٧ ، من حديث أبي سعيد ، قال الترمذي : وهذا حديث غريب وهو في المعجم ٨ / ٢٠٢٠ ، ح ٧٨٤٣ ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ١٢٧ .

٣ . مدارج السالكين ص ٧٠٢ .

ثم بين ابن القيم أصل الفراسة قال : ((وأصل هذا النوع من الفراسة : من الحياة والنور اللذين يهبهما ا تعالى لمن يشاء من عباده فيحيا القلب بذلك ويستنير ، فـلا تكاد فراسته تخطيء قال ا تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، كان ميتاً بـالكفر والجهـل فأحياه ا بالإيمان والعلم ، وجعل له القرآن والإيمان نوراً يمشي به فـي النـاس ، على قصد السبيل ويمشي به في الظلم وا أعلم ، وقال : فراسة الصحابة – رضي ا عنهم - أصدق الفراسة .

إذ الفراسة عبارة عن فهم وقوة فطنة وقوة ظن غالب لكنها مع ذلـك لا تحصـل العلم والمعرفة لوحدها بل إن من أسباب حصولها الإيمان والعلم واتبـاع السـنة ، وكلما كان الإيمان والعلم أقوى كانت الفراسة أصدق ، فيدعو الغزالي أتباعه لعـدم الاشتغال بالقرآن والحديث ويأمرهم بالخلوات البدعية والأوراد المحدثة ويعدهم بعد ذلك أن تصدق فراستهم وانكشاف الحقائق لهم .

وأوضح ابن القيم أن فراسة الجوع والخلوات هي فراسة مشتركة بـين المـؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا ولاية فقال : ((الفراسة الثانيـة فراسـة الرياضـة والجوع والسهر والتخلي ، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر لا تدل على إيمان ولا على ولاية ، وكثير من الجهال يغتر بها ، وللرهبان فيها وقائع معلومة ، وهـي فراسة لا تكشف عن نافع ولا عن طريق مستقيم))[1] .

٣ – أما استدلاله بحديث (من عمل بما علم ورثه ا علم ما لم يعلم ... الحديث) قد تقدم هذا الحديث أخرجه أبو نعيم وضعفه وذكره شيخ الإسلام في كتاب الإيمـان وضعفه الألباني[2] ، ولو صح لكان المقصود منه واضح ، وهـو أن العمـل بـالعلم الشرعي الصحيح يكون سبباً في ثبات هذا العلم في صدر صاحبه ، ويكتسـب بـه

---

١ . مدارج السالكين ص٧٠٤ .

٢ . انظر الإيمان لابن تيمية ص ٢٣٢، خرج أحاديثه الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ ، وانظر الحلية ١٠ / ١٥ .

توفيقاً من ا في الازدياد من العلم النافع ، فإن الحسنة تدعو أختها ، فلا دليل فيه للغزالي الذي يرى أن العمل يكون بترويض النفس وتجويعها وإهانتها والاعراض بها عن الإنشغال بقراءة قرآن أو تدبر حديث ، فالحديث إن صح يدعو للعلم والعمل به ، والغزالي ذكر أن مريد الكشف لا ينشغل بالعلم .

٤ – أما استدلاله بحديث ابن عباس رضي ا عنهما ، أن النبي - ﷺ - دعى له وقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[١] فهذا دليل على الغزالي وليس دليل له ، فالنبي - ﷺ - يحث بهذه الدعوة المباركة لابن عباس على الفقه في دين ا وتعلم تفسير كتاب ا ، والغزالي كما تقدم يدعو للخلوة وألا ينشغل صاحبها بقراءة القرآن ولا تدبر تفسير ولا نظر في حديث لكي يحصل له الكشف .

٥ – أما استدلاله بأثر علي - رضي ا عنه - أنه قال : ((ما عندنا شيء أسره النبي - ﷺ - إلينا إلا أن يؤتي ا تعالى عبداً فهماً في كتاب ا وليس هذا بالتعلم))[٢] ، هذا الأثر يدل على أن الشرع المنزل من ا تعالى هو كتاب ا وسنة رسوله - ﷺ - وليس هناك أسرار للشريعة أو أن لها ظاهراً وباطناً ، وأن الإنسان إذا حصل هذا العلم يفتح عليه بعد ذلك بزيادة فهم واستنباط أكثر من غيره ، قال شيخ الإسلام : ((فلا ريب أن ا يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم ، ثم ذكر أثر علي – رضي ا عنه -))[٣] .

لكن هذا الفهم والاستنباط لا يحصل لمن أعرض عن القرآن والسنة وانشغل بمحدثات المتصوفة .

٦ – وأما استدلاله بالأثر المروي عن الحسن : ((العلم علمان ، فعلم باطن وذلك هو العلم النافع ...)) وهذا الأثر لا يصح مرفوعاً بل هو موقوف على الحسن ، أخرجه ابن أبي شيبة والدارمي وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ، بل قال في

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ٦٦ ، ح ١٤٣ ، كتاب الوضوء ، باب وضع الماء عند الخلاء ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد ا بن عباس رضي ا عنه ، ح ٢٤٧٧ .

٢ . أخرجه البخاري ٣ / ١١١٠ ، ح ٢٨٨٢ ، كتاب الجهاد وفكاك الأسير ، وأخرجه مسلم ١ / ٨٦ ، ح ٧٨ ، كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان .

٣ . الفتاوى ١٣ / ٢٤٥ .

السلسلة الضعيفة : إنه منكر[1] ، فحينئذ يسقط الاستدلال به ، ولو صح لكان معناه أن العلم ليس هو فقط معرفة المسائل والأدلة وحفظها ، ولا الفقهيات وفروعهـا ، ولا معرفة الحجج والبراهين ، بل لا بد أن يكون العلم قبل ذلـك خشـية ا تعـالى ، وإخلاص له وابتغاء مرضاته ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وليس معناه أن هناك علم في باطن النفس مكنوز فيها يحصل عليه الإنسان بتزكيته لنفسه وترويضه لها حتى يظهر له هذا العلم المكنوز ،

ثالثاً : مناقشة قياسه الكشف على الرؤيا في صحة الكشف :

قياس الغزالي الكشف على الرؤيا قياس غير صحيح لأن هناك فروقاً كثيرة بـين الرؤيا وما يدعيه المتصوفة من الكشف ، ومن هذه الفروق :

١ – في الحالة : فالرؤيا تحصل للنائم الذي قد زال عنه التكليف والعقل عند نومه ، وأما الكشف المزعوم فيحصل لصاحب المجاهدات والرياضات والخلوة .

٢ – في طريق حصوله : فالرؤيا ليس لها طريـق تحصـل بـه ولا يسـتدعيها صاحبها ، أما الكشف فإن أصحابه قد جعلوا له طريقة لحصوله من جوع وسـهر وأوراد وعزلة .

٣ – من حيث الحكم : فالرؤيا ليست كلها حق ، بل لا بد من عرضها على الكتـاب والسنة كما ثبت عنه - ﷺ - أنه قال : (الرؤيا ثلاث : فرؤيا حق ، ورؤيا يحـدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان ... الحديث)[2] فلو قلنا بصحة قيـاس الغزالي فحينئذ يلزم أن يكون حكم الكشف كحكم الرؤيا ، فيكون في الكشف ما هـو حق ومنه ما هو حديث نفس ومنه ما هو من الشيطان ، ويعرف ذلك بعرضه علـى

---

١ . انظر مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٨٣ ، ح ٣٤٣٦١ ، وسنن الدارمي ١ / ١١٤ ، ح ٣٦٤ ، وانظر ضعيف الجامع ح ٣٨٧٨ ، والسلسلة الضعيفة ، ح ٣٩٤٥ .

٢ . أخرجه الترمذي ٤ / ٥٣٧ ، ح ٢٨٠ ، كتاب الرؤيا عن رسول ا ﷺ ، باب في تأويل الرؤيا وما يستحب منها وما يكره ، وأخرجه ابن ماجه ٢ / ١٢٨٥ ، كتاب تعبير الرؤيا ، باب الرؤيا ثلاث ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٤١ .

الكتاب والسنة ، فهل يرضى المتصوفة بهذا الأمر ؟؟!!! أم أنهم يجعلون كشـوفاتهم كلها رحمانية ويقينة بل ويعارضون بها النصوص .

٤ – أن الرؤيا تحتاج إلى تعبير فلا تؤخذ على ظاهرها ، وقد كان النبي - ﷺ - يعبر رؤى الصحابة ، وكان يسألهم هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ فيقصونها عليه ، ثم يعبرها لهم[١] ، وغالباً ما يكون التعبير للرؤيا لا علاقة له بظاهر الرؤيا ، فهل يوجد دليلٌ واحد أن النبي - ﷺ - كان يعبر الكشف أو يسأل أصحابه هل رأى أحد منكم كشفاً ؟؟

٥ – أن من منهج أهل السنة أن الرؤى لا تُبنى عليها أحكام شرعية بل هـي مـن المبشرات ، أما أهل الكشـف فـإنهم يبنـون عليـه أحكامـاً وعبـادات محدثـة ومخالفات كثيرة[٢] .

رابعاً : مناقشة قياسه الولي على النبي في صحة الكشف :

هذا القياس من الغزالي للولي على النبي إنما هو أثر من آثار الفلسـفة عليـه ، حيث إنهم يعتبرون النبوة مكتسبة وهذا باطل من وجوه :

١ – أن الله سبحانه أخبر وهو أصدق قيلاً أن النبوة اصـطفاء مـن الله واختيـار محض لا سبيل للعباد للوصول إليها ، قـال تعـالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] ، وقال سبحانه : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

٢ – أن الرسول - ﷺ - أُخبر ببعض أمور الغيب لأن الله أطلعـه عليهـا ، قـال سبحانه : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجـن : ٢٦ - ٢٧] ، فالأنبياء والمرسلون لم يطلعوا علـى الغيـب

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ٤٦٥ ، ح ١٣٢٠ ، من حديث سمرة بن جندب ، كتاب الجنائز ، باب ما قيـل فـي أولاد المشركين ، ومسلم ٤ / ٧٧٧ ، ح ٢٢٦٩ ، من حديث ابن عباس ، كتاب الرؤيا ، باب في تأويل الرؤيا .

٢ . انظر : الرد على المنطقيـين (٤٨٢ – ٤٨٥) ، ومـدارج السـالكين (١ / ٤٤ – ٤٥) ، والاعتصـام للشاطبي (١ / ٣١٩ – ٣٢١) تحقيق : د . مصطفى الندوي ، ط الأولى ، ١٤١٦هـ ، دار الخاني ، الرياض .

بمجاهدات أو رياضات ، بل لإطلاع ا إياهم عليها ، فمن أين للأولياء أن يحصلوا على هذه الخصيصة التي خُص بها الرسل .

٣ – أنهم اشترطوا للولي لكي يحصل على العلوم ويكاشف بالحقائق أن يفرغ قلبـه وأن يخاص نفسه وأن ينقطع عن الخلق بمجاهدات مرهقة كالجوع والسهر والسياحة في البراري ، والخلوة في الكهوف ، فهل وجد أحد من أنبياء ا فعل ذلـك بنفسـه حتى حصلت له النبوة ؟؟ بل كان غالبهم ملوكاً في أقوامهم ، ومنهم من أتاه الـوحي وهو في حالٍ من الإنشغال ، مثل موسى – عليه السلام – جاءه الوحي وهو مسافر بأهله وماشيته في ليل بارد ، فلما رأى النـار ذهـب إليهـا يلـتمس دفئـاً فوجـد الوحي أمامه .

٤ – أن الولي في الحقيقة ليس هو الذي يلتمس علوماً ومكاشفات ينافس بها وحـي الأنبياء الذي ُأنزل إليهم من ربهم ، بل الولي في الحقيقة هو من لازم اتباعه للأنبياء وحقق عبوديته لربه .

٥ – أخيراً نقول للغزالي ما الذي جعل أولياء المتصوفة المزعومين ينشغلون بهـذه الرياضات المحدثة والمجاهدات البدعية ، والتي أوصلت كثيراً منهم إلى التحلل من الشريعة والخروج عنها ، إلا طمعهم في حصول هذه الكشوفات والوصول إلى رتبة تُقارب رتبة الأنبياء كما يزعمون ، ولو دعاهم الغزالي وأمثاله إلى تحقيق العبوديـة سبحانه بتوحيده وعبادته ، وتجريد اتباع النبي - ﷺ - لسلموا مـن الانحرافـات والشطحات ، ولوصلوا إلى الولاية الحقيقة وعلوم العلمـاء الربـانين الـذين هـم ورثة الأنبياء[1] .

---

١ . ينظر للاستزادة الأصفهانية ص ١١٩ ، ١٢٢ ، والرد على المنطقيين ص ٥٠٧ .

المبحث الخامس : المآخذ العقدية في كلامه عن رياضة النفوس ، وفيه أربعة مطالب

كان دخول الغزالي في التصوف بعد أن قضى أعواماً من عمره في حيرة أهل الكلام وجدلهم واضطرابهم ، ثم في تناقضات الفلاسفة وطلاسمهم ، وبعد حالة شك خطيرة مرة به ، ثم عزلة استمرت سنوات ، كل هذه الظروف جعلته يقبل على علوم المتصوفة كإقبال العطشان على الماء وإقبال المعجب بهم المفتون بطريقتهم ، لذا نسى أو تناسى ما يمر به من مخالفات ، فقرر بعضها ونصره وحكى بعضها عن غيره ولم يتعقبه ، وعلى أي الحالين فوجودها في كتبه وهو حجة الإسلام ؟!!! عند أتباعه كان سبباً لرواجها عليهم وانتشارها بينهم .

يقول الدكتور القرضاوي : ((كان دخول الغزالي إلى التصوف دخول المحب العاشق لا دخول الفاحص الناقد ، فلم ينظر إلى علوم الصوفية وتراثهم بعين النقد التي نظر بها إلى علوم الفلاسفة والمتكلمين والباطنيين ، بل بعين الرضا والحب ، والحب يعمي ويصم ... وسر هذا أنه تعامل مع التصوف بقلبه قبل عقله ، وبذوقه قبل فقهه ، وهذا ما جعله يقبل أشياء مما يُأخذ على القوم في الفكر وفي السلوك دون أن يعرضها على قانون الفقه أو منطق العقل .

ومن أجل هذا أنكر عليه العلامة ابن الجوزي وغيره من الناقدين ، قبوله لكثير من أفكار الصوفية وأعمالهم وأحوالهم ، وهي مخالفة لقانون الشرع ، منحرفة عن الكتاب والسنة))[1] ، ومما أورده الغزالي عن المتصوفة بعض القصص والأخبار التي في مضمونها انحرافات عقدية ، وقد جعلتها في أربعة مطالب ، هي :

المطلب الأول : تأييده للغلو في المشايخ وتقديس الأشخاص وتفضيلهم على الأنبياء .

المطلب الثاني : تأييده دعوة الصوفية أتباعها للبلاهة واسقاط الجهل .

المطلب الثالث : تأييده للخلوة والعزلة والأوراد الصوفية .

---

١ . انظر الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، الدكتور . يوسف القرضاوي ، ص ٢٢ .

المطلب الرابع : تأييده لطريقة الصوفية في رياضة النفس بالجوع والسهر والصمت والسياحة ومنعها من المباحات .

المطلب الأول : تأييده للغلو في المشـايخ وتقـديس الأشـخاص وتفضـيلهم على الأنبياء .

الغلو في المشايخ وتقديس الأشخاص أمر ظاهر ومنتشر عنـد أتبـاع الطـرق الصوفية ، ولهذا نجد أن الغزالي وهو يورد أخبارهم ومجاهداتهم لأنفسهم يظهر فيها غلوهم في الأولياء والمبالغة في تعظيمهم ، كتقبيل الأيدي والأرجل والتماس بركتهم وسؤال ا بجاههم وقدرهم ، بل أورد بعض القصص التي تفيد أن بعض الأوليـاء وصل إلى مرتبة خير من الأنبياء بل خير من الملائكة .

فها هو يذكر قصة إبراهيم بن أدهم – رحمه ا - لما التقى به جندي فسـأله عـن العمران فأشار إلى المقبرة فشج رأسه بالسوط ورده إلى البلد ، فلما رآه الناس وأخبروه أنه إبراهيم بن أدهم نزل الجندي من فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه[1] .

وذكر أيضاً أن شقيق بن إبراهيم قال : ((لقيتُ إبراهيم بن أدهم في سوق الليـل وهو جالس يبكي ، لأنه رأى في المنام الخضر – عليه السلام - يطعمه (سكباجاً) أكلة منع منها نفسه ثلاثين سنةً ، فأخذ الخضر يلقمه منها ، فانتبهت وحلاوتها فـي فمي ، فقام شقيق بن إبراهيم فأخذ كف إبراهيم بن أدهم وقبلها ودعا ثم قال : بقـدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلـى فضلك وإحسانك ورحمتك ...))[2] .

وقال : وعلى الشيخ التفرس في المريد فإن لم يكن ذكياً كلفه بالأوراد الظـاهرة وخدمة المريدين لتشمله بركتهم[3] .

وذكر قصة أبي عثمان الحيري لما دعاه أحدهم إلى دعوة ورده ثـلاث مـرات ليختبر صبره وحسن خلقه ، فلما رآه كذلك أكب على رجليه وجعل يعتذر منه[4] .

---

١ . الإحياء ٣ / ٩٢ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٢١ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٠١ .

٤ . الإحياء ٣ / ٩٢ .

ولم نجد تعليقاً منه على هذه القصص مع ما فيها من الغلو والاستعانة بغير ا وسؤاله بجاه الصالحين وقدرهم ، ولم يكتف بذلك بل أورد قصصاً تهمس في أذن سامعيها ، وصول بعض الأولياء إلى مرتبة خير من الأنبياء بل من الملائكة ، فذكر أن عيسى – عليه السلام - مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل ، فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة ، فجعل يبكي ، فجاءه شيخ فقال له عيسى : يا ولي ا ادع ا تعالى فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني ، فقال الشيخ : اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي ، بل كان إذا خطر لي شيء أكلته من غير فكر أو خاطر[1] .

وذكر أن سليمان بن يسار دخلت عليه امرأة فسألته نفسه ، فامتنع وهرب ، فلما نام رأى يوسف – عليه السلام - ، فقال له يوسف : أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم . ثم ذكر بعدها قصة مشابهة لها وأنه قال ليوسف : إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجباً ! فقال يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب[2] .

وذكر أن رجلاً من بني إسرائيل رجع تائباً بعد أن أراد جاريةً على نفسها فخوفته با فخاف ، فلما رجع تائباً وجد بعض أنبياء بني إسرائيل ، فأصابهما العطش فدعوا بالمطر فأظلتهما سحابة حتى دخلوا القرية ، فلما افترقوا تبعت السحابة هذا الرجل وتركت النبي من بني إسرائيل[3] ، وذكر قصة فيها أن بعض الأبدال سألته الملائكة عن ذكره الخفي فقل :يكفيكما الفرائض .

---

١ . الإحياء ٣ / ١٠٩ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٣٦ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٣٧ .

وذكر قصة أن بعض الأبدال لما سئل عن مسـألة التفـت إلـى صـاحب اليمـين – أي الملك - فلم يجد عنده إجابة ، وكذلك صاحب الشمال ، ثم التفت إلى قلبه فوجد الجواب ، فإذا هو أعلم منهما[1] .

وبهذه القصص التي لم يذكر الغزالي على شيء منها أي تعليق أو استنكار ، نجد عليها ملاحظات جعلتها في مسائل أربع ، هي :

المسألة الأولى : الغلو في المشايخ ، والانحناء عند أرجلهم وتقبيلها .

المسألة الثانية : سؤال الله بجاه الصالحين وبقدرهم .

المسألة الثالثة : تفضيل بعض الأولياء على الملائكة .

المسألة الرابعة : تفضيل بعض الأولياء على الأنبياء .

الجواب على المسألة الأولى وهي الغلـو فـي المشـايخ ، والانحنـاء عنـد أرجلهم وتقبيلها :

الغلو في الدين عموماً قد جاء الكتاب والسنة بالنهي عنـه ، يقـول الله تعـالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : ١٧١] ، وقال سـبحانه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وجاء من حديث أبي مسعود – رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون)[2] .

وجاء من حديث ابن عباس – رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ...)[3] .

وها هو النبي - ﷺ - ينهى عن الغلو فيه مع أنه خير الأنبياء والمرسلين ، فقـد روى الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - قـال : قـال

---

٤ . الإحياء ٣ / ٣٥ .

١ . أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٥٥ ، ح ٢٦٧٠ ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون .

٢ . أخرجه أحمد في مسند ١ / ٣٤٧ ، ح ٣٢٤٨ ، قال شعيب الأرنوؤط : اسناده صحيح على شرط مسـلم ، وأخرجه ابن ماجه ٢ / ١٠٠٨ ، ح ٣٠٢٩ ، كتاب المناسق ، باب قدر حصى الرمي ، وصححه الألباني .

رسول الله - ﷺ - : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)[1] .

وجاء في المسند من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فرأى في نفسه أن رسول الله - ﷺ - أحق أن يعظم فلما قدم ذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - فنهاه وقال : (لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ...)[2] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم أو تقبيل الأرض ونحو ذلك ، فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه ، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهي عنه ، ثم ذكر حديث معاذ بن جبل ... ، ثم قال : بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر أنه - ﷺ - صلى بأصحابه قاعداً من مرض فصلوا خلفه قياماً فأمرهم بالجلوس ، وقال لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضها[3]))[4] .

وقال : ((بعد أن ذكر أن عيسى نهى النصارى عن عبادته وأمه ، وأن الرسول - ﷺ - أنكر على كل من غلا فيه ... وقال أنس : ولم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله - ﷺ - ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمونه من كراهته لذلك[5] ، ولما سجد له معاذ نهاه عن ذلك ، ولما غلا في علي الزنادقة أمر بتحريقهم بالنار ، فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه ، وإنما يقر على الغلو فيه بغيره من يريد علوا في الأرض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال))[6] .

---

٣ . أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها ٣ / ١٣٧١ ، ح ٣٢٦١ .

١ . اخرجه أحمد ٤ / ٣٨١ ، ح ١٩٤٢٢ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٠٣ .

٣ . أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١ / ٣٣٣ ، ح ٩٦٠ ، من حديث جابر ، باب من كره أن يقعد ويقوم له الناس .

٤ . مجموع الفتاوى ٢٧ / ٩٢

٥ . أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، برقم ٩٤٦ ، وأحمد ٣ / ١٣٢ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ٦٩٨ ، ح ٣٥٨ .

٥ . مجموع الفتاوى ٢٧ / ٨١ .

بل قال : ((... وأما فعل ذلك - تقبيل الأرض ووضع الرأس والانحناء للكبراء أو الشيوخ - تديناً وتقرباً فهذا من أعظم المنكرات ، ومن اعتقد مثل هذا قربة وديناً فهو ضال مفتر ، بل يبين له أن هذا ليس بدين ولا قربة فإن أصر على ذلك أُستتيب وإلا قُتل ...))[1] .

فليس لأهل السنة شيخ يغلون فيه ويتبعونه كما يتبع الأعمى قائده ، إلا رسول الله - ﷺ - ، لذا ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أنه قال : ((وليس لنا شيخ نُسلم إليه حاله ، إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف ، ولو كان شيخٌ نسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق – رضي الله عنه - ... وقد قال أبو بكر – رضي الله عنه - : إن اعوججت فقوموني[2] ، فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود في الناس ، وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل ، فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ))[3] .

الجواب على المسألة الثانية وهي سؤال الله بجاه الصالحين وقدرهم :

وأما السؤال بجاه الصالحين فهو كذلك من التوسل الممنوع ، لأن جاه الأنبياء والصالحين إنما ينتفع به الأنبياء والصالحون بأنفسهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((... وأما قول القائل إذا عثر : يا جاه محمد ويا للست نفيسة أو يا سيدي الشيخ فلان ، أو نحو ذلك بما فيه استغاثته وسؤاله فهو من المحرمات وهو من جنس الشرك فإن الميت سواء كان نبياً أو غير نبي لا يدعى ولا يسأل ولا يستعان به لا عند قبره ولا مع البعد من قبره بل هذا من جنس دين النصارى ...))[4] .

وقال أيضاً : ((... فأما التوسل بذاته - ﷺ - في حضوره أو مغيبه أو بعد موته ، مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء ، أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم ،

---

١ . الفتاوى الكبرى ١ / ٥٦

٢ . أخرجه الطبراني في الأوسط ٨ / ٢٦٧ ، ح ٨٥٩٧ ، وهو في مصنف عبد الرزاق ١١ / ٣٣٧ ، ح ٢٠٧٠١ .

٣ . تلبيس إبليس ص ٢١٨ ، وانظر التوثيق والتحصيل لردود ابن عقيل على الصوفية ص ٢٥ .

٤ . مجموع الفتاوى ٢٧ / ٤٥ .

فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين ، بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبـي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله - ﷺ - لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ، وكيزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي - ﷺ - لا عند قبره ولا عند غيره ... وروى بعض الجهال عـن النبي - ﷺ - أنه قال : (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) .

وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمـد عليهـا أهـل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم الحديث مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين))[1] .

وقد أوضح شيخ الإسلام – رحمه الله - أن السؤال بحق جاه الأنبياء والصالحين فيه نزاع ، وأن أبا حنيفة وأصحابه لا يجيزون ذلك ، ومن الناس من يجيـزه ، ثـم قال : ((السؤال بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين يقتضي أن لهـم عند الله جاه ومنزلة وهذا المعنى صحيح ، لكن جاههم ومنزلتهم لهم تخصهم وتحصل لمن اقتدى بهم في فعالهم واتبع هديهم ولمن أذن الله فيه أن يشفعوا لـه ، أمـا أن لا يتبعهم ولا يفعل أعمالهم ولا يحرص على التخلص من الشرك المانع مـن شـفاعتهم وغيرهم وإنما يسأل الله بجاههم فهو سأل الله بأمر أجنبي لا علاقة له به))[2] .

ويقول ابن عثيمين " فتاوى مهمة " : ((... وأما قول القائل اسأل الله بحق أوليائه أو بجاه أوليائه أو بحق النبي أو بجاه النبي ، فهذا ليس من الشرك ولكنه بدعة عنـد جمهور أهل العلم ، ومن وسائل الشرك لأن الدعاء عبـادة وكيفيتـه مـن الأمـور التوقيفية ، ولم يثبت عن نبينا - ﷺ - ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحـق أو جاه أحد من خلقه ، فلا يجوز للمسلم أن يحدث توسلاً لم يشرعه الله سبحانه ...))[3] .

الجواب على المسألة الثالثة وهي تفضيل بعض الأولياء على الملائكة :

يورد الغزالي بعض القصص التي تفيد تفضيل الأولياء على الملائكـة ، وهـذه المسألة قد تكلم أهل العلم فيها فمنهم من يفضل الملائكة على صالحي البشر ، ومنهم

---

١ . مجموع الفتاوى ١ / ٣١٩ .

٢ . مجموع الفتاوى ١ / ٢١١ .

٣ . فتاوى مهمة لعموم الأمة ، ابن باز ، ابن عثيمين ، دار العاصمة ، ابراهيم الفارس ، ص ٩٣ .

من يفضل صالح البشر على الملائكة ، وهذه المسألة توقف فيها أهل العلم وذلك لقلة ثمرتها ولأن الأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل علـى الفضـل لا علـى الأفضلية ، وهذه المسألة من بدع أهل الكلام ، ولم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة ، ولا يتوقف عليها أصل من أصول الاعتقـاد ، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد .

*** فمما أُستُدل به على تفضيل صالحي البشر على الملائكة :**

١ - أن ا أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم .. وهـذا يـدل علـى فضـل صـالحي البشر عليهم .

٢ - أن الملائكة لهم عقول وليس لهم شهوات ، وبني آدم لهم عقول ولهم شهوات ، فتغلب صالحي البشر على شهواتهم ، ميزة يتميزون بها على الملائكة .

٣ - أن ا علم آدم الأسماء كلها ، ولم يعلمها الملائكة .

٤ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] ، أي خير المخلوقات ، وغير ذلك .

*** ومما استدل به على تفضيل الملائكة على صالحي البشر :**

١ - قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبيـاء : ٢٠] ، والبشر يفتـرون عن العبادة .

٢ - قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، فـدل علـى أن الملائكة في رتبة فوق البشر .

٣ - قوله تعالى في الحديث القدسي : ((من ذكرني في مـلأ ذكرتـه فـي مـلأٍ خير منه))[١] .

والحاصل أن هذه المسألة الأدلة فيها متكافئة وهي تدل علـى الفضـل لا علـى الأفضلية ، ولشيخ الإسلام اختيار نفيس نقله عنه ابن القيم فقال : ((سئل – يعنـي

---

١ . شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٣٩٧ المكتب الإسلامي – بيروت – ط٤ ١٣٩١هـ مختصراً .

شيخ الإسلام – عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل ؟ فأجاب : بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكـة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابس بني آدم من المعاصي مستغرقون فـي عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأمـا يـوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي حال البشر أكمل من حال الملائكـة ، وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين ...))[1] .

فإذا كان هذا الخلاف في أيهما أفضل ، صالح البشر أم الملائكة ؟ والمقصود بهم الصالحون المقتفون للكتاب والسنة والمتجردين من كل انحراف وشطح ، فكيف بعد ذلك يزعم المتصوفة في بعض عبادهم وزهادهم والذين قد عـرف عـن بعضـهم الابتداع والانحراف ، أنهم أفضل من الملائكة ، وهل هذا إلا مـن انتقـاص قـدر الملائكة الكرام المقربين من الله سبحانه ؟؟ وهل هذا إلا بسـبب قبـول الحكايـات والقصص دون تمحيص لها ؟؟ والله المستعان .

الجواب على المسألة الرابعة وهي تفضيل بعض الأولياء على الأنبياء :

إن القصص التي ذكرها الغزالي في ذلك هي التي جرت المتصوفة حتى سقطوا على رؤوسهم وأنكرته عليهم أئمة الدين وعلماء المسلمين ، ولم يكن عليـه مشـائخ المتصوفة الأوائل ، لذا يقول شيخ الإسلام فـيهم : ((ومـن هـؤلاء – أي غُـلاة المتصوفة – من يفضل بعض الأولياء على الأنبياء ، وقد يجعلون الخضر من هؤلاء ، وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ الطريق المقتدى بهم ، دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين ، بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب " ختم الأولياء " بكلامٍ ذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة ، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء ، قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسـبب ذلـك ، ولا ريب أنه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ، ومن هناك ظل من اتبعه فـي

---

١ . بدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٦٨٤ – ط١ ١٤١٦هـ - ت هشام عبد العزيز عطا ، وعادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد .

ذلك حتى صار جماعات يدعي كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ... إلى أمثال هـذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع))[1] .

وكيف يقال أن أحداً من البشر يكون أفضل من أنبياء ا وهم الذين اختـارهم ا لرسالاته وخصهم بنبوته ؟؟!! وا المستعان .

المطلب الثاني : تأييده لدعوة الصوفية أتباعهـا للبلاهـة وإضـاعة المـال وإسقاط الجاه :

ذكر الغزالي ما يدعو السالكين للآخرة للبلاهة في أمور الدنيا والجهل بها والعيش على الفقر ، إلى درجة حضه على تضيع المال والتخاص منه ، والى إهانة الـنفس وإسقاط الجاه ، وذكر أموراً وقصصاً ينكرها الشرع والعقل ، ويمكن جمع ما ذكره في هذه الأمور في مسألتين :

المسألة الأولى : تأييده لدعوة الصوفية أتباعها للبلاهة وإضاعة المال .

المسألة الثانية : تأييده لدعوة الصوفية أتباعها لإسقاط الجاه .

المسألة الأولى : تأييده لدعوة الصوفية أتباعها للبلاهة وإضاعة المال .

فمن ذلك قوله : ((ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة ، والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا ، لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً فـي الغالـب فيكـون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني ، ولذلك قال - ﷺ - : (إن أكثر أهل الجنة البله أي البله)[2] في أمور الدنيا))[3] .

وفي أثناء سياقه لبعض قصص المكاشفين : ((أن رجلاً دخل على الشبلي فقـال له : مفتون يا أحمد قال : ما الخبر ؟ قال إنك بخيل ، ثم إنه ملك خمسين ديناراً بعد

---

١ . الفتاوى ١٣ / ٢٦٧ .

٢ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢ / ١٢٤ ، ح ١٣٦٦ ، عن جابر ، وقال هذا الحديث بهذا الإسناد منكـر ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ١٠٩٦ ، قال العراقي : حديث أكثر أهل الجنة البله أخرجه البـزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي أنه منكر .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٤ .

خروجه منه وقال لأعطينها أول فقير ، فوجد أول فقير عند مزين يحلق رأسه ، فقال : خذ هذه الدنانير ، فقال : أعطها المزين ، فقلت : إن عددها كذا وكذا ، فقال : قد قلنا لك إنك بخيل فأعطاه المزين فرفض أخذها لأنه كان عازماً على عدم أخذ أجرة على هذا الفقير ، فنظر أحمد للدنانير ورمى بها في دجله ؟!!!! وقال ما أعزك أحـد إلا أذله ا ...))[1] .

وقال : ((فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة ، فما دام يملك شيئاً وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسـة في الفكر في ديناره ...))[2] .

وذكر في معرض كلامه عن حسن الخلق : ((أن أبا عبد ا بن الخياط كان يجلس على دكانه ، فيأتيه مجوسي ليخيط له ويعطيه فلوساً زائفة ، فكان يأخـذها ولا يردهـا عليه لمدة سنة كاملة وهو صابر عليه فيأخذها ويلقيها في البئر لئلا يغر بها مسلماً))[3] .

وقال أيضاً : ((والسد بين المريد والحق أربعة ، المال والجاه والتقليد والمعصية ، وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة ، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد محجوب عن ا عز وجل))[4] .

وقال : ((وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر ، إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل))[5] .

التعليق :

هذه القصص والحكايات فيها غرابة ونكارة ، فالمال عصب الحياة وبه قوامهـا ، ونصوص الشريعة جاءت بالأمر بحفظ المال ، بل امتن ا على عباده بـه ، قـال سبحانه : ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [النساء : ٥] ، وأدنى تأمـل في حياة الأنبياء – عليهم السلام – والصحابة – رضوان ا عليهم – تجـد أنهـم

---

١ . الإحياء ٣ / ٣٣
٢ . الإحياء ٣ / ١٩
٣ . الإحياء ٣ / ٩٣
٤ . الإحياء ٣ / ٩٨
٥ . الإحياء ٣ / ٨١

ملكوا المال ولم يقدح ذلك في زهدهم ولا في ورعهم ولا في توكلهم ، وقد وجـدت عند ابن الجوزي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم – رحم ا الجميـع – أجوبـة سديدة على شُبهات المتصوفة في هذا الأمر وضوابط مهمة في التعامل مع المـال ، وإليك إيراد بعض كلامهم .

أولاً : ابن الجوزي :

ذكر ابن الجوزي كلاماً طويلاً في الرد على الصوفية في دعوتهم الخروج عـن الأموال والتجرد عنها[1] ، فذكر أنه إذا خرج عن بعض ماله وأبقى له كفايته ، وكان صاحب صنعة يستغني بها عن الناس فلا بأس ، خاصة إذا كان في ماله شبهه أمـا أن يخرج من ماله ثم يحتاج للناس ويفقر عياله ، فهذا إما أن يتعرض لمن الإخوان وصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات .

وقال : ((ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهـم ، وإنمـا العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا عليه وأمروا به مـع مصـادمته للعقـل والشرع ، كالحارث المحاسبي ، وشيده ونصرة أبو حامد الغزالي ، والحارث عندي أعذر من أبي حامد ، لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصـوف أوجـب عليه نصرة ما دخل فيه)) .

ثم بين ابن الجوزي شرف المال وعظم قدره وأمر ا بحفظه ، إذ جعله ا قيامـاً للآدمي الشريف فهو شريف ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [النساء : ٥] ، ونهى أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء : ٦] ، وقد صح عن رسول ا - ﷺ - أنه نهى عـن إضاعة المال ، وقال لسعد : (إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالـة يتكففون الناس)[2] ، وقال رسول ا - ﷺ - : (ما نفعني مال كمال أبي بكر...)[1] ،

---

١ . ينظر تلبيس إبليس ص ٢١٨ – ٢٣١ ، بتصرف .

٢ . تقدم تخريجه .

وقال - ﷺ - : (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[2] ، بل دعا لأنس بـن مالـك – رضي ا عنه - فقال : (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له)[3] .

فهل يأمر ا بحفظ المال وعدم التضييع ويرشد الرسول - ﷺ - أصحابه بالحفاظ على أموالهم ، ويدعوا لهم بكثرة المال ، ثم يقول قائل بعد ذلك إن حفظ المال سبب للحجب عن ا ونقص في التوكل على ا سبحانه .

ثم ذكر ابن الجوزي أن يعقوب – عليه السلام - لما قـالوا لـه : ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف : ٦٥] ، رضي وأرسل معهم بنيامين ، وأن شعيباً طمع في زيادة مـا يناله فقال : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ [القصص : ٢٧] ، وأن أيوب – عليه السلام - لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب ، فأخذ يحثوا في ثوبه يستكثر منه ، فقيـل له : أما شبعت ؟ قال : يا رب من يشبع من فضلك ، وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصدت به الخير كان ذلك خيراً محضاً .

وأيضاً ها هو أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد ا والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص من العشرة المبشرين بالجنة وكانت لهم أموال طائلة ، وورثوا الآلـف من الدنانير ، فالزبير مثلاً خلف خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، وأبن مسعود خلـف تسعين ألف ، وأكثر الصحابة كسبوا أموالاً وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأضاف ابن الجوزي فقال : وكان سعيد بن المسيب – رحمه ا - يقـول : لا خير فيمن لا يطلب المال ، يقضي به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمـه ،

---

١ . أخرجه الترمذي ٥ / ٦٠٩ ، ح ٣٦٦١ ، كتاب المناقب عن رسول ا ﷺ ، باب ١٥ ، وابن ماجه ١ / ٣٦ ، ح ٩٤ ، باب في فضائل أصحاب رسول ا ﷺ - أبي بكر .

٢ . أخرجه أحمد ٤ / ١٩٧ ، رقم ١٧٧٩٨ ، قال شعيب الأرنووط : إسناده قوي على شرط مسلم من حـديث عمرو بن العاص ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرط ، باب المال الصالح للمرء الصـالح ١ / ١١٢ ، رقـم ٢٩٩ ، صححه الألباني .

٣ . أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب قول ا تعالى : (وصلي عليهم) التوبة : ١٠٣ ، ومـن خـص أخاه بالدعاء دون نفسه ٥ / ٢٣٣٣ ، رقم ٥٩٧٥ من حديث أنس ، وأخرجه مسـلم أيضـاً ، كتـاب المسـاجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الجماعة في النافلة ١ / ٤٥٧ ح ٢٦٨.

فإن مات تركه ميراثاً لمن بعده ، وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار ، وخلف سفيان الثوري - رضي ا عنه - مائتين ، وكان يقول : المال في هذا الزمن سلاح .

ومازال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء ، وإنما تجاهلـه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمة فقنعوا باليسير ، ولو قال هذا القائـل إن التقلل منه أولى ، قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الإثم .

ورد ابن الجوزي على قولهم ترك المال الحلال أفضل من جمعه فقال : ((ليس كذلك ، بل من صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء)) .

وقال أيضاً : ((وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرته ما حكى – يعني المحاسبي – وكيف يقول : " إن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيـرات " ولـو ادعى الإجماع على خلاف هذا لصح ولكن تصوفه غير فتواه)) .

وعن المرزوي قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد ا : ((إني في كفاية ، فقال : إلزم السوق تصل الرحم وتعود المرضى)) .

وأما ما تزعمه المتصوفة أنه ليس للإنسان ادخار شي في يومه لغده ، وأن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه وقد نقص توكله ، فيروى أنه - ﷺ - ادخر لأزواجه قـوت سنة[1] ، وارشد سعد الى ان يترك من ميراثه لذريته[2] ، ولما جاء عمر بالصدقة قال له : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : نصف مالي[3] ، فلم ينكر عليه .

ثم ذكر بعد ذلك أن أهل التصوف لما خرجوا من أموالهم سقطوا في أمور منهي عنها ، كالسؤال والتعرض لأوساخ الناس ، مع أن الصدقة لا تصح لقوي مكتسـب

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب النفقات ، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيـف نفقـات العيـال ٥ / ٢٠٤٨ ، رقم ٥٠٤٢ من حديث عمر .

٢ . أخرجه البخاري ٣ / ١٠٠٦ ، ح ١٩٥٣ ، كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ، وأخرجه مسلم ٣ / ١٢٥٠ ، ح ١٦٢٨ ، كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث .

٣ . أخرجه أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب الرخصة في ذلك بعد باب الرجل يخرج من ماله ١ / ٥٣٦ ، رقـم ١٦٨٧ من حديث عمر بن الخطاب ، وحسنه الألباني ، وأخرجه الترمذي في مناقب أبي بكر وعمر ، باب ١٦ ، ٥ / ٦١٤ رقم ٣٦٧٥ .

كما في قوله - ﷺ - : (... لا حظ فيها لغني ولا قـوي مكتسـب)[1] ، أو أخـذ الأموال من الظلمة وأهل المكوس ومن في أموالهم شبهة ، وقد قال - ﷺ - : (... فمن اتقى الشبهات فقد استبرء لدينه وعرضه)[2] وقاء أبو بكر من أكل شبهه .

وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا من كان في ماله شبهه ، وكثير مـن السلف لم يقبل صلة الأخوان عفافاً وتنزهاً ، وعن أبي بكـر المـروزي قـال : ((ذكرت لأبي عبد ا رجلاً من المحدثين ، فقال – رحمه ا - : أي رجل كان لولا خلة واحدة كان لا يبالي ممن أخذ)) .

وذكر ابن الجوزي : ((أن أوائل الصوفية كانوا يتورعون عن حصول الأمـوال ويفتشون عن مطاعمهم ، وأن أحمد بن حنبل سئل عن السري السقطي ، فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السري : صحبت جماعة إلى الغـزو فاكترينـا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من ذاك التنور ، فأما من يرى ما قد تجـدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين اخذوا فإنه يعجب ، ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي : قد مضى إلى الأمير فلان يهنئـه بخلعـة قـد خلعت عليه ، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة ، فقلت : ويحكم يقعد أحـدكم عـن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات والصلات ، ثم لا يكفيه حتى يأخذ ، ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل ، وولاية لا عدل فيها ، وا إنكم اضر على الإسلام من كل مضر))[3] أ . هـ .

ومما استدل به المتصوفة على جواز إفساد المال ، قوله تعالى عـن سـليمان : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص : ٣٣] .

قال ابن الجوزي معلقاً عليها : ((لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعـدم عقل ، فالشرع أمر بحفظ المال وجعله قواماً للآدمي ولا يسلم إلا إلى رشيد ، والعقل

---

١ . أخرجه أبو داود ١ / ٥١٣ ، ح ١٦٣٣ ، كتاب الزكاة ، باب من يعطى من الصدقة وحد الغني ، من حديث عدي بن الخيار ، وأخرجه النسائي ٥ / ٩٩ ، ح ٢٥٩٨ ، كتاب الزكاة ، مسألة القوي المكتسـب ، وصـححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ١٤٣٨ .

٢ . أخرجه البخاري ١ / ٢٨ ، ح ٥٢ ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينـه ، ومسـلم ٣ / ١٢١٩ ، ح ١٥٩٩ ، كتاب المساقات ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

٣ . ينظر فيما تقدم تلبيس إبليس ٢١٨ – ٢٣١ .

يشهد بأنه إنما خلق للمصالح ، فإذا رمى به الإنسان فقد أفسد ما هو سبب لصلاحه ، وجهل حكمه الواضح ... ومن جهلهم حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنـه يحتج بمسح السوق والأعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد ، والفسـاد لا يجـوز فـي شريعة وإنما مسحها بيده وقال : أنت في سبيل ا)) [1] .

ورد أيضاً على من ينفق ماله كله ثم يطلب الصدقة من الناس ، فقال : ((لـو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الكسب لما فعل ، ولو قـدرنا جوازها فأين أنفة النفس من ذل الطلب ، ثم استدل بقوله عن ابن عمر عن النبـي - ﷺ - : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى ا - عز وجل - وليس في وجهه مزعة لحم) [2] متفق عليه .

وعن الزبير بن العوام - رضي ا عنه - قال : قال رسول ا - ﷺ - : (لئن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف بهـا وجهـه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) [3] .

وقال ابن الجوزي : وحكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخـذ خمسـين دينـاراً فرماها في دجلة وقال : ما أعزك أحد إلا أذله ا ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكـار فـأين أثر الفقه [4] !! .

وقد انتقد ابن الجوزي قصة رجل صوفي يسمى خير النساج الذي خاط لامـرأة منديلاً بدرهمين فقال : إذا جئت فلم تجديني فألقيها في النهر ، فجاءت فلـم تجـده فرمت بهما في النهر ، فبينما هو يتوضأ على النهر إذ خرج سرطان علـى ظهـره خرقة فيها الدرهمان .

قال ابن الجوزي : ((صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعـل مـن مخالفة الشرع ، لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة للمال ، وفي الصحيح

---

١ . تلبيس إبليس ص٤٣٢ .

٢ . أخرجه البخاري ٢ / ٥٣٦ ، ح ١٤٠٥ ، كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثراً ، وأخرجه مسـلم فـي كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ٢ / ٧٢٠ ، ح ١٠٤٠ .

٣ . أخرجه البخاري ٢ / ٥٣٥ ، ح ١٤٠٢ ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة .

٤ . تلبيس إبليس ص ٤٣٦ .

أن النبي - ﷺ - نهى عن إضاعة المال ، ولا تلتفت لمن يزعم أن هذا كرامة لأن الله - عز وجل - لا يكرم مخالفاً لشرعه))[1] .

ثانياً : شيخ الإسلام :

وقال شيخ الإسلام مبيناً ما تربى عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - مع فقرهم ، من العزة والتعفف كأهل الصفة قال : ((كان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يبعدهم عما هو أوجب وأحب إلى الله ورسوله من الكسب - ثم تكلم أن المسألة لا تجوز إلا بحق أو أمر لا بد منه - ... ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس ، ولا الإلحاف بالكدية والشحاذة لا بالزنبيل ولا غيره صناعةً وحرفة ...))[2] .

وقال : ((... وجمع المال إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه ، لكن إخراج مفضول المال والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع في الدنيا والآخرة))[3] .

وقال شيخ الإسلام مبيناً أن الغني قد يكون أفضل من الفقير ، والفقير قد يكون أفضل من الغني ، إذ لا أفضلية مطلقة لأحدهما على الآخر قال : ((وقد كان في الأنبياء والسابقين الأولين من الأغنياء من هو أفضل من أكثر الفقراء ، وكان فيهم من الفقراء من هو أفضل من أكثر الأغنياء ، والكاملون يقومون بالمقامين)) .

وقال : ((فالفقراء متقدمون في دخول الجنة على الأغنياء لخفة الحساب عليهم والأغنياء مؤخرون لأجل الحساب ، ثم إذا حوسب أحدهم فإن كانت حسناته أعظم من حسنات الفقير كانت درجته في الجنة فوقه ، وإن تأخر في الدخول))[4] .

بل قد حدد شيخ الإسلام أنواع طلب المال وكيفية التعامل معه ، فقال : ((إن طلب المال نوعان :

---

١ . تلبيس ابليس ص٤٢٦ .

١ . الفتاوى ١١ / ٤٤ – ٤٦ .

٢ . الفتاوى ١١ / ١٠٧ .

٣ . الفتاوى ١١ / ١٢١ .

منها : ما يحتاج العبد إليه كما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من ا ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه ، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعا .

ومنها : ما لا يحتاج العبد إليه ، فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها ، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها ، فنقصت عبوديته وتوكله ...))[1] .

ثالثاً : ابن القيم :

وقد وضح ابن القيم مبيناً أن الغنى وجد في الأنبياء والصالحين حتى الصحابة وغيرهم لكنهم لم يفتنوا بالمال ولم يغتروا به ، بل جعلوه عندهم كالعارية والوديعة ، مراقبين نظر ا إليهم فيما يتصرفون فيه ، فقال : ((وقد يكون العبد قد فوض إليه من ذلك شيء وجعل كالخازن فيه ، كما كان سليمان بن داود أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وكذلك الخليل وشعيب والأغنياء من الأنبياء ، وكذلك أغنياء الصحابة فهؤلاء لم يكونوا يريدون منه الملكة في الظاهر – أي تلك الأموال ونحوها – بل يرون ما في أيديهم عارية ووديعة في أيديهم ابتلاهم به ، لينظر هل يتصرفون فيه تصرف العبد أو تصرف الملاك الذين يعطون لهواهم ويمنعون لهواهم))[2] .

المسألة الثانية : تأييده لدعوتهم لإسقاط الجاه :

وقد قرر الغزالي دعوة الصوفية أتباعها لإسقاط الجاه ، لأنهم اعتبروا ذلك سبيلاً لترويض نفوسهم وقمعها وقطع شهواتها ، فمن ذلك قوله : ((وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه ، بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه))[3] .

وفي أثناء كلامه عما يجب على الشيخ من مراعاة حال المريد وما يحتاج إليه ، قال : ((فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى

---

١ . الفتاوى ١٠ / ١٨٩ .

٢ . طريق الهجرتين ص٣٩ .

٣ . الإحياء ٣ / ٩٨ .

الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه ، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال ، فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال ، فيكلفه على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزة نفسه ، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة ، إلى أن قال : وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب استخدمه على تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ))[1] .

وقال أيضاً : ((إن منهم من أراد تعويد نفسه على الحلم فأستأجر من يشتمه على ملأ من الناس حتى صار مضرب مثل على الحلم))[2] .

التعليق :

دعوة الغزالي لإسقاط الجاه ومحو أثر النفس وعزتها قد شنع عليهم فيها ابن الجوزي وبين أنه ليس في الشرع بحمد ا ما يدعو لإهانة النفس وإذلالها بل كرمها سبحانه قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] ، وقد قال النبي - ﷺ - : (ليس للمؤمن أن يذل نفسه)[3] وقال - ﷺ - : (من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر ا)[4] وذكر ما حكاه أبو حامد الغزالي عن أحدهم أنه عرف بالصلاح فأراد كسر نفسه فدخل حماماً وسرق منه ثياباً ثم خرج فأدركوه وأخذوا الثياب وصفعوه ، وسمي بعد ذلك بلص الحمام ، ثم قال أبو حامد : فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم ا من النظر إلى الخلق ، ثم من النظر للنفس ، وأرباب

---

١ . الإحياء ٣ / ٨٠ .

٢ . الإحياء ٣ / ٨١ .

٣ . أخرجه الترمذي ٤ / ٥٣٣ ، ح ٢٢٥٤ ، من حديث حذيفة ، كتاب الفتن عن رسول ا ﷺ ، باب ٦٧ ، وأخرجه ابن ماجه ٢ / ١٣٣٢ ، كتاب الفتن ، باب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) ، وصححه الألباني .

٤ . أخرجه مالك في الموطأ ٢ / ٨٢٥ ، عن زيد بن أسلم ، والبيهقي ٨ / ٣٢٦ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٤٩ .

الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير .

ثم أنكر عليه ابن الجوزي بقوله : ((سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء ، فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل ، والعجب من أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال .. وأي حالة أقبح وأشد من حال من خالف الشرع ؟!! ويرى المصلحة فيما نهى عنه ؟!! وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي ؟!! وهل قد عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها ؟!! وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال سارق !! وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ونحو ذلك عند شهداء ا في الأرض ... ثم في نص مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ، ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم ، كلا وا إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق - رضي ا عنه - أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه ، فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب للثياب))[1] .

وقال منكراً على ما ذكر عن أحدهم أنه اشترى لحماً فاستحيا أن يحمله أمام أهل السوق فعاقب نفسه فعلق اللحم في عنقه وحمله إلى بيته ، قال : ((وعجباً من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع ، وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع ، وقد ركز في الطباع أن الإنسان لا يحب أن يرى إلا متجملاً في ثيابه من العري وكشف الرأس ، والشرع لا ينكر عليه هذا ، وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح في الشرع والعقل ، فهو إسقاط للمروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه ، وليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس))[2] .

وها هو النبي - ﷺ - كان يكلم زوجته صفية ، فمر رجلان من الأنصار فلما رأياه أسرعا في المشي فقال : (على رسلكما إنما هي صفية ...)[3] ، كله دفع للتهمة

---

١ . تلبيس ابليس ص ٤٢٩ ، وانظر كلام الغزالي الإحياء ٣ / ٣٦٧ .

٢ . المرجع السابق ص ٤٣٠ .

٣ . أخرجه البخاري ، كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ٢ / ٧١٥ ، رقم ١٩٣ .

عن نفسه وإغلاق لوسواس الشيطان وحفاظاً على الكرامة ، بل كلما جـاءه رجـل معترف بذنب أعرض عنه عدة مرات للستر والإبقاء على الكرامة والعزة - ﷺ - .

وأما قول أبي حامد : أن الشيخ يخرج المريد للسوق للكديه والسؤال فهـذا أمـر غريب ، فالغزالي أمره أن يخرج من ماله ويرمي ما زاد عن الضرورة في البحر ، ثم يأتي هنا ويأمره أن يخرج للسوق للسؤال ، فإن كان له مال قد ضيعه فالسألة هنا لا تحل له لقوله - ﷺ - : (من سأل أموال الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليسـتقل أو ليستكثر)[1] ، أما إن كان فقيراً من أصله لا مال له ، فالمريد في الغالب شـاب ، وقد قال النبي - ﷺ - في الصدقة : (لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب)[2] .

فعلى كلا الحالين لا تحل للمريد المسألة ، فلماذا يأمره شيخه بأمر لا يجوز له ، ثم يزعمون بعد ذلك أن هذا من باب تربيته وترويض نفسه .

أما هذا الرجل الذي استأجر من يشتمه على ملأ ليتربى على الحلم فأمره غريب ، ألا يوجد طريقٌ للتعود على الحلم إلا بهذه الشـتائم والإهانـات وهـذه المخالفـات الشرعية ، فالشاتم يأثم بمعصيته وهذا الرجل يأثم بأمره له بهذه المعصية ، وقد قال النبي - ﷺ - : (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ... الحديث)[3] ، فلمـاذا لـم يرشد إلى الأسلوب الذي ذكره الغزالي عن بعض العباد .

المطلب الثالث : تأييده للخلوة والعزلة والأوراد الصوفية :

لما كان المتصوفة يطمعون في حصول الكشف والإلهام لهم ، رغبوا في الخلـوة ودعوا إلى العزلة وألزموا أنفسهم بالذكر الشرعي تارة وبـالأوراد المحدثـة تـارة أخرى ، وهذا ما جعل الغزالي يحذوا طريقهم فرغب في الخلوة والعزلة والأوراد ، ويمكن جمع ما أورده الغزالي في هذا الأمر في مسألتين :

---

١ . أخرجه مسلم ٣ / ٧٣٠ ، ح ١٠٤١ ، من حديث أبي هريرة ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس .

٢ . سبق تخريجه .

٣ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، من حديث أبي الدرداء ٧ / ٣٩٨ ، ح ١٠٧٣٩ ، وهـو فـي المعجـم الأوسط ٣ / ١١٨ ، ح ٢٦٦٣ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٣٢٨ .

المسألة الأولى : تأييده للأوراد الصوفية :

ضمن كلام الغزالي عن الكشف والإلهام وما يحصل بهما من علـوم ، ذكـر أن طريق ذلك مشروط بالخلوة في مكان مظلم ، أو يلف وجهه في كمه ويقتصر علـى الفرائض ويعتزل الناس ، ويذكر الأوراد الصوفية كقول : ا . ا ، ونحو ذلـك ، وقال أيضاً : ((فيلزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال ، ويلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشتغل بلسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً : ا . ا . أو : سبحان ا . أو ما يراه الشيخ من الكلمات))[1] .

وذكر بعض القصص التي تُقرر الأوراد الصوفية ، ومنها ما ذكره عن سهل بن عبد ا التستري : ((أن خاله محمد بن سوار علمه بعض الذكر ، ومنه أن يقـول في تقلبه في ثيابه ثلاث مرات من غير أن يتحرك به لسانه : " ا معي ، ا ناظر إلى ، ا شاهدي " أن يقولها كل ليلة سبع مرات ، ثم أمره أن يقولها إحدى عشـر مرة ، فوجد حلاوتها فأوصاه أن يداوم عليها حتى يدخل القبر))[2] .

التعليق :

لما عزل الشيطان المتصوفة عن العلم ومدارسته وقصر همـتهم علـى التعبـد والتنسك ، استدرجهم بعد ذلك إلى الاقتصار من العبادات علـى مجـرد الأذكـار والأوراد ، ثم نقلهم بعد ذلك من الأذكار المشروعة إلى أذكـار محدثـة مبتدعـة ، ظنوها مختصرة عن الأذكار الشرعية ، فجعلهم يستبدلون شهادة الإيمان والتوحيـد (لا إله إلا ا) إلى قول أحدهم (ا .. ا) أو (هو .. هو) وهـذا مصـداق لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور : ٢١] .

فتركوا العلم اقتصاراً على العبادة ، وما علموا أن العلم هو غذاء العبادة وأصلها ، ثم تركوا كثيراً من العبادات ، اقتصاراً على الذكر ، ثم تركوا الذكر المشروع إلـى أذكار محدثة لا تحوي حقيقة ذكر ولا دعاء ولا ثناء ، بل هـي ألفـاظ مجـردة ،

---

١ . الإحياء ٣ / ١٠٠ .

٢ . الإحياء ٣ / ٩٦ .

والغزالي هنا تابعهم وأقر هذه الأذكار المحدثة وغيرها من الأوراد الصوفية ، وهذا ما أنكره أهل العلم وأئمة السلف وبينوا خطئه وضلاله .

لذا لما ذكر ابن الجوزي أن رجلاً قال للشبلي : يا أبا بكر لم تقول (ا .. ا) ، ولا تقول لا إله إلا ا ؟ فقال الشبلي : أستحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي .

فقال الشاب : أريد حجةً أقوى من هذه .

فقال : أخشى أن أؤخذ في كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الإقرار .

علق عليها فقال : ((انظروا إلى هذا العلم الدقيق ؟!! فإن رسول ا - ﷺ - كان يأمر بقول : لا إله إلا ا ويحث عليها ، وفي الصحيحين عنه : (أنه كان يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا ا وحده لا شريك له)[1] ، (وكان إذا قام لصلاة الليل قال : لا إله إلا أنت ...)[2] ، وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا ا ، فانظروا إلى هذا التغاضي عن الشريعة واختيار ما لم يختره رسول ا - ﷺ -))[3] .

ويقول شيخ الإسلام : ((ومن زعم أن هذا – لا إله إلا ا – ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد – ا – وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر – هو هو – فهم ضالون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : ﴿ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله : ﴿ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، إلى قوله : ﴿ قُلِ اللّهُ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، أي ا الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول : من جاء ؟ فتقول : زيد .

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ٢٨٩ ، ح ٨٠٨ ، من حديث معاوية ، كتاب صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ١ / ٤١٤ ، ح ٥٩٣ .

٢ . أخرجه البخاري ١ / ٣٨٧ ، ح ١١٠٣ ، من حديث عبادة بن الصامت ، كتاب أبواب التهجد ، باب فضل من تعار من الليل .

٣ . تلبيس إبليس ص٤١٠ .

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً ، فليس بكلام تام ولا جملـة مفيـدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمـة ولا شرع ذلك رسول ا - ﷺ - ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعـاً ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيـره ، وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون الإلحاد وأنواع الاتحاد)) .

ثم رد شيخ الإسلام على قولهم : ((أخاف أن أموت بين النفي والإثبات)) بـأن النبي - ﷺ - أمر بتلقين الميت : لا إله إلا ا وقال : (من كان آخر كلامه لا إله إلا ا دخل الجنة)[1] ولو كان ما ذكره محذوراً لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتاً غير محمود !! بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد .

ثم وضح أن الذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان ، ثم استدل بالآيات الآمرة بذكر اسم ربك أو الأعلى أو العظـيم كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥] ، وأن النبي - ﷺ - أولها بالتكبير يوم العيد وهو كلام مفيد ، و﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] ، أن النبي - ﷺ - كان يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ، وفي ركوعه : سبحان ربي العظيم[2] ... فتسبيح اسم ربنا الأعلى وذكر اسمه ونحو ذلك هو بالكلام المفيد التام .

ثم قال : ((والمقصود هنا أن المشروع في ذكر ا سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلـوب ويحصـل بـه الثواب والأجر والقرب إلى ا ، ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية ، وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فـلا أصل له ، فضلاً عن أن يكون ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى أنواع من

---

١ . أخرجه أحمد ٥ / ٢٣٣ ، ح ٢٢٠٨٧ ، وصححه الأرناؤوط ، وأخرجه أبو داود من حديث معاذ ، كتـاب الجنائز ، باب في التلقين ٢ / ٢٠٧ ، ح ٣١١٦ ، وصححه الألباني .

٢ . أخرجه أبو داود ١ / ٢٩٢ ، ح ٨٦٩ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، وأخرجه ابن ماجه ١ / ٢٨٧ ، ح ٨٨٧ ، عن عقبة بن عامر ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب التسبيح في الركوع والسجود ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ، برقم ٨٧٩ ، وفي تمام المنة برقم ١ / ١٩٠ .

البدع والضلالات ، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحـوال أهـل الإلحـاد وأهل الاتحاد))[1] .

وأما ما ذكره من بعض الأوراد الصوفية كما عن سهل التستري أن خاله أمره أن يردد : (الله معي ، الله ناظر إلي ، الله شاهدي) وأن يكررها فهذه لا أصل لهـا ، ولم تثبت في حديث صحيح ولا موضوع ، والأصل في العبادات أنها توقيفية ومنها الذكر والأوراد .

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((ولا يجـوز أن يقـال هـذا مسـتحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف ، لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعي وروي له فضائل بأسانيد ضعيفة ، جاز أن تـروى إذا لم يعلم أنها كذب ، وذلك أن مقادير الثواب غير معلومة ، فإذا روي في مقـدار الثواب حديث لا يعرف أنه كذب لم يجز أن يكذب به ، وهذا هو الذي كان الإمـام أحمد بن حنبل وغيره يرخصون فيه ، في رواية أحاديث الفضائل ، أما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب مشروع بحديث ضعيف فحاشا لله ، كمـا أنهـم إذا عرفـوا أن الحديث كذب فإنهم لم يكونوا يستحلون روايته إلا أن يبينوا أنه كذب لقـول النبـي - ﷺ - : (من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين[2]) ...))[3] .

المسألة الثانية : تأييده للخلوة الصوفية :

أكد الغزالي ما حكاه عن المتصوفة من دعوتهم للخلوة والعزلة ، فقـال : ((إن طريق التحقيق لا يحصل إلا بالانقطاع عن الخلق وعدم النظـر إلـيهم ، وسـماع كلامهم ، وإن منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ، ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطريق المجاهدة ، فإذا حصل قلبه مع

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٢٢٦ – ٢٣٣ ملخصاً .

٢ . أخرجه الترمذي ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب في من روى حديث وهو يرى أنه كذب ، من حديث المغيرة بن شعبة ، ٥ / ٣٦ ، ح ٢٦٦٢ ، وأخرجه ابن ماجه ١ / ١٤ ، ح ٣٨ ، وصححه الألباني .

٣ . الفتاوى ١٠ / ٤٠٨ .

ا تعالى انكشف له جلال الحضرة الربانية وتجلى له الحق ، وظهر له من لطائف ا تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً))[1] .

وتكلم عن ضبط الحواس كالسمع والبصر واللسان من الشواغل ، فقال : ((وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يندثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحـق ويشـاهد جـلال الحضرة الربوبية ، أما ترى أن نداء رسول ا - ﷺ - بلغه وهو على مثـل هـذه الصفة فقيل له : " يا أيها المزمل .. يا أيها المدثر "))[2] .

التعليق :

المتأمل في شرع ا المبارك يجد الدعوة واضـحة وصـريحة فـي الاجتمـاع والتعاون وبذل الخير للناس ومشاركتهم في مواطن العبادات ونحوها ، يقول سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ، وقـال سـبحانه : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣] ، فجعل الصـلاة اجتمـاع يومي خمس مرات ، ثم اجتماع أسبوعي لصلاة الجمعة ، ثم اجتماع سنوي لصلاتي العيدين ، وكذلك الزكاة فيها تعاون وتراحم بين الأغنياء والفقراء ، وكذلك الصـوم يصوم الناس جميعاً ويفطرون جميعاً ، وكذلك موسم الحج يجتمع فيه المسلمون من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم من التعاون على الطاعات والتعلم لدينهم وتصـحيح أوضاعهم ، وها هو النبي - ﷺ - يقول في الصلاة وهي أعظم العبـادات ، كمـا أخرج أبو داود والنسائي من حديث أُبي بن كعب - رضي ا عنـه - قـال : قـال رسول ا - ﷺ - : (صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب إلى ا عز وجل)[3] .

---

١ . الإحياء ٣ / ١٠٢ .

٢ . الإحياء ٣ / ٩٩

٣ . أخرجه أبو داود في ضمن حديث ١ / ٢٠٧ ح ٥٥٤ كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة ، وأخرجـه النسائي ٢ / ١٠٤ ح ٨٤٣ ، كتاب الإمامة باب الجماعة إذا كانوا اثنين ، وصححه الألبـاني رحمـه ا فـي السلسلة الصحيحة برقم ١٩١٢ .

وقال أيضاً : (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخـالطهم ولا يصبر على أذاهم)[1] .

وعن أبي الدرداء - رضي ا عنه - قال : سمعت رسول ا - ﷺ - يقـول : (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)[2] .

يقول ابن الجوزي : ((كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلـة مـن النـاس اشتغالاً بالعلم والتعبد ، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق ، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطـة البطالين ، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فـي جبـل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ، ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهـل العلم وعمومهم اعتزل في الأربطة ، ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب)) .

ثم حكى عن أبي حامد دعوته للخلوة في مكان مظلم وقال : ((انظروا إلى هـذه الترتيبات والعجب كيف يصدر من فقيه عالم ومن أين له إن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية ، وما يؤمنه أن يكون مـا يجـده مـن الوسـاوس والخيالات الفاسدة ...))[3] .

وقد تقدم قوله في الرد على أبي حامد ودعوته للعزلة والاقتصار على الفرائض ، دون الانشغال بقراءة قرآن أو تعلم حديث .

قال : ((عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه إنه علـى الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم ، وعلى ما قد

---

١ . أخرجه أحمد ٥ / ٢٦٥ ح ٢٣١٤٧ عن ابن عمر ، وأخرجه الترمذي ٤ / ٦٦٢ ح ٢٥٠٧ كتـاب صـفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ا ﷺ بـاب ٥٥ ، وأخرجـه ابـن ماجـة ٣ / ١٣٣٨ ح ٤٠٣٢ كتـاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٦٥١ ، وفي السلسـلة الصـحيحة برقم ٩٣٣٩ .

٢ . أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٢٤٦ ح ٤٨٢ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيـب والترهيـب ١ / ٣٣٠ ح ٤٢٧ .

٣ . تلبيس إبليس ص٣٥٢ .

رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطـرد ذلك ، فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثةً ومناجاةً))[1] .

وقد وضح شيخ الإسلام أن الخلوة والعزلة المشروعة نوعان : واجبة ، ومستحبة :

أ) فالواجب : اعتزال الناس في الأمور المحرمة ومجانبتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام : ٦٨] ، وقوله سبحانه عن الخليـل : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤٩] ، وبقوله سبحانه عن أهل الكهف : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ١٦] ، فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعـة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي ، فلهذا أووا إلى الكهف وقال موسى : ﴿ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان : ٢١] .

ب) والمستحب : هو اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع ، والزهد فيه ، قال طاووس : ((نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه))[2] .

وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة فهذا حق[3] .

وقد أوضح شيخ الإسلام أمر الخلوات عند الصوفية وما يحتجون به عليها ، وما جرت إليه من مفاسد ألخصه في النقاط التالية :

١ – رد شيخ الإسلام احتجاجهم على الخلوة بتحنثه - ﷺ - في غار حراء ، فبـين أن هذا الاحتجاج لا يصح لأنه فعله قبل النبوة ولم يعد لفعله بعدها ، فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة ورجع إليه عدة مرات ولم يذهب لهذا الغار للخلوة فيه .

---

١ . تلبيس إبليس ص٣٩٣ .

٢ . لم أجده عن طاووس ، ولكن روي نحوه عن أبي الدرداء موقوفاً ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمـان ٧ / ٣٧٩ ، ح ١٠٦٥٦ ، وهو في مصنف أبي شيبة ٧ / ١١٢ ، ح ٣٤٥٩٥ .

٣ . الفتاوى ١٠ / ٣٩٣ - ٤٠٧ - ٤٢٥ .

٢ – وأيضاً احتجوا على الخلوة بأن ا وعد موسى أربعين ليلة ثم حصل له بعدها الخطاب ، فرد عليهم بأن هذا ليس في شريعة محمد التي هي ناسخة لشرائع قبلها .

٣ – إن هذه الخلوات مظنة للتلبسات الشيطانية ومكان للأرواح الخبيثة ، فكيـف إذا كان أصحابها قد أرهقهم الجوع والسهر ، مع أن هذه الأماكن لـيس فيهـا أذان ولا إقامة ، فقد قصدوا - بدلاً من المساجد - الكهوف والغيران والجبـال والمقـابر ، فكيف يسلمون بعد ذلك من الشيطان وأعوانه .

٤ – إن هؤلاء – أي أصحاب الخلوات – غالبهم أخرجـه الشـيطان مـن الـذكر المشروع إلى أذكار مبتدعة ، كقول ا ا ، بل صـرح متـأخروا الصـوفية أن مقصودهم ليس الذكر وإنما هو جمع القلب على شيء واحد لتنقطع شواغل الـنفس وعلائقها ، حتى قالوا : لا فرق بين قولك يا حي وقولك يا جحش ، تعالى ا عـن ذلك علواً كبيراً .

٥ – اعتذر شيخ الإسلام عن أبي حامد فقال : ((إن أبا حامد وأمثاله لـم يكونـوا يظنون أن هذه الخلوات وما فيها من محدثات تُفضي إلى الكفر والحلول والاتحـاد ، لكن البدع عموماً بريد الكفر وهذا من بقايا الفلسفة عليه ، فالغزالي ومن معه أخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة)) .

٦ – إن هذه الطريقة لو كانت حقاً فإنما تكون في حق من لم يأته رسول ، فأما من أتاه رسول وأمر بسلوك طريق فمن خالفه ضل ، وخاتم الرسل قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ولم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خـاطر وانتظار ما ينزل ، فهذه الطريقة لو قدر أنها طريقة لبعض الأنبياء لكانت منسوخة بشرع محمد - ﷺ - ، فكيف وهي طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريق الاتفاق ، بأن يقذف ا تعالى في قلب العبد إلهاماً ينفعه وهذا يحصل لكل أحد أي الإلهام ، فليس من لوازم هذا الطريق[1] .

وأوضح أيضاً شيخ الإسلام أن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول - ﷺ - أن يفرغ قلبه مما لا يحبه ا ويملؤه بما يحبه ا ، فيفرغه من عبادة غير ا ويملـؤه بعبادة ا ، ومن محبة غير ا ويملؤه بمحبة ا ومن خـوف غيـر ا ويملـؤه بالخوف من ا ، وينفي عنه التوكل على غير ا ويثبت فيه التوكل على ا .

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٩٣ .

المطلب الرابع : تأييده لطريقة الصوفية في رياضة النفس بـالجوع والسـهر والصمت والسياحة ومنعها من المباحات :

من وسائل أرباب التصوف في رياضة نفوسهم – زعموا – منعها من المباحـات وتهذيبها بالجوع والسهر والصمت ، ولقد أكثر الغزالي من النقل عـنهم بقصـص كثيرة لا يصدقها العقل ، وتخالف هدي صاحب الشرع - ﷺ - ، وتزيد غرابةً على رهبنة النصرانية ، وعبادات الهنود وأديانهم ، فها هو يقول : ((وربمـا يقـال إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد عن الله عز وجل ؟ وهـذا خيـال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وسبب إحباط كل حسنة ، والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا هو سبب البعد ، ثم ذكر قصة إبراهيم الخواص[1] لما اشتهت نفسه فأكل رمانةً ، فجاء إلى رجل تلسعه الزنابير فسلم عليه فقال له الرجل : وعليك السلام يا إبراهيم ، فقال له : وكيـف عرفتنـي ؟! فقـال : مـن عـرف الله – عز وجل - لم يخف عليه شيء ، ثم حذره من أكله للرمانة وأنه يجد ألمها في الآخرة .

ونقل عن السري السقطي أنه أربعين سنة تطالبه نفسه أن يغمس خبزه في دبـس فما أطاعها))[2] .

ونقل عن سهل بن عبد الله التستري : ((أنه مضى أكثر من اثنتي عشرة سـنة وقوته خبز شعير بلا ملح ولا أدم ، وكان يطوي ثلاثة أيام ثم خمسـة ثـم سـبعة ثم خمس وعشرين ليلة ، ومكث على ذلك عشرين سـنة ثـم خـرج يسـيح فـي الأرض سنين))[3] .

وذكر : ((أن الجوع سبب رقة القلب ، ورقته مفتاح المكاشفة ، كما أن قسـاوته سبب الحجاب ، وأن عيسى – عليه السلام - قال : يا معشر الحـواريين جوعـوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم))[4] .

---

١ . إبراهيم الخواص : هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الملقب بالخواص ، كان من أقران الجنيـد الثوري ، توفي في جامع الري سنة ٢٩١هـ ، انظر طبقات الصوفية ٢٨٤ .

٢ . الإحياء ٣ / ٨٨ .

٣ . الإحياء ٣ / ٩٧ .

٤ . الإحياء ٣ / ٩٨

ونقل عن سهل التستري قوله : ((ما صار الأبدال أبدالاً إلا بـأربع خصـالٍ : بإخلاء البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس))[1] .

وها هو الغزالي يقص عنهم اعتبارهم أن حصول الجوع لهم من علامة محبة ا لهم وبلوغهم المنزلة والوسيلة عنده ، فذكر أن كهمس[2] قال – وهو يدعو ربـه - : ((إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغت ونقل نحواً من ذلك عن الفضيل بن عياض)) .

وقال أبو سليمان : ((لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة ، وقال : الجوع عند ا في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه ، وقال : لا يوافي القيامة عمل خير أفضل من ترك فضول الطعام اقتداءاً بالنبي - ﷺ - في أكله ... إلى أن قال : مـا عبد ا بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال)) .

بل جعلوا الجوع سبباً للكرامات فها هو الغزالي يذكر : ((أن عبد الواحد بن زيد يقسم با تعالى : أن ا تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ، ولا مشوا على الماء إلا به ، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ، ولا تولاهم ا تعالى إلا بالجوع إلى غير ذلك من قصصهم))[3] ، بل رأى الغزالي أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضـل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل[4] .

والعجيب أن الغزالي لما ذكر أن الدرجة العليا في ترويض النفس بالجوع هي أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها حتى بلغ إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً ، وسمى من فعل ذلك من العباد والمتصوفة ، قال : ((وكان أبوبكر الصديق – رضـي ا عنـه - يطوي ستة أيام ، وعبد ا بن الزبير يطوي سبعة أيـام ، وكـذلك أبـو الجـوزاء صاحب ابن عباس ، وقال : قال بعض العلماء : من طوى أربعين يوماً ظهر له قدره من الملكوت ، أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية ، وأن راهباً أسلم لأنـه رأى

---

١ . الإحياء ٣ / ٩٩

٢ . كهمس : هو كهمس بن حسن التميمي الحنفي البصري ، من كبار الثقات ، حدث عن الحسن وعبد ا بـن شقيق ، وعنه ابن المبارك ووكيع ، توفي سنة ١٤٩هـ ، انظر السير ٦ / ٣١٦ ، والحلية ٦ / ٢١١ .

٣ . ينظر في جميع ذلك الإحياء ٣ / ١٠٨ .

٤ . الإحياء ٣ / ١١٦ .

أحد الشيوخ طوى ستين يوماً ، فتعجب الراهب وأسلم لأنه ما كان يظن أن أحداً يجاوز المسيح))[1] .

وأيضاً أورد عنهم أنهم حرموا أنفسهم من بعض الأطعمة ، فنقل عن مالك بن دينار أنه حرم نفسه اللبن والرطب . وآخر حلف أن لا يأكل رغيفاً حاراً ، وآخر حلف أن لا يأكل الفاكهة حتى لقي الله تعالى . وكذلك اللحم وغيره .. وقصص كثيرة في ذلك[2] ، ثم ذكر أن المريد يحصنه شيخه بأربعة أمور : الخلوة ، الصمت ، والجوع ، والسهر .

ثم قال : ((وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوره ، والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة ، فيكون سبب المكاشفة لأسرار القلب فقد قيل في صفة الأبدال : أن أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة .

أما الصمت فإنها تسهله العزلة ، ولكن المعتزل لا يخلو من مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة))[3] .

التعليق على تأييده لطريقة الصوفية في رياضة النفس بالجوع والسهر والصمت والسياحة :

قبل أن أرد على الغزالي في ذلك ننقل اعترافه بنفسه بخطأ هذه الطريقة وفسادها ، وأنه إنما يضطر لها لتربية المريد وترويض نفسه ، فبعد أن تكلم الغزالي بهذا الكلام في أن الجوع سبب للمكاشفة وعلامة لمحبة الله للعبد وهو من أفضل الأعمال ، وذكر القصص التي تحكي أحوال العباد والزهاد وطويهم وصيامهم الأيام الكثيرة بل الشهر والشهرين ، وتحريمهم المباحات والأطعمة على أنفسهم . قال : ((اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط ، إذ خير الأمور أوساطها ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب ، وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى ، وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على

---

١ . الإحياء ٣ / ١١٧ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٢١ .

٣ . الإحياء ٣ / ٩٩ .

وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكـان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ... ثم ذكر أن تجويع النفس وإيلامها إنمـا هـو لكسر شهوتها للطعام كالدابة الجموح التي تعذب في البداية ويؤلمها أصحابها حتـى تعتدل فإذا ارتاضت رجع بها إلى حد الاعتدال ...))[1] .

ثم قال : ((وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده ، بل يقتصر على مدح الجوع فقط ، ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليـه ، فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال))[2] .

لكن مع ذلك ، فلا شك أن مبالغته في مدح الجوع وأهله ، ومدح السهر والصـمت والسياحة ، وأثرها على صلاح القلب ، وما ذكره أن هذه الأمور سبب للولاية والكرامة ، وما حكاه عن العباد والزهاد ، كل هذه تُبقي أثراً سيئاً على عوام المسـلمين ، لـذا نُجيب عنها ونُبين فسادها من خلال كلام السلف – رحمهم الله – وذلك فيما يلي :

١ – دعوته للجوع وترك المباحات ومواصلة الصيام :

ما ذكره الغزالي من أن الجوع سبب للكشف ، وما نقله عـن بعـض العبـاد أن الجوع لا يؤتيه الله إلا من يحبه ، وأنهم ما مشوا على الماء إلا بـه ، ولا صـاروا أبدالاً إلا به ، كل هذا مخالف لما جاءت به شريعة الإسلام السمحة شريعة الرحمـة والخير ، وتأملٌ سريع في النصوص الشرعية والسيرة النبوية يدلك على خطـأ مـا قرره ومخالفة ما سطره ، فها هو ربنا سبحانه يقول : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف :٣١] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٧] ، وامتن على الناس فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [النحـل : ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعـراف : ٣٢] ، وقال في وصف محمد - ﷺ - : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

---

١ . الإحياء ٣ / ١٢٤ .

٢ . الإحياء ٣ / ١٢٧ .

فأين في هذه الآيات الأمر بالجوع الشهر والشهرين أو تحريم الثمـر والفاكهـة واللبن ؟!! .

وها هو النبي - ﷺ - يحب الحلوى والعسل ، وجمع بـين القثـاء والرطـب ، ويشرب اللبن ويحب الكتف من الذبيحة وينهش من الذراع ، ويفطر حتـى يقـال لا يصوم ، ويصوم حتى يقال لا يفطر ، وكان لا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً ، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله ، إلا أن تعافه نفسه ، فيتركه من غير تحريم ، وما عاب طعاماً قط - ﷺ -[1] .

فهل كان النبي - ﷺ - لم يبلغ المحبة والولاية حتى يتحقق له جـوع الصـوفية وتعذيبهم أنفسهم ، بل غضب - ﷺ - من الثلاثة نفر الذين سألوا عن عبادته ، فقال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثاني : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء .

فلما سمع ذلك جمع الناس ثم حمد ا وأثنى عليه ثم قال : (أما إني أخشـاكم وأتقاكم وإني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغـب عـن سنتي فليس مني)[2] .

ولما زار سلمان الفارسي أخاه أبا الدرداء فاشتكت إليه أم الدرداء حاله ، قال لـه سلمان بعدما أمره بالفطر وقد كان صائماً ، وأمره بالنوم حتى آخر الليل وقد كـان يقومه كله ، قال له : (إن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولربك عليك حقاً ، فأتى النبي - ﷺ - فذكر ذلك له فقال : صدق سلمان)[3] .

وقد كان لابن الجوزي انتقاداته النافعة حول هذا الأمر :

فقال في رده على ما حكاه الغزالي - أن صلاة الجائع قاعداً أفضل من صـلاته قائماً مع الشبع - قال : ((وهذا خطأ ، بل إذا تقوى على القيام كان أكلـه عبـادة ، لأنه يعين على العبادة ، وإذا تجوع إلى أن يصلي قاعداً فقـد تسـبب إلـى تـرك

---

١ . للاستزادة ينظر زاد المعاد ١ / ١٤٢

٢ . أخرجه البخاري ٥ / ١٩٤٩ ح ٤٧٧٦ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . وأخرجه مسلم في كتـاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم ١٤٠١

٣ . أخرجه البخاري ٥ / ٣٢٧٠٣ ح ٥٧٨٨ باب منع الطعام والتكلف للضيف

الفرائض ، فلم يجز له ، ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا ، فكيف وهو حلال ثم أي قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة)) .

ثم قال : ((... وهؤلاء قوم شددوا فيما بينهم فيما ابتدعوا ، وكانوا كقريش في تشددهم حتى سموا بالحمس ، فجحدوا الأصل – يعني التوحيد – وشددوا في الفرع وهو الحج)) .

وقال : ((وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة ، الذين لا يرون ذبح الحيوان ، والله – عز وجل - أعلم بمصالح الأبدان ، فأباح اللحم لتقويتها ، فأكل اللحم يقوي القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق ، وقد كان رسول الله - ﷺ - يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاه ... وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحماً ، وعلى هذا كان السلف إلا أن يكون منهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فإن هذا على الإطلاق لا يصلح ، لأن الله عز وجل لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الأخلاط ، الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء ، فتارةً يزيد بعض الأخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه ، مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة ، أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات ، فقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه ، فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت ، فقد قوبلت حكمة الباري - سبحانه وتعالى - بردها ، ثم يؤثر ذلك في البدن ، فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل ، ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة ، فإن أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم ، حتى أنه قال : لا ينبغي للمريد إذا تاقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه)) .

ثم رد عليه فقال : ((وهذا قبيح في الغاية فإن الإدام شهوة فوق الطعام ، فينبغي أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى ، أو ليس في الصحيح أن الرسول - ﷺ - طاف على نسائه بغسل واحد[١] ، فهلا اقتصر على شهوة واحدة أو ليس في

---

١ . تقدم تخريجه .

الصحيحين أن رسول ا - ﷺ - كان يأكل القثاء بالرطب[1] وهاتان شهوتان ، أو ما أكل عند أبي الهيثم بن التيهان خبز و شواء وبسراً وشرب ماءاً بارداً[2] ، أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلي ، أو ما تعاف الفرس الشـعير والتبن والقت ! وتطعم الناقة الخبط والحمض ! وهل البدن إلا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا تتخذ ذلك عادة فيحوج إلـى كلفـة ، وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجاب النوم ، ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر في كسبها ، وربما تناولها مـن غير وجهها ، وهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات)) .

ثم قال : ((واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع ، وأحسـن الآداب فـي المطعم أدب الشارع - ﷺ - ، حيث جاء عن المقدام بن معدي كرب – رضـي ا عنه - أن رسول ا - ﷺ - قال : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسـب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس)[3] .

فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً في مصلحتها ، ولو سمع " أبقـراط " هـذه القسمة في قوله : ثلث ، وثلث ، وثلث ، لدهش من هذه الحكـم لأن الطعـام والشـراب يربوان في المعدة فيقارب ملئها فتبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمـور ، فـإن نقص منه قليلاً لم يضره ، وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجاري على الطعام .

ثم نقل بعض الآثار عن السلف منها :

أن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه ا - سئل عن هؤلاء الـذين يـأكلون قلـيلاً ويقللون من مطعمهم فقال : ((ما يعجبني سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ، فعل قوم هذا فقطعهم عن الغرض)) .

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب الرطب بالقُثاء ، من حديث جعفر بن أبـي طـال ٥ / ٢٠٧٣ ، ح ٥١٢٤ ، ومسلم في كتاب الأشربة ، باب أكل القُثاء بالرطب ٢ / ١٦١٥ ، ح ٢٠٤٣ .

٢ . أخرجها الحاكم في المستدرك ٤ / ١٤٥ ، ح ٧١٧٨ ، وقال صحيح على شرط الشـيخين ولـم يخرجـه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩ / ٢٥٣ ، ح ٥٦٨ ، في أخبار مالك بن التيهـان أبـو الهيثم الأنصاري .

٣ . أخرجه أحمد ٤ / ١٣٢ ، ح ١٧٢٢٥ ، والترمذي ٤ / ٥٩٠ ، ح ٢٣٨٠ ، وقال حديث حسـن صـحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٦٥ .

وقيل لعبد الرحمن بن مهدي : يا أبا سعيد إن ببلادنا قوماً من هؤلاء الصـوفية ، فقال : لا تقرب هؤلاء ، فإنا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون .

ثم أوضح أن كثرة الجوع يؤدي إلى أن تهضم المعدة الأخـلاط فيفسـد المـزاج وتكثر الوساوس والجنون وسوء الأخلاق .

ثم قال : فإن قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر – رضي ا عنه - كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة ، وأن ابن الزبير كان يبقى أسبوعاً لا يأكـل ، وإن إبراهيم التيمي بقي شهرين ، قلنا : قد يجري للإنسان من هذا الفن في بعـض الأوقات غير أنه لا يدوم عليه ، ولا يقصد الترقي إليه ، وقد كان في السـلف مـن يجوع عوزاً ، أو منهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه ، وفي العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن ، ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهي عن جوع يضـعف القوة ويؤذي البدن ، وإذا ضعف البدن قلت العبادة .

ثم روى عن أنس – رضي ا عنه - قال : كان يطْرح لعمـر بـن الخطـاب – رضي ا عنه - الصاع من التمر فيأكله كله حتى حشفه[1] .

قال : وروينا عن إبراهيم بن أدهم أنه اشترى زبداً وعسلاً وخبزاً حواري ، فقيل له : هذا كله تأكله ؟!! قال : (إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا عـدمنا صـبرنا صبر الرجال)[2] أ . هـ .

قال ابن الجوزي – رحمه ا – أيضاً : ((وهذا الذي نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد ، قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همتهم في المأكل كما كانت همـة متقدميهم في الجوع ، لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبـد وافترشـوا فـراش البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب ، فإن أحسن محسن منهم قالوا : طُـرح شكراً ، وإن أساء مسيء ، قالوا : استغفر ...))[3] .

---

١ . لم أجد تخريجه .

٢ . تلبيس ابليس ص٢٦١ – ٢٦٧ بتصرف .

٣ . تلبيس إبليس ص ٢٧٣ .

وقال – رحمه ا - : ((وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ، ولقد رأيت شيخاً منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه))[1] .

ولما ساق الذهبي – رحمه ا - قول الجنيد : ((ما أخذنا التصوف عن القال والقيل بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات ، قال - راداً عليه - : هذا حسن ومراده قطع أكثر المألوفات وترك فضول الدنيا وجوع بلا إفراط أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان ورفض سائر الدنيا ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل فقد عرض نفسه لبلاء عظيم ، وربما خولط في عقله وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة ، وقد جعل ا لكل شيء قدرا ، والسعادة في متابعة السنن ، فزن الأمور بعدل ، وصم وأفطر ونم وقُم والزم الورع في القوت ، وارض بما قسم ا لك ، واصمت إلا من خير ، فرحمة ا على الجنيد وأين مثل الجنيد في علمه وحاله ؟؟))[2] .

وها هو شيخ الإسلام يوضح أن ا نهى عن تحريم الطيبات فيقول في ذلك : ((قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٧] ، ومن المشهور في التفسير : أنها نزلت بسبب جماعة من الصحابة كانوا قد عزموا على الترهب ، وفي الصحيحين عن أنس : (أن رجالاً من الصحابة سألوا أزواج النبي - ﷺ - عن عبادته في السر ، فتقالوا ذلك ... وذكر الحديث)[3] .

وفي الصحيحين عن سعد قال : (رد النبي - ﷺ - على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا)[4] ، وعن عكرمة أن علي بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد ، وسالماً مولى أبي حذيفة في أصحاب لهم تبتلوا ، فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح ، وحرموا الطيبات من الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل ، وهموا بالاختصاء ،

---

١ . تلبيس ابليس ص ٢٧٤ .

٢ . السير ١٤ / ٦٩ .

٣ . تقدم تخريجه .

٤ . تقدم تخريجه .

وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار ، فنزلت هذه الآية . وكذلك ذكر سائر المفسرين ما يشبه هذا المعنى .

ثم نهى سبحانه عن تحريم ما أحل من الطيبات ، وعن الاعتداء في تناولها وهـو مجاوزة الحد ، وقد فسر الاعتداء في الزهد والعبادة بأن يحرموا الحلال ويفعلوا من العبادة ما يضرهم . فيكونوا قد تجاوزوا الحد وأسرفوا . وقيل : لا يحملـنكم أكـل الطيبات على الإسراف وتناول الحرام من أموال الناس فإن آكل الطيبات والشهوات المعتدي فيها لا بد أن يقع في الحرام لأجل الإسراف في ذلك .

والمقصود بالزهد ترك ما يضر العبد في الآخرة ، وبالعبادة فعل ما ينفـع فـي الآخرة ، فإذا ترك الإنسان ما ينفعه في دينه وينفعه في آخرته وفعل من العبادة مـا يضر فقد اعتدى وأسرف ، وإن ظن ذلك زهداً نافعاً وعبادة نافعة .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي : ﴿ وَلاَ تَعْتَدُواْ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، أي : لا تجبوا أنفسكم ، وقال عكرمة : لا تسيروا بغير سيرة المسلمين : من ترك النسـاء ، ودوام الصيام والقيام . وقال مقاتل : لا تحرموا الحلال ، وعن الحسن : لا تأتوا ما نهى ا عنه ، وهذا ما أريد به لا تحرموا الحلال ولا تفعلوا الحرام ؛ فيكون قد نهى عن النوعين ، لكن سبب نزول الآية وسياقها يدل على قول الجمهور ، وقد يقال هذا مثل قوله : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وقوله فـي تمـام الآيـة : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا ﴾ [المائدة : ٨٨] .

وكذلك الأحاديث الصحيحة كقول أحدهم : لا أتزوج النساء ، وقول الآخـر : لا آكل اللحم . كما في حديث أنس المتقدم ، وهذا مما يدل على أن صوم الدهر مكروه ، وكذلك مداومة قيام الليل .

وهذا الذي جاءت به شريعة الإسلام هو الصراط المستقيم ، وهو الذي يصلح به دين الإنسان ، كما قال النبي - ﷺ - : (أعدل الصيام صيام داود ؛ كـان يصـوم يوماً ويفطر يوماً) وفي رواية صحيحة : (أفضل) والأفضل هو الأعدل الأقوم ، وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وهي وسط بين هذين الصنفين : أصحاب البـدع وأصحاب الفجور أهل الإسراف والتقشف الزائد .

ولهذا كان السلف يحذرون من هذين الصنفين . قال الحسن : هو المبتدع في دينه والفاجر في دنياه ، وكانوا يقولون : احذروا صاحب الدنيا أغوته دنياه ، وصـاحب هوى متبع لهواه ، وكانوا يأمرون بمجانبة أهل البدع والفجور .

فالقسم الأول : أهل الفجور وهم المترفون المنعمون أوقعهم الفجور في ما هم فيه .

والقسم الثاني : المترهبون ، أوقعهم في البدع غلوهم وتشديدهم . هؤلاء اسـتمتعوا بخلاقهم وهؤلاء خاضوا كما خاض الذين من قـبلهم ، وذلـك أن الـذين يتبعـون الشهوات المنهي عنها أو يسرفون في المباحات ويتركـون الصـلوات والعبـادات المأمور بها يستحوذ عليهم الشيطان والهوى فينسيهم ا والدار الآخـرة ، ويفسـد حالهم ، كما هو مشاهد في كثيرٍ منهم .

والذين يحرمون ما أحل ا من الطيبات – وإن كانوا يقولون : إن ا لم يحـرم هذا بل يلتزمون أن لا يفعلوه ، إما بالنذر وإما باليمين ، كما حرم كثير من العبـاد والزهاد أشياء – يقول أحدهم : على أن لا آكل طعاماً بالنهـار أبـداً ، ويعاهـد أحدهم أن لا يأكل الشهوة الملائمة ، ويلتزم ذلك بقصده وعزمه ، وإن لم يحلف ولم ينذر . فهذا يلتزم أن لا يشرب الماء ، وهذا يلتزم أن لا يأكل الخبز ، وهذا يلتزم أن لا يشرب الفقاع ، وهذا يلتزم أن لا يتكلم قط ، وهذا يجب نفسه ، وهذا يلتزم أن لا ينكح ولا يذبح . وأنواع هذه الأشياء من الرهبانية التي ابتدعوها على سبيل مجاهدة النفس وقهر الهوى والشهوة .

ولا ريب أن مجاهدة النفس مأمور بها ، وكذلك قهر الهوى والشهوة ، كما ثبـت عن النبي - ﷺ - أنه قال : (المجاهد من جاهد نفسه في ذات ا ، والكـيس مـن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواهـا وتمنـى علـى ا الأماني)[1] لكن المسلم المتبع لشريعة الإسلام هو المحرم ما حرمه ا ورسوله ، فلا يحرم الحلال ولا يسرف في تناوله ، بل يتناول ما يحتاج إليه من طعام أو لباس أو نكاح ويقتصد في ذلك ، ويقتصد في العبادة ، فلا يحمل نفسه ما لا تطيق .

---

١ . أخرجه الترمذي ٤ / ٦٢٨ ، ح ٢٤٥٩ ، وضعفه الألباني ، من حديث شداد بن أوس ، كتاب صفة القيامـة والرقائق والورع ، باب ٢٥ ، وأخرجه ابن ماجه ٢ / ١٤٢٣ ، كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ، دون لفظة (المجاهد من جاهد نفسه في ذات ا) .

فهذا تجده يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة ، التي غالب من سلكها ارتد على حافره ، ونقض عهده ، ولم يرعها حق رعايتها ، وهذا يثاب على ذلك ما لا يثاب على سلوك تلك الطريق ، وتزكو به نفسه ، وتسير به إلى ربه ، ويجد بذلك من المزيد في إيمانه ما لا يجده أصحاب تلك الطريق ، فإنهم لا بد أن تدعوهم أنفسهم إلى الشهوات المحرمة ، فإنه ما من بني آدم إلا وأخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا وقد قال تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨]))[1] . ويبين شيخ الإسلام حقيقة الزهد المشروع وأن تحريم الحلال ليس من الزهد في شيء فيقول :

((الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة ، وثقة بما عند ا كما في الحديث الذي في الترمذي : (ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد أن تكون بما في يد ا أوثق بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك)[2] لأن ا تعالى يقول : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فهذا صفة القلب .

وأما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة ا من مطعم وملبس ومال وغير ذلك ، كما قال الإمام أحمد : إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وصبر أيام قلائل))[3] .

ووضح شيخ الإسلام أن ما يجده بعض العباد من نور أو روحانية لبعض ما يفعله من العبادات الشاقة كالوصال في الصوم ونحوه أمر لا يغتر به فيقول :

((وأما النور الذي وجده بهذا الصوم : فمعلوم أن جنس العبادات ليس شراً محضاً ، بل العبادات المنهي عنها تشتمل على منفعة ومضرة ، ولكن لما ترجح ضررها على نفعها نهى عنها الشارع ، كما نهى عن صيام الدهر ، وقيام الليل كله دائماً ، وعن

---

١ . الفتاوى ١٤ / ٤٥٦ – ٤٦١ بتصرف يسير .

٢ . أخرجه الترمذي ٤ / ٥٧١ ، ح ٢٣٤٠ ، كتاب الزهد عن رسول ا ﷺ ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ... وفيه عمر بن واقد منكر الحديث ، وأخرجه ابن ماجه ٢ / ١٣٧٣ ، ح ٤١٠٠ ، كتاب الزهد ، باب الزهد في الدنيا ، قال الألباني : ضعيف جداً ، انظر ضعيف الجامع رقم ٣١٩٤ .

٣ . الفتاوى ٢٥ / ٢٧٨ – ٢٨١ بتصرف يسير .

الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ، مع أن خلقاً يجدون في المواصلة الدائمة نوراً بسبب كثرة الجوع ، وذلك من جنس ما يجده الكفار من أهل الكتاب والأميين ، مثل الرهبان وعباد القبور ، لكن تعود ذلك الجوع المفرط الزائد على الحد المشروع يوجب لهم ضرراً في الدنيا والآخرة ، فيكون إثمه أكبر من نفعه ، كما قد رأينا من هؤلاء خلقاً كثيراً آل بهم الإفراط فيما يعانونه من شدائد الأعمال إلى التفريط والتثبيط والملل والبطالة ، وربما انقطعوا عن الله بالكلية أو بالأعمال المرجوحة عن الراجحة أو بذهاب العقل بالكلية أو بحصول خلل فيه ، وذلك لأن أصل أعمالهم وأساسها على غير استقامة ومتابعة .

والاعتبار في ذلك بما جاء به الكتاب والسنة ، لا بما يستحسنه المرء أو يجده ، أو يراه من الأمور المخالفة للكتاب والسنة ، بل قد يكون أحد هؤلاء كما قال عمر بن عبد العزيز : من عبد الله بجهل أفسد أكثر مما يصلح))[1] .

٢ – أما دعوته للسياحة : فيجاب عنها أن العبادة هي ما أمر الله به ورسوله ، ولم يرد في الكتاب والسنة ما يدعو الناس إلى السياحة في البراري ، وليس هذا من دين الإسلام في شيء ، لذا يقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : ((... أما السياحة والإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله ، ولا هو من دين الأنبياء ، بل قد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] ، والإنفاق على العيال والكسب لهم يكون واجباً تارة ومستحبا أخرى ، فكيف يكون ترك الواجب أو المستحب من الدين ؟! .

وكذلك السياحة في البلاد لغير مقصود مشروع ، كما يعانيه بعض النساك أمر منهي عنه ، قال الإمام أحمد : ليست السياحة من الإسلام في شيء ، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين ، وأما السياحة المذكورة في القرآن من قوله : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] ، ومن قوله : ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [التحريم : ٥] ، فليس المراد بها هذه السياحة المبتدعة ، فإن الله قد

---

١ . ينظر الفتاوى ٢٥ / ٢٧٨ – ٢٨١ .

وصف النساء اللاتي يتزوجهن رسوله بذلك ، والمرأة المزوجة لا يشرع لها أن تسافر في البراري سائحة ، بل المراد بالسياحة شيئان :

أحدهما : الصيام ... كما روى عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن النبي - ﷺ - أنه قال : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى ا محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) متفق عليه . أ . هـ[1] .

وقال أيضاً : ((ومما ينبغي أن يعرف أن ا ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق ، حتى يكون العمل كل ما كان أشق كان أفضل ، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء ، لا ! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته وعلى قدر طاعة أمر ا ورسوله ، فأي العملين كان أحسن ، وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل ، فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة ، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل ... وأصل ذلك أن يعلم العبد أن ا لم يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا ، ولم ينهنا إلا عما فيه فسادنا ، ولهذا يثني ا على العمل الصالح ، ويأمر بالصلاح والإصلاح ، وينهى عن الفساد ... فالأمر المشروع المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها كالفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة فمن كان كذلك فمصيره إليها إن شاء ا تعالى .

هذا في كل عبادة لا تقصد لذاتها مثل الجوع والسهر والمشي ، وأما ما يقصد لنفسه مثل معرفة ا ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه فهذه يشرع فيها الكمال لكن يقع فيها سرف وعدوان بإدخال ما ليس منها ، مثل أن يدخل ترك الأسباب المأمور بها في التوكل أو يدخل استحلال المحرمات وترك المشروعات في المحبة فهذا هذا ، وا سبحانه وتعالى أعلم))[2] .

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٤٢ .

٢ . الفتاوى ٢٥ / ٢٨١ – ٢٨٤ بتصرف يسير

٣ - أما دعوته للصمت وعدم الكلام إلا لضرورة : فيجاب عنه بـأن الصـمت المطلق ليس مأموراً به ، كما أن الكلام ليس منهياً عنه بإطلاق ، فقد يكون الكـلام خيراً من السكوت إذا كان في أمر بمعروف أو تعليم أو نصح أو حاجة من حاجات الدنيا ، لذا عد شيخ الإسلام الأمر بالصمت الدائم من الأمور المنهي عنها ، فقـال : ((... ولهذا نهى عن الصمت الدائم ، بل المشروع ما قاله النبـي - ﷺ - قـال : (من كان يؤمن با واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) فالتكلم بالخير خير مـن السكوت عنه ، والسكوت عن الشر خير من التكلم به))[1] .

لذا وضح شيخ الإسلام أن الصمت المطلق بدعة ، وأن الكلام بالخير خير منـه وأنفع ، فقال : ((وأما الصمت عن الكلام مطلقاً في الصوم أو الاعتكاف أو غيرهما فبدعة مكروهة باتفاق أهل العلم ، لكن هل ذلك محرم أو مكروه ؟ فيه قـولان فـي مذهبه – أي أحمد وغيره - ، واستدل بما في صحيح البخـاري : (أن أبـا بكـر الصديق – رضي ا عنه - دخل على امرأة من أحمس فوجدها مصمتة لا تـتكلم فقال لها أبوبكر : إن هذا لا يحل ، إن هذا من عمل الجاهليـة)[2] ، وفـي صـحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال : (من هذا ؟ فقالوا : هذا أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل ، ولا يـتكلم ويصوم ، فقال : مروه فليجلس وليستظل وليتكلم ، وليتم صومه)[3] فـأمره - ﷺ - مع نذره للصمت أن يتكلم ، كما أمره مع نذره للقيام أن يجلس ، ومـع نـذره أن لا يستظل أن يستظل ، وإنما أمره بأن يوفي بالصوم فقط ، وهذا صريح في أن هـذه الأعمال ليست من القرب التي يؤمر بها الناذر ، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح : (من نذر أن يطيع ا فليطعه ومن نذر أن يعصي ا فلا يعصه)[4] كذلك لا يؤمر الناذر أن يفعلها ، فمن فعلها على وجه التعبد بها والتقرب واتخاذ ذلك ديناً وطريقـاً إلى ا تعالى ، فهو ضال جاهل مخالف لأمر ا ورسوله ، ومعلوم أن من يفعـل

---

١ . الفتاوى ٢٢ / ٣١٥ .

٢ . أخرجه البخاري ٣ / ١٣٩٣ ، ح ٣٦٢٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب أيام الجاهلية .

٣ . تقدم تخريجه .

٤ . أخرجه أحمد ٦ / ٣٦ ، ح ٢٤١٢١ ، قال الأرناؤوط : اسناده صحيح على شرط البخاري .

ذلك من نذر أو اعتكاف ونحو ذلك إنما يفعله تديناً ولا ريب أن فعلـه علـى وجـه التدين حرام فإنه يعتقد ما ليس بقربة قربة ، ويتقرب إلى ا تعالى بما لا يحبه ا ، وهذا حرام ، لكن من فعل ذلك قبل بلوغ العلم إليه فقد يكون معذوراً بجهله ، إذا لم تقم عليه الحجة ، فإذا بلغه العلم فعليه التوبة .

وجماع الأمر في الكلام قوله - ﷺ - : (من كان يؤمن با واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[1] فقول الخير - وهو الواجب أو المستحب - خير من السـكوت عنه ، وما ليس بواجب ولا مستحب فالسكوت عنه خير من قوله .

ولهذا قال بعض السلف لصاحبه : السكوت عن الشر خير من التكلم فيه ، فقال له الآخر : التكلم بالخير خير من السكوت عنه ، وقال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المجادلـة : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] ، وفي السـنن عـن النبي - ﷺ - أنه قال : (كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو ذكراً تعالى)[2] والأحاديث في فضائل الصمت كثيرة ، وكذلك في فضائل التكلم بالخير والصمت عما يجب من الكلام حرام ، سواء اتخذه ديناً أو لـم يتخذه كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيجب أن تحب ما أحبه ا ورسوله ، وتبغض ما يبغضه ا ورسوله ، وتبيح ما أباحه ا ورسوله ، وتحرم مـا حرمـه ا ورسوله))[3] .

---

١ . أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٤٠ ، ح ٥٦٧٢ ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن با واليوم الآخر فلا يـؤذي جاره ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ١ / ٦٨ ، ح ٤٧ .

٢ . وأخرجه الترمذي ٤ / ٨٠٦ ، ح ٢٤١٢ ، من حديث أم حبيبة ، قال الترمذي هذا حديث حسـن غريـب ، وضعفه الألباني انظر ضعيف الترغيب والترهيب ، ح ١٧٢٠ .

٣ . الفتاوى ٢٥ / ٢٩٢ – ٢٩٤ بتصرف يسير .

٤ – **أما دعوته للسهر :** فيجاب عنها أن يقال كيف ندعوا للسهر وقد كان النبـي - ﷺ - يكره الحديث بعد العشاء[1] ، فشيء كرهه رسول ا - ﷺ - وهو أعلم الخلق بالمصالح والمفاسد ، فلماذا يرغب فيه الغزالي ، يقول ابن حجـر – رحمـه ا - : ((والسمر بعدها – أي العشاء – قد يؤدي إلى النوم عن الصـبح أو عـن وقتهـا المختار أو عن قيام الليل ، وكان عمر ابن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول : أسمر أول الليل ونوماً آخره ؟؟!! ... ويمكن أن تُحمل الكراهة على الإطلاق حسماً للمادة ، لأن الشيء إذا شُرع كونه مظنة قد يستمر فيصير مئنة ، وا أعلم))[2] .

وقال ابن القيم – رحمه ا - : ((وأما الكلام فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة ، وأما فضول المنام فإنه شرع لها من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبة ، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلـب والبـدن ، ولا يعوق عن مصلحة العبد ، ومدار رياضة أرباب الرياضات والسـلوك علـى هـذه الأركان الأربعة : [الصوم ، الاعتكاف ، ترك فضول الكـلام وفضـول النـوم] وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي ولم ينحرف انحراف الغالين ولا قصر تقصير المفرطين ...))[3] .

وقال شيخ الإسلام : ((... ومن عظم مطلق السهر والجوع وأمر بهما مطلقاً فهو مخطيء ، بل المحمود السهر الشرعي ، والجوع الشرعي ، فالسهر الشرعي كمـا تقدم من صلاة أو ذكر أو قراءة أو كتابة علم أو نظر فيه أو درسه أو غير ذلك من العبادات ، والأفضل يتنوع بتنوع الناس ، فبعض العلماء يقـول : كتابـة الحـديث أفضل من صلاة النافلة ، وبعض الشيوخ يقول : ركعتان أصليهما بالليـل حيـث لا يراني أحد أفضل من كتابة مائة حديث . وآخر من الأئمة يقول : بل الأفضل فعـل هذا وهذا ، والأفضل يتنوع بتنوع أحوال الناس))[4] .

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب ما يكره من السفر بعد العشاء ، مـن حـديث أبـي بـرزة الأسلمي ٢ / ٨٧ ، ح ٥٩٩ ، انظر فتح الباري ٢ / ٨٧ .

٢ . فتح الباري ٢ / ٨٧ .

٣ . زاد المعاد ٢ / ٨٣ .

٤ . الفتاوى ٢٢ / ٣٠٨ .

وقد امتن الله – عز وجل – على عباده بالنوم ، فجعله قاطعاً لأشغالهم وراحة لأبدانهم ، يقول سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ : ٩] ، قال ابن جرير : ((أي جعلنا نومكم لكم راحة ودعة تهدئون به وتسكنون ...))[١] .

وأختم الكلام بتلخيص لكلام شيخ الإسلام حول هذه المسائل ، وذلك لأهميته ووضوحه في بيان المنهج النبوي الذي يجب أن يسير عليه كل من أراد العبادة والاجتهاد فيها ، حيث قرر شيخ الإسلام أفضل الأحوال في قيام الليل وصيام النهار فقال : وأما قيام الليل وصيام النهار فالأفضل في ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه فعله وقال : (أفضل القيام قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى)[٢] وقد ثبت في الصحاح أن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما - قال : لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ، ولأقرأن القرآن كل يوم ، فقال له النبي - ﷺ - : (لا تفعل فإنك إذا فعلت ذلك هجعت له العين أي غارت ونفهت له النفس – أي سئمت – ولكن صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صيامك الدهر ، يعني الحسنة بعشر أمثالها ، فقال : إني أطيق أفضل من ذلك ، فما زال يزايده حتى قال : صم يوماً وأفطر يوماً ، قال : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : لا أفضل من ذلك ، وقال له - في القراءة - : اقرأ القرآن في كل شهر ، فما زال يزايده حتى قال اقرأ في سبع ، وذكر له أن أفضل القيام قيام داود ، وقال له : (إن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً ، فآت كل ذي حق حقه)[٣] فبين له - ﷺ - أن المداومة على هذا العمل تغير البدن والنفس وتمنع من فعل ما هو أجل من ذلك من القيام بحق النفس والأهل والزوج .

وأفضل الجهاد والعمل الصالح ما كان أطوع للرب ، وأنفع للعبد ، فإذا كان يضره ويمنعه مما هو أنفع منه لم يكن ذلك صالحاً ، وقد ثبت في الصحيح أن رجالاً

---

١ . تفسير ابن جرير ١٢ / ٣٩٧ .

٢ . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤ / ٢٩٥ ، ح ٧٨٦٤ ، قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع ، ح ١٧٠ .

٣ . أخرجه البخاري ٣ / ١٢٥٧ ، ح ٣٢٣٧ ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : (وآتينا داود زبورا) ، وبنحوه عند النسائي في السنن الكبرى ٢ / ١٧٥ ، ح ٢٩٢٢ .

قال أحدهم : أما أنا فأصوم لا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال - ﷺ - : (ما بال رجال يقول أحدهم كيت وكيت ، لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1] فبين - ﷺ - أن مثل هذا الزهد الفاسد والعبادة الفاسدة ليست من سنته ، فمن رغب فيها عن سنته فرآها خيراً من سنته فليس منه .

وقد قال أبي بن كعب : (عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً فاقشعر جلده من خشية الله ، إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجر ، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً ، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً على منهاج الأنبياء وسنتهم)[2] ، وكذلك قال عبد الله بن مسعود : (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة)[3] .

وقد تنازع العلماء في سرد الصوم : إذا أفطر يومي العيد ، وأيام منى ، فاستحب ذلك طائفة من الفقهاء والعباد ، فرأوه أفضل من صوم يوم ، وفطر يوم . وطائفة أخرى لم يروه أفضل ، بل جعلوه سائغاً بلا كراهة ، وجعلوا صوم شطر الدهر أفضل منه ، وحملوا ما ورد في ترك صوم الدهر على من صام أيام النهي . والقول الثالث : وهو الصواب : قول من جعل ذلك تركاً للأولى ، أو كره ذلك . فإن الأحاديث الصحيحة عن النبي - ﷺ - كنهيه لعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما - عن ذلك ، وقوله : (من صام الدهر فلا صام ، ولا أفطر)[4] وغيرها صريحة في أن هذا ليس بمشروع ... وقد بين - ﷺ - حكمة النهي لمن صام الدهر بقوله : (من صام الدهر فلا صام ولا أفطر) فإنه يصير الصيام له عادة ... فلا ينتفع بهذا الصوم ولا يكون صام ولا هو أيضاً أفطر .

---

١ . تقدم تخريجه .

٢ . أخرجه ابن أبي شيبة ٧ / ٢٢٤ ، ح ٣٥٥٢٦ ، وهو في الحلية ١ / ٢٥٣ .

٣ . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ٢٠٨ ، ح ١٠٤٨٨ .

٤ . أخرجه النسائي ٤ / ٢٠٥ ، ح ٢٣٧٤ ، كتاب الصيام ، باب صوم النبي ﷺ ، وأخرجه ابن ماجه ١ / ٥٤٤ ، ح ١٧٠٥ ، من حديث عبد الله بن الشخير ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيام الدهر ، وصححه الألباني .

ومن نقل عنه من الصحابة أن سرد الصوم فقد ذهب إلى أحد هذه الأقوال ، وكذلك من نقل عنه أنه كان يقوم جميع الليل دائماً ، أو أنه يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة كذا وكذا سنة ، مع أن كثيراً من المنقول من ذلك ضعيف ، وقال عبد ا بن مسعود لأصحابه : أنتم أكثر صوماً وصلاةً من أصحاب محمد ، وهم كانوا خيراً منكم ، قالوا : لم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لأنهم كانوا أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة .

فأما سرد الصوم بعض العام ، فهذا قد كان النبي - ﷺ - يفعله ، قد كان يصوم حتى يقول القائل لا يفطر ، ويفطر حتى يقول القائل لا يصوم .

وكذلك قيام بعض الليالي جميعها . كالعشر الأخيرة من رمضان ، أو قيام غيرها أحياناً ، فهذا مما جاءت به السنن ، وقد كان الصحابة يفعلونه ، فثبت في الصحيح (أن النبي - ﷺ - كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد المئزر ، وأيقظ أهله ، وأحيا ليله كله) .

وفي السنن أنه قام بآية ليلة حتى أصبح : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] ، ولكن غالب قيامه كان جوف الليل ، وكان يصلي بمن حضر عنده ، كما صلى ليلة بابن عباس ، وليلة بابن مسعود ، وليلة بحذيفة بن اليمان ، وقد كان أحياناً يقرأ في الركعة بالبقرة والنساء وآل عمران ، ويركع نحواً من قيامه ، يقول في ركوعه : ((سبحان ربي العظيم ، سبحان ربي العظيم)) ويرفع نحواً من ركوعه ، يقول : ((لربي الحمد ، لربي الحمد)) ويسجد نحواً من قيامه يقول : ((سبحان ربي الأعلى ، سبحان ربي الأعلى)) ويجلس نحواً من سجوده يقول : ((رب اغفر لي ، رب اغفر لي)) ويسجد .

وأما الوصال في الصيام فقد ثبت أنه نهى عنه أصحابه ، ولم يرخص لهم إلا في الوصال إلى السحر ، وأخبر أنه ليس كأحدهم . وقد كان طائفة من المجتهدين في العبادة يواصلون ، منهم من يبقى شهراً لا يأكل ولا يشرب ، ومنهم من يبقى شهرين وأكثر وأقل ، ولكن كثير من هؤلاء ندم على ما فعل ، وظهر ذلك في بعضهم ؛ فإن

رسول الله - ﷺ - أعلم الخلق بطريق الله ، وأنصح الخلق لعباد الله ، وأفضل الخلق ، وأطوعهم له ، وأتبعهم لسنته .

والأحوال التي تحصل عن أعمال فيها مخالفة للسنة أحوال غير محمـودة ، وإن كان فيها مكاشفات ، وفيها تأثيرات ، فمن كان خبيراً بهذا الباب علـم أن الأحـوال الحاصلة عن عبادات غير مشروعة كالأموال المكسوبة بطريـق غيـر شـرعي ، والملك الحاصل بطريق غير شرعي ، فإن لم يتدارك الله عبده بتوبـة يتبـع بهـا الطريقة الشرعية وإلا كانت تلك الأمور سبباً لضرر يحصل له ، ثم قد يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له خطؤه ، وقد يكون مذنباً مغفوراً له لحسنات ماحية ، وقد يكـون مبتلى بمصائب تكفر عنه ، وقد يعاقب بسلب تلك الأحوال ، وإذا أصر على ترك ما أمر به من السنة ، وفعل ما نهي عنه ، فقد يعاقب بسلب فعل الواجبات ، حتى قـد يصير فاسقاً أو داعياً إلى بدعة وإن أصر على الكبائر فقد يخاف عليـه أن يسـلب الإيمان ، فإن البدع لا تزال تخرج الإنسان من صغيرة إلى كبيرة حتى تخرجه إلى الإلحاد والزندقة ، كما وقع لغير واحد ممن كـان لهـم أحـوال مـن المكاشـفات والتأثيرات ، وقد عرفنا من هذا ما ليس هذا موضع ذكره .

ومما ذكره شيخ الإسلام في إباحة الطيبات ، قوله : ((... وقد قال الله تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، فأمر بأكل الطيبات والشكر لله ، فمن حرم الطيبات كان معتدياً ، ومن لم يشكر كان مفرطاً مضيعاً لحق الله . وفي صحيح مسلم عن النبي - ﷺ - أنه قـال : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها)[1] ، وفي الترمذي وغيره عن النبي - ﷺ - أنـه قـال : (الطـاعم الشـاكر بمنزلـة الصائم الصابر)[2] .

---

١ . أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٩٥ ، ح ٢٧٣٤ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب حمـد الله بعد الأكل والشرب ، من حديث أنس .

٢ . أخرجه الترمذي ٤ / ٦٥٣ ، ح ٢٤٨٦ ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب ٤٣ ، وأخرجه ابن ماجه ١ / ٥٦١ ، ح ١٧٦٤ ، كتاب الصيام ، باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصـابر ، من حديث أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٨١٦ .

فهذه الطريق التي كان عليها رسول ا - ﷺ - هي أعدل الطرق وأقومها . والانحراف عنها إلى وجهين :

قوم يسرفون في تناول الشهوات ، مع إعراضهم عن القيام بالواجبات ، وقد قال تعالى : ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وقد قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ، وقوم يحرمون الطيبات ، ويبتدعون رهبانية لم يشرعها ا تعالى ، ولا رهبانية في الإسلام ... وا حرم علينا كل ما يضرنا ، وأباح لنا كل ما ينفعنا بخلاف أهل الكتاب فإنه بظلم منهم حرم عليهم طيبات أحلت لهم ، فحرم عليهم طيبات عقوبة لهم ، ومحمد - ﷺ - لم يحرم علينا شيئاً من الطيبات ، والناس تتنوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع ، والشخص الواحد يتنوع حاله ، ولكن خير الأعمال ما كان

أطوع ، ولصاحبه أنفع ، وقد يكون ذلك أيسر العملين ، وقد يكون أشدهما ، فليس كل شديد فاضلاً ، ولا كل يسير مفضولاً . بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد ، فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة ، لا لمجرد تعذيب النفس ... وأما مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة فليس هذا مشروعاً لنا ، بل أمرنا ا بما ينفعنا ، ونهانا عما يضرنا ، وقد قال - ﷺ - في الحديث الصحيح : (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[1] وقال لمعاذ وأبي موسى – رضي ا عنهما - لما بعثهما إلى اليمن : (يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا)[2] وقال : (هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فاستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا)[3] ... وأما مجرد بروز الإنسان للحر والبرد ، بلا منفعة شرعية ، واحتفاؤه وكشف رأسه ، ونحو ذلك مما يظن بعض الناس أنه من مجاهدة النفس فهذا إذا لم يكن فيه منفعة للإنسان وطاعة فلا خير فيه ، بل قد ثبت في الصحيح أن النبي - ﷺ - رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال : (ما هذا ؟ قالوا : هذا أبو

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ٨٩ ، ح ٢١٧ ، كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد .

٢ . أخرجه البخاري ٣ / ١١٠٤ ، ح ٢٨٧٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه ، وأخرجه مسلم ٣ / ١٣٥٩ ، ح ١٧٣٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير .

٣ . أخرجه البخاري ١ / ٢٣ ، ح ٣٩ ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، من حديث أبي هريرة .

إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ، ويصوم . فقال مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه)[1] . أ . هـ .

وبهذا يتضح أن خير العبادة وخير الزهد وأعظم الورع وأصل التقوى هو ما جاء الإرشاد إليه وإيضاحه في كتاب ا وسنة رسوله - ﷺ - وما كان عليـه - ﷺ - وأصحابه الكرام من صيام وصلاة وزهد وورع وتقوى ، وا أعلم .

١ . الفتاوى ٢٢ / ٢٩٩ – ٣١٥ ، بتصرف .

الفصل الثاني : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان والغضب والحقد والحسد ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد .

الفصل الثاني

المآخذ العقدية على كتب أفات اللسان والغضب والحقد والحسد ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كلامه عن آفات اللسان

تمهيد

إن كان كلام الغزالي عجيباً في بيان أحوال القلب ، فإن كلامه عن اللسان يثير دهشةً عظيمة ، فقد نبه على عظيم نعمة الله على عباده باللسان ، وأنه صغير في جرمه لكنه عظيم في فعله ، به يحصل الإيمان أو الكفر ، وبه يتناول العلم ويعبر عنه ، فالاهتمام بإصلاحه وتهذيبه غاية المطالب ، وتركه بلا رقابة يوقع في المعاطب ، ثم شرح آفات اللسان وجعلها عشرين آفة ، ذكر في كل آفة حقائقها وضوابطها ، وما يستثنى منها ، بكلام تدرك به موسوعته العلمية وتعبيره الدقيق ، وقد كان غالب كلامه موافقاً للنصوص الشرعية ، لكنه كسائر البشر لا يسلم من نقص أو خطأ ، فكان في كلامه مبهمات ومجملات ، وفي بعضه غلو وملاحظات وهي محصورةٌ في مسائل منها :

المسألة الأولى :

ما نقله عن بعض العباد من المبالغة في الامتناع عن الكلام ، مثل : قوله : (أقام المنصور بن المعتز[1] لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة) وأن الربيع بن خثيم[2] لم يتكلم بكلام الدنيا عشرين سنة ، وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاساً وقلماً فكل ما تكلم به كتبه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء ، وأن أبابكر الصديق كان يضع حصاةً في فيه يمنع بها نفسه من الكلام[3] .

---

١ . لم أجد ترجمته .

٢ . الربيع بن خثيم بن عائذ ، الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد الأعلام ، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن مسعود وجمع من الصحابة ، كان قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن ، كان ابن مسعود رضي الله عنه يحبه لزهده وورعه وعبادته ، مات سنة ٦٥هـ ، انظر الحلية ٢ / ١٠٥ ، والسير ٤ / ٢٥٨ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٤٢ – ١٤٥ .

التعليق :

ليس في شرع الله ما يدعو إلى الامتناع عن الكلام مطلقاً ، بل لم يـزل رسـولنا - ﷺ - يحدث أصحابه ويحدثونه في أمور دينهم ودنياهم دون أي تحرج منهم ، بل إن النصوص الواردة في الحث على قلة الكلام ، أو المبينة خطر اللسان ، هي لأجل الحذر من زلات اللسان وهفواته ، وليست لأجل كبت النفس وحرمانها مما أباحه الله لها من الكلام فيما تحتاجه وما تعبر به عن حوائجها ، فلماذا هذه الحكايـات عـن العباد التي تدعو الناس لأمر لا قبل لهم به ، فالكلام من أكبر النعم علـى العبـاد ، يعبرون به عما في أنفسهم ويطلبون به حوائجهم ويحصلون به أغراضهم وشـئون حياتهم ، لذا أوضح ابن الجوزي : ((أن من تلبيس إبليس على بعض الزهـاد أنـه يلزم نفسه بالصمت بحجة حفظ لسانه فينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقـه وزيادة انقباضه ناسياً قول النبي - ﷺ - : ولأهلك عليك حقاً ، وقـد كـان - ﷺ - يمزح ويلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وغير ذلك من أخلاقه اللطيفة ، فهذا المتزهد جعل زوجته كالأيم وأولاده كالأيتام ويرى أنهم يشغلونه عن الآخرة ، ولا يدري لقلة علمه أن الانبساط مع الأهل من العون على الآخرة))[1] ، وقال ابن رجب – رحمـه الله - : ((النبي - ﷺ - أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير ، فليس الكلام مأموراً به على الإطلاق ولا السكوت كذلك ، وذكر أن الأحنف بن قيس سئل : أيهما أفضل ؟ الصمت أو النطق ؟ فقال قوم : الصمت أفضل ، وقال الأحنـف : النطـق أفضل ، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه . وكذلك قال عمر بن عبد العزيز : إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضـلهما يوم القيامة حالاً ، وذلك لأن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . وبكل حال فالتزام الصمت مطلقاً أو اعتقاده قربةً إما مطلقاً أو في بعض العبادات كالحج والاعتكاف والصيام منهي عنه ...))[2] .

---

١ . تلبيس ابليس ص١٩٣

٢ . جامع العلوم والحكم ١ / ٢٤٦ – ٢٤٨ بتصرف .

وقد أوضح شيخ الإسلام أن التزام الصمت من البدع المنهي عنها ، وأنه من محدثات الصوفية[1] ، فقال : ((وأما الصمت عن الكلام مطلقاً أو في الصوم والاعتكاف أو غيرهما فبدعةٌ مكروهة باتفاق أهل العلم ... وفي صحيح البخاري أن أبابكر الصديق دخل على امرأة من أحمس فوجدها مصمتة لا تتكلم فقال لها أبوبكر : إن هذا لا يحل إن هذا من عمل الجاهلية ، ولما نذر أبو إسرائيل أن يقوم في الشمس وأن لا يتكلم وأن يصوم ، أمره أن يستظل وأن يتكلم وأن يتم صومه ، فأبقى له المشروع ونهاه عن غير المشروع ، وجماع الأمر في ذلك قوله - ﷺ - : (من كان يؤمن با والیوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) فقول الخير - وهو الواجب أو المستحب - خير من السكوت عنه ، وما ليس بواجب ولا مستحب فالسكوت عنه خير من قوله))[2] .

أما أثر أبي بكر فأخرجه الإمام أحمد في كتاب العلل معرفة الرجال بلفظ رأيت أبا بكر أخذ بطرف لسانه وهو يقول هذا أوردني الموارد[3] .

وبنحوه أخرجه الهيثمي من حديث أسلم عن عمر بنحوه وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مسري بن محمد بن حيان وقد وثقه ابن حبان[4] .

وصححه الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح[5] .

وصححه الألباني أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب[6] .

فهؤلاء الأئمة الحفاظ العدول تتوارد روايتهم لهذا الأثر من طرق مختلفة وليس فيها أنه - رضي ا عنه - كان يضع حصاة على لسانه أو في فمه مما يردده الغزالي ويتمثله المتصوفة منهجاً في حبس أنفسهم عن الكلام ، مع أنه لا وجود له

---

١ . الفتاوى ١٠ / ٤٠٣ ، ١١ / ٢٠٠ ، ٥٦٩ ، ٢٥ / ٢٧٧

٢ . الفتاوى ٢٥ / ٢٩٣

٣ . العلل ومعرفة الرجال ٢ / ١٣٢ ، أحمد بن حنبل – المكتب الإسلامي دار الخاني – بيروت – الرياض – تحقيق وصي ا بن محمد عباس ط١ – ١٤٠٨ برقم ١٧٨٥ – ٥١٩١ ، والدارقطني في العلل ١ / ١٥٨ ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زيد ا السلفي ، دار طيبة – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٤ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ - عدد الأجزاء : ١٠ .

٥ . مشكاة المصابيح برقم ٤٨٩٦ .

٦ . صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٨٧٣ .

عند رواة هذا الأثر عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه - فدل ذلك أن هذه الزيادة - وهي وضع الحصاة على اللسان أو في الفم - من تكلفات الصوفية وبدعهم ومن محدثاتهم ورياضتهم للنفس بطرق مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولها من الضرر وفيها من المشقة ما الله به عليم ، ولكي يروجوه على العامة ينسبونه للمقتدى بهم كأبي بكر الصديق – رضي الله عنه - .

المسألة الثانية : المبالغة في ذم الكلام فيما لا يعني :

في أثناء كلام الغزالي عن آفة الكلام فيما لا يعني استشهد بحديث أنس قال : (استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت : هنيئاً لك الجنة يا بني ، فقال رسول الله - ﷺ - : وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعني ويمنع ما لا يضر) .

التعليق :

هذا الحديث قال عنه العراقي : ((أخرجه الترمذي من حديث أنس مختصراً وقال : غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف))[1] .

أخرجه الترمذي من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش عن أنس[2] ، وقال أبو نعيم : تفرد به عمر عن أبيه حفص ، قلت : وكذا استغربه الذهبي على عمر بن حفص في السير[3] .

فيلحظ هنا كلام الأئمة في تضعيفهم لهذا الحديث ، وفيه من المبالغة المذمومة في التحذير من الكلام فيما لا يعني وأنه يمنع من دخول الجنة . وكيف يقال هذا والذنوب العظام والكبائر المهلكات دون الشرك كلها لا تمنع دخول الجنة ، بل إن شاء الله غفر لصاحبها وإن شاء عذبهم ، والمقصود أن الحديث ضعيف من جهتين ،

---

١ . الإحياء ٣ / ١٤٦ .

٢ . أخرجه الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في ترك ما لا يعني ، ٧ / ٧٧ ، ح ٢٣١٦ .

٣ . وأبو نعيم في الحلية ٥ / 55 – 56

من جهة إسناده ومن جهة دلالته ففيه مبالغة لذم الكلام فيما لا يعني إلى درجة أنـه يمنع الشهيد الذي تغفر ذنوبه كلها من أول قطرة من دمه ، ومع ذلك يمنعه الكـلام فيما لا يعني من دخول الجنة ؟!!

المسألة الثالثة :

قوله إن علاج الكلام فيما لا يعني : ((... أما من حيث العمـل فالعزلـة أو أن يضع حصاة في فيه ويلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسـان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً))[1] .

التعليق :

تقدم البيان بأن العزلة ليست محمودة بكل حال إذا كانت سبباً فـي تـرك العلـم وانقطاع عن الجمع والجماعات وأداء الحقوق من عيادة المريض وشهود الجنائز .

وأما العزلة عن مخالطة البطالين انشغالاً بالعلم وتحصيله ، أو بالتعبدات الشرعية فلا بأس بها ما لم يقطع عما ذكر سابقاً .

ولما سئل شيخ الإسلام : ((هل الأفضل الخلطة أم العزلة ؟ وضح أن المخالطـة إذا كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها ، أما إذا كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها ، فالاجتماع للجمع والجماعات والجهاد والعلم ونحوه أمر لا بد منه ولا بد للعبد أن يخلو بنفسه أوقاتاً لذكره وصـلاته ومحاسـبة نفسـه وإصلاح قلبه ، فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الإنفـراد مطلقـاً خطـأ ، ومقدار ما يحتاج الإنسان من هذا وهذا هو راجع إلى الأصلح ...))[2] .

وقال النووي بعد أن ذكر الخلاف في أيهما أفضل العزلة أم الاختلاط ؟ قال : ((... وقد كانت الأنبياء صلوات ا وسلامه عليهم وجمـاهير الصـحابة والتـابعون والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشـهود الجمعـة والجماعـة والجنائز وعيادة المريض وحلق الذكر وغير ذلك ...))[3] .

---

١ . الإحياء ٣ / ١٤٨ .

٢ . الفتاوى ١٠ / ٤٢٥

٣ . شرح النووي على مسلم ١٣ / ٣٤ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .

وقد أوضح ابن حجر – رحمه الله - : ((أن العزلة تتأكد في حق من لا يأمن على نفسه السلامة ، وإذا وقعت الفتنة العامة لما يحصل فيها غالباً من الوقوع في المحظور ، وقد تنزل عقوبة على أهل الفتنة فتعمه معهم))[1] .

أما وضع الحصاة في الفم فليس عليه دليل ، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - فلم يثبت عنه أنه أمر بذلك ، أو أرشد إليه ، أو أقر عليه ، وما ينسبه بعضهم لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه - أنه كان يضع حصاة في فمه ويجر لسانه ويقول : ((هذا الذي أوردني الموارد)) فهذا الأثر قد تبين أنه صحيح دون لفظة أنه يجعل الحصاة في فيه أو على لسانه فهي زيادة مكذوبة باطلة لا وجود لها في الكتب المعتبرة التي نقلت هذا الأثر عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه - .

المسألة الرابعة :

قال في فضول الكلام : ((... وقال مطرف[2] : ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب أو الحمار : اللهم اخزه ، وما أشبه ذلك ...))[3] .

التعليق :

هذا الأثر عن مطرف لم أجد له أصلاً ، وإن كان مقصوده – رحمه الله - تنزيه لفظ الجلالة وتعظيمه من أن يذكر مع ذكر الكلب والحمار ونحوه إلا أن النصوص جاءت تدل على أن ذكر مثل ذلك عند الحاجة لا يضر وليس من امتهان اسم الله ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ

---

١ . فتح الباري ١٣ / ٤٣ باب التعرب في الفتنة

٢ . مطرف بن عبد الله بن الشخير ، الإمام القدوة العامري البصري ، حدث عن أبيه رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه وجمع من الصحابة ، وعنه الحسن البصري وثابت البناني وغيرهم ، ولد عام بدر ، وتوفي سنة ٨٦هـ وقيل ٩٥هـ ، وكان ذا عقل واعتزال للفتن ، وكان مجاب الدعوة ، انظر تذكرة الحفاظ ١ / ٦٠ ، والسير ٤ / ١٨٧ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٤٨ .

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف : ٢٢] ، وجاء في الحديث : (إن ا ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية ...)[1] .

وفي الحديث : (أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل إمامه أن يجعل ا رأسه رأس حمار أو يجعل ا صورته صورة حمار ...)[2] ، وقد قال النبي - ﷺ - : (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك)[3] .

وبهذا نعلم أن مثل هذه الألفاظ يحكم عليها بحسب مقصود صاحبها ، فإن كان له مقصد صحيح فلا حرج بذلك ، وإن كان مقصوده غير صحيح فهنا الأولى تنزيه لفظ الجلالة عن مثل ذلك ، وا أعلم .

المسألة الخامسة :

قال في الآفة الرابعة المراء والجدال : ((... وقال الزبير لابنه : لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ، ولكن عليك بالسنة))[4] .

التعليق :

لم أجد هذا الأثر فيما رجعتُ إليه من المصادر ، ولكن مقصود الزبير واضح ، وهو أن خير ما يعين على فهم القرآن وبيان مجمله وتوضيح مبهمه وتفسيره وبيانه هو السنة النبوية ، فهي موضحة للقرآن وشارحة ، له يقول – سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، قال ابن كثير : ((﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم ، أي : من ربهم لعلمك

---

١ . أخرجه البخاري ٤ / ١٥٣٩ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ح ٣٩٦٢ ، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح ، باب تحريم الحمر الإنسية ٧ / ٩٥ ، ح ٤٩٩٦ .

٢ . أخرجه البخاري ١ / ٢٤٥ ، ح ٦٥٩ ، كتاب الصلاة باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام ، من حديث أبي هريرة ، ومسلم في الصلاة باب تحريم سبق الإمام بركوع أوسجود ٤ / ٣٧٠ ، ح ٩٦٢ .

٣ . أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٥٨٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٣٣٨ .

٤ . الإحياء ٣ / ١٥١ .

بمعنى ما أنزل ا وحرصك عليه واتباعك له ، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسـيد ولد آدم ، فتفصل لهم ما أُجمل وتبين لهم ما أشكل))[1] .

وأيضاً فقد يتأول كل القرآن بحسب معتقده وهواه ، فجعل السنة حاكمة على فهوم الناس وتأولاتهم للقرآن ، فهو - ﷺ - أعظم من فهم القرآن وبينه ووضح دلائلـه ، لذا قال - ﷺ - : (لألفين أحد منكم متكيء على أريكته يقول : بيني وبينكم كتـاب ا ... إلا إنما أوتيت القرآن ومثله معه)[2] .

وأما أن يفهم من هذا الأثر أنه ليس في القرآن حجة على الخصوم ، وليس فيه الآيات المحكمات والدلائل القاطعات ، فهذا أمر لا يريده أدنى المسلمين ، فكيـف يتَصـور أن يقوله الزبير بن العوام – رضي ا عنه - حواري رسول ا - ﷺ - وأحـد العشـرة المبشرين بالجنة ، وا سبحانه يقول : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] وقال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبـوت : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

المسألة السادسة :

دعوته للإجمال في الكلام عن صفات ا .

ذكر الغزالي من ضمن آفات اللسان الآفة العشرون والأخيرة : ((سؤال العوام عن صفات ا تعالى ، وذكر أن شأن العوام الإشتغال بالعبادات والإيمان بمـا ورد بـه القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث ، وأن سؤال العامي عن العلـم أكبر من كل كبيرة يرتكبها الناس خاصة فيما يتعلـق بأسـماء ا وصـفاته ، وأن سؤالهم ذلك سوء أدب منهم يستحقون منه المقت مـن ا – عـز وجـل - وأنـه يعرضهم لخطر الكفر وأنه مثير للفتن))[3] .

---

١ . تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٤ .

٢ . أخرجه أبو داود ٢ / ٦١٠ ، ح ٤٦٠٤ ، والترمذي ٥ / ٣٨ ، ح ٢٦٦٤ ، وصححه الألباني فـي مشـكاة المصابيح ١ / ٣٥ ، ح ١٦٣ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٠٨ انظر ص١٥٧ .

التعليق :

وهذا الكلام من الغزالي يفضي ويوهم العوام إلى غمـوض صـفات ا وعـدم وضوح معانيها وأنها لا يدركها إلا العلماء المدققون أهل البصـيرة النافـذة ، أمـا جمهور المسلمين فإنهم يبقون في عزلة عنها ، وهذا لعمر ا من تضـييع أصـل الأصول وأعظم الأمور ألا وهو معرفة ا وأسمائه وصفاته التي تورث صـاحبها حبه ومعرفته وخشيته ، بل إن أعظم ما يزيد به الإيمان ويكمل هو التدبر لمعـاني أسماء ا وصفاته ، لذا نزلت آيات الصفات في القرآن ، وتكررت في نهاية كل آية ليقرأها العوام والعلماء ، ويزدادوا بها إيماناً ويقيناً وعلماً ومعرفةً ، وتلاها الرسول - ﷺ - على صحابته وفيهم الأعرابي وحديث الإسلام وكبير السن والرجال والنساء ، ولم يخش عليهم ما توهمه الغزالي وأمثاله من احتمال الكفر وإثارة الفتنـة ، ولكـن الأمر الذي أثر على الغزالي في هذا هو المدرسة الكلامية الأشعرية التي ردح فيها زمناً من عمره وبقي عليه أثرها حتى في تصوفه ، والتي تنادي جمهور الناس إلى الإعراض عن نصوص الأسماء والصفات ، لأنهم يتعرضون لتأويلها وصرفها عن ظاهرها ، ويريدون من العوام أن لا يكتشفوا أباطيلهم ويتنبهـوا لقـبح تحريفـاتهم ، فروجوا هذه الدعاية الكاذبة وهي أن نظر العوام في معاني صفات ا تعالى وأسمائه سبب لوقوعهم في الفتن والكفر ، لذا فضح باطلهم أئمة أهل السنة وكشفوا عوارهم .

وقد رد شيخ الإسلام على خصومه لما طلبوا منه أن لا يتعرض لآيات الصـفات وأحاديثها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها ، فبـين بطلان كلامهم من وجوه ، أذكر بعضاً منها لدحض هذه الشبهة الخطيرة :

الوجه الأول : إن هذا الكلام أمر فيه بهذا المبتدع الذي لم يؤثر عن ا ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هو من ابتداع بعض المتكلمين الجهمية الـذي وصـف ربه بما وصفه ، ونهى فيه عن كلام ا وكلام رسوله الذي وصف به نفسه ووصفه به رسوله أن يفتي به أو يكتب به أو يبلغه لعموم الأمة ، وهذا نهـي عـن القـرآن والشريعة والسنة والمعروف والهدى والرشاد وطاعة ا ورسوله ، وعن ما تنزلت به الملائكة من عند ا على أنبيائه ، وأمر بالنفاق والحديث المفترى مـن دون ا

والبدعة والمنكر والضلال والغي وطاعة أولياء من دون ا واتباع لما تنزلـت بـه الشياطين ، وهذا من أعظم تبديل دين الرحمن بدين الشيطان واتخاذ أنداد مـن دون ا قال ا تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وهذا الكلام نهى فيه عن سبيل المؤمنين وأمر بسبيل المنافقين ، وقال تعـالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة : ١٠١ – ١٠٢] ، فذم سبحانه من كان من أهل الكتاب نبذ كتاب ا وراء ظهـره واتبع ما تقوله الشياطين ومن أمر بهذا الكلام فقد أمر بنبذ كتـاب ا وراء الظهـر حيث أمر بترك التعرض لما وصف ا به نفسه ووصفه به رسوله وذلك في آيات الصفات و أحاديث الصفات ، فأمر بأن لا يفتي بها ولا يكتب بها ولا تبلـغ لعمـوم الأمة ، وهذا من أعظم الإعراض عنها والنبذ لها وراء الظهر ، وأمـر مـع ذلـك باعتقاد هذه الكلمات المتضمنة لمخالفة ما جاءت به الرسل كمـا سـنبينه إن شـاء ا تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، فبين سبحانه وتعالى أن للأنبياء عدواً من شياطين الإنس والجن يعلـم بعضـهم بعضـاً بـالقول المزخرف غرورا ، وأخبر أن الشياطين توحي إلى أوليائها بمجادلـة المـؤمنين ، فالكلام الذي يخالف ما جاءت به الرسل هو من وحي الشياطين وتلاوتهـم ، فمـن أعرض عن كتاب ا واتباعه فقد نبذ كتاب ا وراء ظهره واتبع ما تتلوه شـياطين الإنس والجن .

الوجه الثاني : إن قول القائل : نطلب منه أن لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها ، يتضمن إبطـال أعظم أصول الدين ودعائم التوحيد فإن من أعظم آيات الصفات آية الكرسي التـي هي أعظم آية في القرآن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح وقل هو ا أحد التـي

هي تعدل ثلث القرآن كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي - ﷺ - وكذلك فاتحة الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها كما ثبت ذلك في الصحيح أيضا ، وهي أم القرآن التي لا تجزئ الصلاة إلا بها فـإن قوله : ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ١ – ٣] ، كـل ذلك من آيات الصفات باتفاق المسلمين ، وقل هو ا أحد قد ثبت فـي الصـحيحين عن عائشة أن رسول ا - ﷺ - : (بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصـحابه في صلاتهم فيختم بقل هو ا أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول ا - ﷺ - فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول ا - ﷺ - : أخبروه أن ا يحبه) .

وهذا يقتضي أن ما كان صفة من الآيات فإنه يستحب قراءته وا يحب ذلك ، ويحب من يحب ذلك ، ولا خلاف بين المسلمين في استحباب قـراءة آيـات فـي الصفات في الصلاة الجهرية التي يسمعها العامي وغيره ، بـل بسـم ا الـرحمن الرحيم من آيات الصفات وكذلك أول سورة الحديد إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هي من آيات الصفات ، وكذلك آخر سورة الحشر هي من أعظم آيات الصفات ، بل جميع أسماء ا الحسنى هي مما وصف به نفسه كقوله : الغفور الـرحيم العزيـز الحكيم العليم القدير العلي العظيم الكبير المتعال العزيز القوي الرزاق ذو القوة المتين الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ، وما أخبر ا عن علمـه وقدرتـه ومشيئته ورحمته وعفوه ومغفرته ورضاه وسخطه ومحبته وبغضه وسمعه وبصره وعلوه وكبريائه وعظمته وغير ذلك من آيات الصفات ، فهل يأمر من آمـن بـا ورسوله بأن يعرض عن هذا كله ، وأن لا يبلغ المؤمنين من أمة محمد - ﷺ - هذه الآيات ونحوها من الأحاديث ، وأن لا يكتب بكلام ا وكلام رسوله الذي هو آيات الصفات وأحاديثها إلى البلاد ولا يفتي في ذلك ولاية .

وقد قال ا تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعـة : ٢] ، وأسوأ أحوال العامة أن يكونوا أميين فهل يجوز أن ينهى أن يتلى على الأميين آيات ا أو عن أن يعلمهم الكتاب والحكمة ، ومعلـوم أن

جميع من أرسل إليه الرسول من العرب كانوا قبل معرفة الرسالة أجهل من عامـة المؤمنين اليوم ، فهل كان النبي - ﷺ - ممنوعاً من تلاوة ذلك عليهم وتعليمهم إياه ؟ أو مأموراً به ؟ أوليس هذا من أعظم الصد عن سبيل ا ؟ وقد قـال ا تعـالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ ﴾ [آل عمران : ٩٩] ، وقال : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا ﴾ [النسـاء : ١٦٠] ، أو ليس هذا نوعاً من الأمر بهجر القرآن والحديث وترك استماعه ، وقد قال تعـالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان : ٣٠ - ٣١] ، وقال تعـالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان : ٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، فهلا قال فاستمعوا له إلا لأعظم ما فيه وهـو مـا وصفت به نفسي فلا تستمعوه أو لا تسمعوه لعامتكم ؟!! وقال تعـالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقـال تعـالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمـر : ١٨] ، وقال تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمـر : ٢٣] ، وقال تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الكهف : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] إلى قوله : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

الوجه الثالث : إن أعظم ما يحذره المنازع من آيات الصفات ما يزعم أن ظاهرها كفر وتجسيم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، و قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص : ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] ، فهل سمع أن أحداً ممن يؤمن بالله ورسوله منع أن يقرأ هذه ، وتتلى على العامة ، وهل ذلك إلا بمنزلة من منع من سائر الآيات التي يزعم أن ظاهرها كفر وتجسيم وخبر يخالف رأيه ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] وقوله : ﴿ لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] ، وقوله : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣] ، وقوله : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٦] ، وقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وكذلك آيات الوعد والوعيد وأحاديث الوعد والوعيد هل يترك تبليغهما لمخالفتها له أو الوعيدية أو المرجئة وآيات التنزيه والتقديس كقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣ - ٤] ، وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، وقوله : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ٩٤ - ٩٨] ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً ﴾ [البقـرة : ٢٢] ، ونحو ذلك هل يترك تلاوتها وتبليغها لمخالفتهما لرأي أهل التشبيه والتمثيل ؟

الوجه الرابع : إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشـتملة علـى أحاديـث الصفات ، بل قد بوب فيها أبواب مثل كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهميـة الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري ، ومثل كتاب الرد على الجهمية في سنن أبـي داود ، وكتاب النعوت في سنن النسائي ، فإن هذه مفردة لجمع أحاديـث الصـفات وكذلك قد تضمن كتاب السنة من سنن ابن ماجه ما تضمنه .

وكذلك تضمن صحيح مسلم وجامع الترمذي وموطأ مالك و مسند الشافعي ومسند أحمد بن حنبل ومسند موسى بن قرة الزبيدي ومسند أبي داود الطيالسي ومسند ابن وهب ومسند أحمد بن منيع ومسند مسدد ومسند إسحاق بن راهويه ومسند محمد بن أبي عمر العدني ومسند أبي بكر بن أبي شيبة ومسند بقي بن مخلد ومسند الحميدي ومسند الدارمي ومسند عبد بن حميد ومسند أبي يعلى الموصلي ومسند الحسن بـن سفيان ومسند أبي بكر البزار ومعجم البغوي والطبراني وصحيح أبي حاتم بن حبان وصحيح الحاكم وصحيح الإسماعيلي والبرقاني وأبي نعيم والجوزقي وغير ذلك من المصنفات الأمهات التي لا يحصيها إلا ا ، دع ما قبل ذلك من مصنفات حماد بن سلمة وعبد ا بن المبارك وجامع الثوري وجامع ابن عيينة ومصنفات وكيع وهشيم وعبد الرزاق وما لا يحصيه إلا ا فهل امتنع الأئمة من قراءة هذه الأحاديث علـى عامة المؤمنين ؟!! أو منعوا من ذلك ؟! أم ما زالت هذه الكتـب يحضـر قراءتهـا ألوف مؤلفة من عوام المؤمنين قديما وحديثا ، وأيضا فهذه الأحاديث لما حدث بهـا الصحابة والتابعون ومن اتبعهم من الخالفين هل كانوا يخفونها عن عموم المـؤمنين ؟! ويتكاتمونها ويوصون بكتمانها ؟! أم كانوا يحدثون بها كما كانوا يحدثون بسائر سنن رسول ا - ﷺ - وإن نقل عن بعضهم أنه امتنع من رواية بعضـها فـي بعـض الأوقات فهذا كما قد كان هذا يمتنع عن رواية بعض أحاديث في الفقـه والأحكـام وبعض أحاديث القدر والأسماء والأحكام والوعيد وغير ذلك في بعض الأوقات ليس

ذلك عنده مخصوصا بهذا الباب ، وهذا كان يفعله بعضهم ويخالفه فيه غيره وذلـك لأنه قد يرى أن روايتها تضر بعض الناس في بعض الأوقات ويرى الآخر أن ذلك لا يضر بل ينفع ، فكان هذا مما قد يتنازعون فيه في بعض الأوقات ، فأما المنع من تبليغ عموم أحاديث الصفات لعموم الأمة فهذا ما ذهب إليه من يؤمن با واليوم الآخر .

وإنما هذا ونحوه رأي الخارجين المارقين من شريعة الإسلام كالرافضة والجهمية والحرورية ونحوهم ، وهو عادة أهل الأهواء ، ثم الأحاديث التي يتنازع العلماء في روايتها أو العمل بها ليس لأحد المتنازعين أن يكره الآخر على قوله بغير حجة من الكتاب والسنة باتفاق المسلمين ، لأن ا تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

الوجه الخامس : إنه إذا قدر في ذلك نزاع فقد قال ا تعـالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فأمر ا الأمة عند التنازع بالرد إليه وإلى رسوله ووصف المعرضين عن ذلك بالنفاق والكفر ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٦٠ - ٦٣] ، فوصف سبحانه من دعى إلى الكتاب والسـنة فأعرض عن ذلك بالنفاق ، وإن زعم أنه يريد التوفيق بذلك بـين الـدلائل العقليـة والنقلية أو نحو ذلك وأنه يريد إحسان العلم أو العمل وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا ﴾ [البقـرة : ١٧٠] ، وقـال تعـالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] ، إلى قوله : ﴿ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٨] .

الوجه السادس : إن ا تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ [البقرة : ١٥٩] ، ويقول في كتابـه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقـرة : ١٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، فمن أمر بكتم ما وصـف ا بـه نفسه ووصفه به رسوله فقد كتم ما أنزل ا من البينات والهدى من بعد مـا بينـه للناس في الكتاب ، وهذا مما ذم ا به علماء اليهود وهو من صفات الزائغين مـن المنتسبين إلى العلم من هذه الأمة ، وقال النبي - ﷺ - : (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه ا يوم القيامة بلجام من نار) وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

الوجه السابع : إن كل من أمر بكتمان ما بعث ا به رسوله من القرآن والحديث ، كالآيات والأحاديث التي وصف ا بها نفسه ووصفه بها رسوله وأمـر مـع ذلـك بوصف ا بصفات أحدثها المبتدعون تحتمل الحق والباطل أو تجمع حقا وبـاطلا ، وزعم أن ذلك هو الحق الذي يجب اعتقاده وهو أصل الدين ، وهو الإيمان الذي أمر ا به رسوله ، فهذا مضاهاة لما ذم ا به من حال أهل الكتاب حيث قال : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة : ٥٩] ، وقال : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥ - ٧٩] .

فإن هؤلاء كتبوا هذه المقالات التي ابتدعوها ، وقالوا للعامة هذ أمـر ا الـذي أمركم به ، وهذا كذب وافتراء على ا ، فإذا جمعوا إلى ذلك كتمان ما أنزل ا من الكتاب والحكمة فقد ضاهوا أهل الكتاب في لبس الحق بالباطل وكتمان الحـق قـال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقـرة : ٤٠ - ٤٢] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

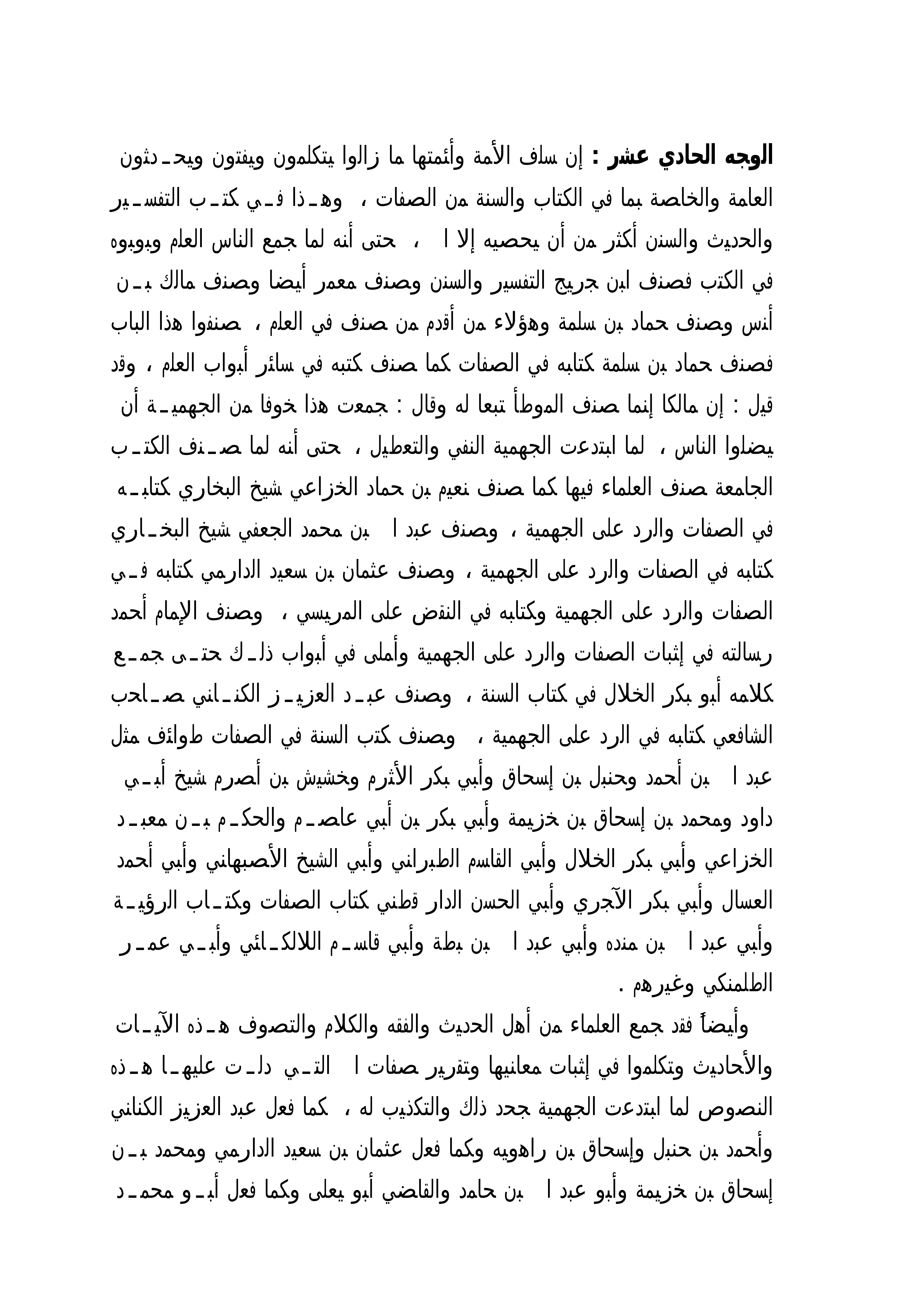
الوجه الثامن : إن هذا خلاف إجماع سلف الأمة وأئمتها ، فإنهم اجمعوا في هـذا الباب وفي غيره على وجوب اتباع الكتاب والسنة ، وذم ما أحدثه أهل الكلام مـن الجهمية ونحوهم ، مثل ما رواه أبو القاسم اللالكائي في أصول السنة عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغـرب علـى الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول ا - ﷺ - في صـفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلـك فقد خرج مما كان عليه النبي - ﷺ - وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسـروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فـارق الجماعـة لأنه قد وصفه بصفة لاشيء .

الوجه التاسع : فقد ذكر محمد بن الحسن الإجماع على وجوب الإفتاء فـي بـاب الصفات بما في الكتاب والسنة ، دون قول جهم المتضمن للنفي فمن قال لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بل يعتقد ما ذكره من النفي فقد خالف هذا الإجماع ، ومن أول ما قيل فـيهم قـول الشافعي – رحمه ا - حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريـد والنعـال وأن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتـاب والسـنة وأقبـل على الكلام .

الوجه العاشر : إن قول القائل : لا يتعرض لأحاديث الصفات آياتها عند العوام ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها .

إما أن يريد بذلك أنه لا تتلى هذه الآيات وهذه الأحاديث عند عوام المؤمنين فهذا مما يعلم بطلانه بالاضطرار من دين المسلمين ، بل هذا القول إن أخذ على إطلاقـه فهو كفر صريح ، فإن الأمة مجمعة على ما علموه بالاضطرار مـن تـلاوة هـذه الآيات في الصلوات فرضها ونفلها واستماع جميع المؤمنين لذلك ، وكذلك تلاوتهـا وإقرائها واستماعها خارج الصلاة هو من الدين الذي لا نزاع فيه بـين المسـلمين وكذلك تبليغ الأحاديث في الجملة هو مما اتفـق عليـه المسـلمون وهـو معلـوم بالاضطرار من دين المسلمين ، إذ ما من طائفة من السلف والخلف إلا ولا بـد أن تروي عن النبي - ﷺ - شيئا من صفات الاثبات أو النفي فإن ا يوصف بالإثبات وهو إثبات محامده بالثناء عليه وتمجيده ويوصف بالنفي وهو نفي العيوب والنقائص عنه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وأما أن يريد أنه لا يقال حكمها كذا وكذا إما إقرار وتأويل أو غير ذلـك ، فـإن أراد هذا فينبغي لقائل ذلك أن يلتزم ما ألزم به غيره ، فلا ينطق في حكم هذه الآيات والأحاديث بشيء ، ولا يقول الظاهر مراد أو غير مراد ولا التأويل سائغ ولا هـذه النصوص لها معان أخر ونحو ذلك ، إذ هذا تعرض لآيات الصفات وأحاديثها على هذا التقدير وإذا التزم هو ذلك وقال لغيره التزم ما لتزمته ولا تزد عليها ولا تنقص منها فإن هذا عدل ، بخلاف ما إذا نهى غيره عن الكلام عليها مع تكلمه هو عليهـا كما هو الواقع ، وكذلك قوله ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها إن أراد أنها أنفسها لا تكتب ولا يفتى بها فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار مـن ديـن الإسلام كما تقدم ، وإن أراد لا يكتب بحكمها ولا يفتي المستفتي عن حكمها ، فيقال له : فعليك أيضا أن تلتزم ذلك ، ولا تفتي أحدا فيها بشيء من الأمور النافية وحينئذ يكون أمرك لغيرك بمثل ما فعلته عدلا ، أما أن يجيء الرجل إلى هـذه النصـوص فيتصرف فيها بأنواع التحريفات والتأويلات جملة أو تفصيلا ويقـول لأهـل العلـم والإيمان أنتم لا تعارضوا ولا تكلموا فيها فهذا من أعظم الجهل والظلم والإلحاد في أسماء ا وآياته .



الوجه الحادي عشر : إن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات ، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا ا ، حتى أنه لما جمع الناس العلم وبوبوه في الكتب فصنف ابن جريج التفسير والسنن وصنف معمر أيضا وصنف مالك بن أنس وصنف حماد بن سلمة وهؤلاء من أقدم من صنف في العلم ، صنفوا هذا الباب فصنف حماد بن سلمة كتابه في الصفات كما صنف كتبه في سائر أبواب العلم ، وقد قيل : إن مالكا إنما صنف الموطأ تبعا له وقال : جمعت هذا خوفا من الجهمية أن يضلوا الناس ، لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل ، حتى أنه لما صنف الكتب الجامعة صنف العلماء فيها كما صنف نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري كتابه في الصفات والرد على الجهمية ، وصنف عبد ا بن محمد الجعفي شيخ البخاري كتابه في الصفات والرد على الجهمية ، وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتابه في الصفات والرد على الجهمية وكتابه في النقض على المريسي ، وصنف الإمام أحمد رسالته في إثبات الصفات والرد على الجهمية وأملى في أبواب ذلك حتى جمع كلامه أبو بكر الخلال في كتاب السنة ، وصنف عبد العزيز الكناني صاحب الشافعي كتابه في الرد على الجهمية ، وصنف كتب السنة في الصفات طوائف مثل عبد ا بن أحمد وحنبل بن إسحاق وأبي بكر الأثرم وخشيش بن أصرم شيخ أبي داود ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأبي بكر بن أبي عاصم والحكم بن معبد الخزاعي وأبي بكر الخلال وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي أحمد العسال وأبي بكر الآجري وأبي الحسن الدار قطني كتاب الصفات وكتاب الرؤية وأبي عبد ا بن منده وأبي عبد ا بن بطة وأبي قاسم اللالكائي وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم .

وأيضاً فقد جمع العلماء من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف هذه الآيات والأحاديث وتكلموا في إثبات معانيها وتقرير صفات ا التي دلت عليها هذه النصوص لما ابتدعت الجهمية جحد ذلك والتكذيب له ، كما فعل عبد العزيز الكناني وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وكما فعل عثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وأبو عبد ا بن حامد والقاضي أبو يعلى وكما فعل أبو محمد

عبد ا بن سعيد بن كلاب وأبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وأبـو الحسـن علي بن مهدي الطبري والقاضي أبو بكر الباقلاني[1] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد ا آل الشيخ : وما ذكره عن مالـك فـي أحاديـث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك ، وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن فهل يقول مالك أو غيره من علماء الاسلام إن آيات الصفات لا تتلى على العوام وما زال العلماء قديما وحديثاً من أصحاب النبي - ﷺ - ومـن بعـدهم يقرؤون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم ، بـل شـرط الإيمان هو الإيمان با وصفات كماله التي وصف بها نفسه في كتابه أو على لسان رسوله - ﷺ - فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين ، بل نقول من لم يـؤمن بـذلك فليس من المؤمنين ومن وجد في قبله حرجا من ذلك فهو من المنافقين ، ولكن هـذا من بدع الجهمية وأتباعهم الذين ينفون صفات الرب تبـارك وتعـالى ، فلمـا رأوا أحاديث الصفات مبطلة لمذاهبهم قامعة لبدعهم تواصوا بكتمانها عن عوام المـؤمنين لئلا يعلموا ضلالهم وفساد اعتقادهم ، فاعلم ذلك ، وفي الأثر دليل على أنه إذا خشي ضرر من تحديث الناس ببعض ما يعرفون فلا ينبغي تحديثهم به وليس ذلك علـى الإطلاق لأن كثيرا من الدين والسنن يجهله الناس ، فإذا حدثوا بـه كـذبوا بـذلك وأعظموه ، فلا يترك العالم تحديثهم بل يعلمهم برفق ويدعوهم بالتي هي أحسن[2] .

المسألة السابعة : المبالغة في ذم الضحك :

أورد الغزالي بعض الآثار عن العباد فيها مبالغة في ترك الضحك من ذلك ما ذكره أن رجلاً قال لأخيه : يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال نعم ، قال فهل أتاك أنـك خارج منها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟؟ قيل : فما رؤي ضاحكاً حتى مات .

---

١ . الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٢٧ ط١٣٨٦ دار المعرفة بيروت .

٢ . تيسير العزيز الحميد١/ ٥١٤ .

وذكر أن يوسف بن أسباط[1] قال : أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وذكر أنه قيل : أقام عطاء السليمي أربعين سنة لم يضحك ونحو ذلك[2] .

التعليق :

مثل هذه القصص تُعطي آثاراً سيئة على الناس ، منها : اعتبارهم أن الضحك معصية ومنقصة للشخص ، ومن ثم يعتبر الضحوك نفسه من جملة الفساق والمتساهلين ، ومنها محاولة أهل العبادة والنُسك الامتناع عن الضحك والنفور منه ، مما يسبب نفرة الناس عنهم وابتعادهم منهم ، ومنها تنفير غير المسلمين من الإسلام خاصة إذا عرفوا أنه دين ينهى عن الضحك ، ويرغب في تركه السنين الطويلة ، لذا وضح العلماء المنهج الإسلامي الصحيح في مسألة الضحك ، وأن الإسلام دين الفرح والسرور وانشراح الصدر ، لكن في حدود المباح من غير إفراط .

قال النووي في باب المزاح : ((قال العلماء المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله تعالى والفكر في مهمات الدين ، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار ، فأما من سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله - ﷺ - يفعله ، فإنه - ﷺ - إنما كان يفعله في نادر من الأحوال للمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته ، وهذا لا مانع قطعاً منه ، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة فاعتمد ما نقلناه عن العلماء وحققناه في هذه الأحاديث وبيان أحكامها فإنه مما يعظم الاحتياج إليه وبالله التوفيق))[3] .

قُلت : وقد كان رسول الله - ﷺ - بشَراً يضحك مما يضحك منه البشر ، ويتعجب مما يتعجب من مثله ، بل ويبكي - ﷺ - مما يبكي منه البشر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف : ١١٠] ، فالفرق بيننا وبينه - ﷺ - أنه

---

١ . يوسف بن أسباط الزاهد من سادات المشايخ ، له مواعظ وحكم ، نزل بالثغور مرابطاً ، وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال البخاري : دفن كُتبه ، فكان حديثه لا يجيب كما ينبغي ، انظر حلية الأولياء ٨ / ٢٣٧ ، والسير ٩ / ١٦٩ .

٢ . الإحياء٣ / ١٦٥ .

٣ . الأذكار ١/ ٧٦٣

يوحى إليه ، وحمل الرسالة ، لكن في غير ذلك نجده - ﷺ - إنسان ، فلم يكن من اللائق به - ﷺ - أن يكون عابس الوجه ، مقطب الجبين ، مكفهر المظهر ، بل كان - ﷺ - إنساناً مثالياً كاملاً في صفاته وأخلاقه .

فكان يضحك وقت الضحك غير مستجمع الضحك ، فلم يكن مثل هؤلاء المستهترين الذين يتكسبون بفكاهتهم وليس لهم غرض إلا الضحك والمزاح ، ولا جافاً غليظاً ، بل كان ضحوك السن ، بسام المحيا ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، فكان سمح النفس ، طاهر القلب ، كثير العفو ، جم التواضع ، كما يصفه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - بقوله : (من رآه بديهة هابة ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول واصفه : لم أر قبله ولا بعده مثله)[١] .

وعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه - قال : (ما حجبني رسول الله - ﷺ - منذ أسلمتُ ، ولا رآني إلا ضحك) وفي لفظ (إلا تبسم)[٢] .

وكان جل ضحكه - ﷺ - التبسم ، وربما زاد على ذلك حتى تبدو نواجذه - أضراسه - فكان ضحكاً به وقار ، ولا يصدر صوتاً أو قهقهةً ونحو ذلك ، وقد ورد في كيفية ضحكه - ﷺ - أحاديث نذكر منها :

١ - عن عمر - رضي الله عنه - قال : (ضحك رسول الله - ﷺ - وكان من أحسن الناس ثغراً)[٣] .

٢ – عن عائشة – رضي الله عنها - قالت : (ما رأيتُ رسول الله - ﷺ - قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم)[٤] .

---

١ . الإحياء ٢ / ٣٣٧ .

٢ . رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ٥ / ٢٢٦٠ ، ح ٥٧٣٩ ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، ٤ / ١٩٢٥ ، ح ٣٤٧٥ .

٣ . رواه مسلم ٢ / ١١٠٥ ، ح ١٤٧٩ ، كتاب الطلاق ، باب الإيلاء واعتزال النساء .

٤ . رواه البخاري ٥ / ٢٢٦١ ، ح ٥٧٤١ ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ، ٢ / ٦١٦ ، ح ٨٩٩ .

٣ – وعن أبي ذر – رضي ا عنه - قال : ((لقـد رأيـت رسـول ا - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه))[1] .

وكان النبي - ﷺ - دائم التبسم ، ومن أحسن الناس ثغراً وأطيبهم نفساً ، وكان - ﷺ - في بيته من أكثر الناس تبسماً ، وكان يبتسم عندما ينشد الصحابة الشـعر ويتضـاحكون ، ومن ذلك ما رواه جابر بن سمرة – رضي ا عنه - سئل : ((أكنت تجالس رسـول ا - ﷺ - ؟ قال : نعم ، كان طويل الصمت ، وكان أصحابه يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ، فيضحكون ، ويبتسم رسول ا - ﷺ - إذا ضحكوا))[2] .

المسألة الثامنة :

إيراده بعض القصص التي تؤيد ما يزعمه أهل التصوف من أنهم أهل هواتـف ومخاطبات دون تعليق عليهم ، ومن ذلك ما ذكره في كلامه عن الكذب : ((وعـن ميمون بن أبي شبيب قال : جلست أكتب كتاباً فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينـت الكتاب ، وكنت قد كذبت ، فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيـت ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]))[3] .

التعليق :

كما أن المتصوفة يدعون في علومهم الكشـوفات والإلهامـات ، فـإنهم أيضـاً يزعمون أنهم أهل هواتف ومخاطبات ، وقد بين ابن القيم – رحمـه ا - أن مـا يسمع العبد من خطاب وهتاف لا يخلو من ثلاثة أحوال لا رابع لها :

أولها : أنه يخاطبه الملك خطاباً جزئياً ، فإن هذا يقع لغير الأنبيـاء ، فقـد كانـت الملائكة تخاطب عمران بن حصين – رضي ا عنه - بالسلام فلما اكتوى تركـت خطابه فلما ترك الكي عاد إليه الخطاب الملكي وهو نوعان :

أحدهما : خطاب يسمعه بأذنه وهو نادر بالنسة إلى عموم المؤمنين .

---

١ . رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، ١ / ١٧٧ ، ح ١٩٠ .

٢ . أخرجه أحمد ٥ / ٨٦ ، ح ٢٠٨٢٩ ، وحسنه الأرناؤوط ، وهو في المعجم الكبير ٢ / ٢٤٣ ، ح ٢٠١٧ .

٣ . الإحياء ٣ / ص١٧٦ .

الثاني : خطاب يلقى في قلبه يخاطب به الملك روحه مثل حديث : ((إن للملك لمة يغلب ابن آدم ، وللشيطان لمة . فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالوعـد . ولمـة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد))[1] .

ومن هذا الخطاب واعظ ا – سبحانه وتعالى - في قلوب عباده المؤمنين .

الثاني : خطاب الهواتف من الجان ، وقد يكون المخاطب جنيا مؤمناً صالحاً ، وقـد يكون شيطاناً مغوياً . وهو نوعان :

أحدهما : خطاب يسمعه بأذنه .

الثاني : أن يلقي في قلبه عندما يلم به قال سبحانه وتعـالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، وللقلب مـن هذا الخطاب نصيب ، وللأذن أيضاً منه نصيب ، والعصمة منتفية إلا عن الرسـل ومجموع الأمة .

فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب رحماني أو ملكي ؟ ! بأي برهان ؟! أو بـأي دليل ؟! والشيطان يقذف في النفس وحيه ، ويلقي في السمع خطابه ، فيقول المغرور : ((قيل لي وخوطبت)) صدقت .. لكن الشأن في القائل لك والمخاطب من هو ؟؟؟

الثالث : خطاب حالي تكون بدايته من النفس وعوده إليها ، فيتوهمه من خارج وإنما هو من نفسه منها بدأ وإليها يعود ، وهذا أكثر ما يعرض للسالك فيغلط عليه ويعتقد أنه خطاب من ا كلمه به منه إليه ... فهذه الوجوه الثلاثة هي وجـوه الخطـاب ، ومن سمع نفسه غيرها فإنما هو غرور وخدع وتلبيس وهذا الموضع مقطع القول ، وهو من أجل المواضع لمن حققه وفهمه وا الموفق للصواب))[2] .

المسألة التاسعة :

إيراده لكلامٍ شديد في ذم النميمة دون تعليق عليه ، فقد نقل عن ابن المبارك أنـه قال : ((الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لـم يكـتم

---

١ . رواه الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ٣ ومن تفسير سورة البقرة ، ٥ / ٢١٩ ، ح ٢٩٨٨ ، وقال هذا حديث غريب ، وضعفه الألباني .

٢ مدارج السالكين ص٥٤ باختصار .

الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطاً من قوله عز وجل : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣] والزنيم : هو الدعي))[1] .

التعليق :

وهذا الاستنباط لا وجود له في أقوال السلف وأهل التفسير ، وإن كان قـد أخرجـه الذهبي في كتاب الكبائر نقلاً عن الغزالي أيضاً[2] ، أما أهل التفسير فقد ذكروا أن الـزنيم في الآية هو ولد الزنا ، وذكروا معاني غير ذلك ولم يستنبطوا هذا الاستنباط الذي ذكره الغزالي عن ابن المبارك أن كل نمام فهو ولد زنا ، فمـن أقـوال أهـل التفسـير فـي معنى الآية :

١ - قال ابن جرير الزنيم هو الملصق بالقوم وليس منهم ، وهو الدعي قالـه ابـن عباس وعكرمة وابن المسيب وسعيد بن جبير .

٢ - وقيل هو الذي له زنمة كزنمة الشاة في عنقها ، به قـال ابـن عبـاس وابـن جبير والضحاك .

٣ - وقيل هو المريب ، وروى عن ابن عباس أنه قال الزنيم المريب الذي يعـرف بالشر وكذا عن ابن جبير .

٤ - وقيل هو الظلوم ، وروي عن ابن عباس .

٥ - قيل : هو الذي يعرف بابنه ، روى عن ابن عباس .

٦ - قيل : هو الجاف الجاف ، ذكره ابن جرير عن شهر بن حوشب .

٧ - قيل : هو علامة الكفر ، روي عن أبي رزين ومجاهد .

٨ - وقال آخرون : هو الذي يعرف باللؤم ، روي عن عكرمة .

٩ - قيل : هو الفاجر ، روي عن أبي رزين[3] .

وقال ابن كثير بعد أن أورد الأقوال في ذلك : ((والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قُلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بـين النـاس ،

---

١ . الإحياء ٣ / ١٨٩ .

٢ . كتاب الكبائر للذهبي ١ / ١٦٠ ، دار الندوة الجديدة .

٣ . تفسير ابن جرير ١٢ / ١٨٥ .

وغالباً يكون دعياً ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليـه مـا لا يتسـلط على غيره ...))[1] .

وكل هذه المعاني متعاضدة ، ولم أجد عن أحد من السلف أنه استنبط من الآية أن كل من لم يكتم الحديث فهو ولد زنا ، إلا ما ذكره الغزالي عن ابن المبارك .

وأمر آخر : فإن هذا إن كان المقصود به الجزم بأن كل نمام فهو ولد زنا فهذا قدح في الأعراض وطعن في الأنساب ، وإن كان المقصود به التنفير من النميمة وأنهـا وصف لولد الزنا ففي النصوص ما ينفر عنها أكثر من هذا الكلام كقوله - ﷺ - : (لا يدخل الجنة قتات)[2] .

المسألة العاشرة :

ما أورده عن حذيفة من أن شفاعة النبي - ﷺ - خاصة بالمـذنبين ، لـذا نقـل الغزالي عن حذيفة أنه سمع رجل يقول : اللهم اجعلني ممن تصيبه شـفاعة محمـد - ﷺ - ، فقال حذيفة : إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمـد - ﷺ - وتكـون شفاعته للمذنبين من المسلمين[3] ، ولم ينكر الغزالي هذا القول ولم يتعقبه .

التعليق :

هذا الأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، قال أبو إسحاق الحـويني : إسناده حسن[4] ولم أجده عند غير المصنف ، وله شواهد ، وقال نجم عبـد الـرحمن خلف : رجاله ثقات[5] .

وقد رد أهل العلم على قول حذيفة رضي الله عنه ، قال النووي فـي الأذكـار : ((وهذا خطأ ، ولولا خوف الاغترار بهذا الغلط وكونه قد ذكر في كتب مصنفة لما

---

١ . تفسير ابن كثير ٨ / ١٩٤ .

٢ . أخرجه البخاري ٥ / ٢٣٥٠ ، ح ٥٧٠٩ ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة ، من حـديث حذيفـة ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم النميمة ١ / ١٠١ ، ح ١٠٥ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٠٧ .

٤ . هذا الأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآفات اللسان ط١ ١٤١٠هـ - تحقيق أبو إسحاق الحويني – دار الكتاب العربي – بيروت ١ / ١٩٤ .

٥ . كتاب الصمت وآداب اللسان ، ص ٤١٨ ، ح ٣٤٩ ، تحقيق : نجم عبـد الـرحمن خلـف ، دار الغـرب الإسلامي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

تجاسرت على حكايته ، فكم من حديث صحيح جاء في ترغيب المؤمنين الكـاملين بوعدهم شفاعة النبي - ﷺ - كقوله - ﷺ - : (من قال مثل ما يقول المؤذن حلت له شفاعتي) وغير ذلك وقد أحسن الإمام الحافظ أبو الفضل عياض فـي قولـه : قـد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح – رحمهم الله - شفاعة نبينـا - ﷺ - ورغبتهم فيها ، قال : وعلى هذا لا يلتفت إلى كراهة من كره ذلك لكونها لا تكـون إلا للمذنبين ، لأنه ثبت في الأحاديث في صحيح مسلم وغيره إثبات الشفاعة لأقـوام في دخولهم الجنة بغير حساب ولقوم في زيادة درجاتهم في الجنة ، قال : ثـم كـل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو مشفق من كونه من الهالكين ، ويلزم هـذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنهما لأصحاب الذنوب ، وكل هذا خـلاف مـا عرف من دعاء السلف والخلف))[1] .

وأيضاً شفاعة النبي - ﷺ - عامة لأُمته مؤمنهم وفاسقهم ، لذا جاء في صـحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قـال رسـول الله - ﷺ - : (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعـوتي شـفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً)[2] .

وقد ذكر أهل السنة – رحمهم الله - أن الشفاعة ستة أنواع :

١ – شفاعته الكُبرى لأهل الموقف .

٢ – شفاعته لأهل الجنة في دخولها .

٣ – شفاعته لمن استحق النار أن لا يدخلها .

٤ – شفاعته في من دخل النار من الموحدين أن يخرجوا منها .

٥ – شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم .

٦ – شفاعته في بعض الكفار من أهل النار أن يخفف عنهم ، وهذه خاصـة بـأبي طالب وحده[3] .

---

١ . الأذكار للنووي ص ٣٣٠ .

٢ . أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ص ١٠٦ ، ح ١٩٩ .

٣ . انظر فتح المجيد ١ / ٣٦١ .

المبحث الثاني :المآخذ العقدية في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

لما قرر الغزالي أنه لا بد من رياضة النفس وتخليصها من الصفات المذمومة ، وأن أساس هذه الشهوات شهوة الفرج وشهوة البطن ، ورأس هذه الصفات هي الغضب والحقد والحسد ، عقد كتاباً أورد فيه ذم الغضب من خلال نصوص الكتاب والسنة والآثار عن السلف ، وبين حقيقة الغضب وأنه أمر مركوز في خلق الإنسان ليمنع عنه الشرور والهلاك ، لكنه قد يطغى عند بعض الناس فيقع بسببه في البغضاء والشحناء والعداوة والقتل ، وأن له آثاراً على القلب واللسان والجوارح ، وبين أن قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن وليس ذلك من مقتضى الطبع ، أما تهذيبها وترويضها فهو ممكن بالرياضة ، ثم بين الأسباب المهيجة له وبين أن علاجه يكون بالعلم والعمل ، فعلاجه بالعلم يتضمن ستة أمور :

١ - تذكر أحاديث فضل العفو وكظم الغيض .

٢ – الخوف من عقاب ا .

٣ – أن يحذر نفسه عاقبة العداوة للناس وترقب انتقامهم منه .

٤ – أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، وأن الغضبان أشبه ما يكون بالكلب الضاري أوالسبع العادي ، وأن الحلم هو خصلة الأنبياء والعلماء والحكماء .

٥ – أن يتفكر أنه إذا نفذ غيظه فسيتعرض للغضب والذلة والإهانة في الآخرة ، فليقدم ضرر الدنيا على ضرر الآخرة .

٦ – أن يذكر أن ما أصابه أمر قد قدره ا عليه ، فعليه أن يصبر على قضاء ا وقدره .

ثم ذكر أموراً في علاج الغضب بالعمل ، منها ما جاءت السنة به ومنها ما كان من عثرات الغزالي ومن اجتهاداته الخاطئة ، نظراً لاعتماده على أحاديث وآثار ضعيفة أو موضوعة ، وكانت المآخذ عليه في مسائل :

١ – ذكر أن من علاج الغضب قول : (اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ...) .

٢ – ذكر أن معنى ما جاء في الحديث (فليلصـق بـالأرض) قـال : أي كنايـة عن السجود .

٣ – ذكر من علاج الغضب أن عمر استنشق الماء بمنخريه .

٤ – ما ذكره عن ابن عمر من قوله : (لن يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يرى الناس حمقى في ذات ا) .

٥ – ذكر أن عائشة كانت تتمنى الشر لعثمان .

المسألة الأولى :

ذكر أن من علاج الغضب بالعمل بأن يقول : ((اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي)) وقال يستحب أن يقول ذلك[1] .

التعليق :

هذا الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد في تفسير قوله تعالى : (ربنـا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ...) من حديث أم سلمة أن - ﷺ - كان يكثر في دعائه : (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وفي آخره قالت : (قلت يا رسـول ا ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ، قال : بلى ، قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي ، واذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا) .

وقال : ((وروى الترمذي بعضه ، ورواه أحمد وفيه شهر بـن حوشـب وهـو ضعيف وقد وثّق))[2] .

أخرجه أحمد في مسنده .

قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند : بعضه صـحيح بشـواهده وهـذا إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب وبقية رجاله رجال الشيخين ، قال العراقي : ((أخرجه ابن السني في اليوم والليلة بسند ضعيف))[3] .

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٧٧٣ .

---

١ . الإحياء ٣ / ٢٢٣ .

٢ . مجمع الزوائد ٧ / ٤٥ ، ح ١٠٨٨٨ ، من حديث أم سلمة .

٣ . الإحياء ١ / ٤٢٦ ، ٣ / ٢٢٣

فهذا الحديث ضعفه أهل العلم ولم يذكره شُراح الأحاديث ضمن علاج الغضب ، فالذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن هذا الذي ذكره الغزالي لا يصح العمل به اكتفاءً بما صح في الأحاديث من أسباب علاج الغضب ، كالإستعاذة من الشيطان والوضوء وتغيير الهيئة والصمت كما قرره ابن رجب رحمه الله عند شرحه لحديث لا تغضب بجامع العلوم والحكم[1] ، وكما قرره الصنعاني في شرحه لحديث إياكم والحسد[2] ، وغيرهم من أهل العلم .

وقد تقدم كلام شيخ الإسلام بأنه لا يجوز أن يقال هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ، ولا يجوز أن نثبت تشريعاً بحديث ضعيف[3] .

المسألة الثانية :

بعد حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال : (ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض) قال الغزالي : ((وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب ، لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب)) .

التعليق :

هذا الحديث حسن كما قال العراقي في تعليقه على الإحياء : ((أخرجه الترمذي وقال حديث حسن))[4] قُلت : وجاء بلفظ : فليلصق بالأرض[5] ، وجاء بلفظ أيضاً

---

١ . جامع العلوم والحكم ١ / ٣٧٠ .

٢ . سبل السلام ٧ – ٨ / ٢٠٨ .

٣ . انظر الفتاوى ١٠ / ٤٠٨ .

٤ . الإحياء ٣ / ٢٢٣

٥ . أخرجه أحمد ٤ / ١٥٤ ، ح ١١٦٠٨ ، من حديث أبي سعيد ، وأخرجه الترمذي ١ / ١٤٧ ، ح ٣٨٥ ، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب ٢ / ١١٢ ، برقم ١٦٤١ .

آخر عن أبي ذر : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع[1] .

فهذه الألفاظ تفيد أن المقصود باللصوق بالأرض إنما هو الاضطجاع وليس المقصود به السجود ، وذلك لأن السجود عبادة فلا يكون لغير العبادة كما تقدم من نهيه - ﷺ – لمعاذ أن يسجد تحية له كما يفعل أهل اليمن ، وقال أيضاً : (لو كنت آمراً أحد أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها)[2] ، فإذا كان النبي - ﷺ - نهى معاذاً أن يسجد تحية له ولم يأمر الزوجة أن تسجد لزوجها ، لأن السجود لا يجوز إلا تعالى ، فمن أين للغزالي أن يجعل السجود من أسباب علاج الغضب .

المسألة الثالثة :

ذكر ضمن علاج الغضب أن يستنشق بالماء واستدل بفعل عمر – رضي ا عنه - حيث قال : (روي أن عمر – رضي ا عنه - غضب يوماً فدعى بماء فاستنشق ، فقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب)[3] .

التعليق :

من خلال تتبع كلام أهل العلم في شرح أحاديث الغضب كقوله - ﷺ - لرجل لما طلب منه التوجيه (لا تغضب ...)[4] وقوله - ﷺ - : (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[5] .

ذكر العلماء أن علاج الغضب في أمور كالوضوء والغسل وفي السكوت وفي قول : (أعوذ با من الشيطان الرجيم) وفي أن يجلس من كان قائماً أو يضطجع إن كان جالساً ، وذلك لثبوتها في أحاديث صحيحة ، منها :

---

١ . أخرجه أبو داود ٢ / ٦٦٤ ، ح ٨٧٨٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، وصححه الألباني .

٢ . تقدم تخريجه .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٢٤

٤ . أخرجه أحمد ٣ / ٦٢٦ ، ح ١٠٠١٢ ، وأخرجه الترمذي ٤ / ٣٧١ / ، ح ٢٠٢٠ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في كثرة الغضب من حديث أبي هريرة ، وقال حسن غريب وصححه الألباني

٥ . أخرجه مسلم ٤ / ٢٠١٤ ، ح ١٠٦ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب من يملك نفسه عند الغضب .

أ) قول أعوذ با من الشيطان الرجيم ، لما جاء في الصحيحين عن سليمان بن صرد قال : (استب رجلان عند النبي - ﷺ - ونحن عنده جلوس ... وفيه : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ با من الشيطان الرجيم ... الحديث)[1] .

ب) الوضوء أو الغسل ، لما جاء في المسند وغيره من حديث عروة بـن محمـد السعدي عن أبيه عن جده عطية ، قال : قال رسول ا - ﷺ - : (إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خُلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضـب أحـدكم فليتوضأ)[2] ، وجاء في حديث آخر (... فإذا غضب أحدكم فليغتسل)[3] .

ج) اللصوق بالأرض ، لما جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي ا عنـه - ، أن النبي - ﷺ - قال في خطبته : (ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أفما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس من ذلك شيئاً فليلزق بالأرض)[4] .

وجاء أيضاً عن أبي ذر أن النبي - ﷺ - قال : (إذا غضب أحدكم وهـو قـائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)[5] .

د) السكوت ، لما جاء عن ابن عباس - رضي ا عنهما - أن النبي - ﷺ - قال : (إذا غضب أحدكم فليسكت) قالها ثلاثا[6] .

فكما ترى ليس في هذه الأمور ما ذكره الغزالي من أن مـن عـلاج الغضـب قول : (اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيض قلبي ...) ولا أن من علاجه أن يستنشق بمنخريه الماء ، أما ما فهمه من أن اللصوق بالأرض كناية عن

---

١ . البخاري ٥ / ٢٢٦٧ ، ح ٥٧٦٤ ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ومسلم ٤ / ٢٠١٥ ، ح ٢٦١٠ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يملك نفسه عن الغضب وبأي شيء يذهب الغضب .

٢ . أخرجه أحمد ٤ / ٢٢٦ ، ح ١٨٠١٤ ، وأبو داود ٢ / ٦٦٤ ، ح ٤٧٨٤ ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ٥٨٢ .

٣ . أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢ / ١٣٠ ، وإسناده ضعيف ، كما في السلسلة الضعيفة ٥٨٢

٤ . أخرجه أحمد ٣ / ٦١ ، والترمذي ، ح ٢١٩١ بإسناد ضعيف ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمـذي ١ / ٢٤٧ ، ح ٣٨٥ .

٥ . أخرجه أبو داود ٢ / ٦٦٤ ، ح ٨٧٨٢ ، في كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، وصححه الألباني . .

٦ . أخرجه أحمد ١ / ٢٣٩ - ٢٨٢ ، والبخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٣٠ ، وصححه الألباني في السلسلة السلسلة الصحيحة برقم ١٣٧٥ .

السجود فهذا فهم خاطئ كما قد بينته في موضعه ، وفعل عمر لا أصل له ، ولكن لعله - رضي ا عنه – إن صح هذا عنه فهم من أن الوضوء يبرد الغضب وأنه لو اقتصر على بعضه كالاستنشاق أدى الغرض ، وا أعلم .

المسألة الرابعة :

ذكر الغزالي في أثناء كلامه عما يصح من الكلام ولا يعد مـن قبيـل الغيبـة : ((فإن منها قولك لأحد : يا أحمق ، ونقل عن ابن عمر من قوله : لن يبلـغ عبـد حقيقة الإيمان حتى يرى الناس حمقى في ذات ا))[١] .

التعليق :

هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عـن سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر قال : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يرى الناس حمقى في ذات ا ...)[٢] وهو في الحلية لأبي نعيم[٣] وهو في كتاب الزهـد لابـن المبارك في باب الاعتبار والتفكر بلفظ : (لن يصيب الرجل حقيقة الإيمـان حتـى يرى الناس كأنهم حمقى في دينهم) وذكر قبله عن خالد بـن معـدان : (لا يفقـه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب ا أمثال الأباعر ، ثم يرجع إلى نفسـه فتكون هي أحقر حاقر) وذكر بعده بسنده عن مطرف أنه قال : (لو كنت راضـياً عن نفسي لقليتكم ولكن لست عنها براضٍ)[٤] .

وأخرجه وكيع في الزهد[5] ، وذكر الدكتور عبد الرحمن الفريوائي وجوهاً لفهـم هذا الأثر ، فقال : يستقيم معنى هذا الأثر على أحد وجهين :

أحدهما : أن لفظ وكيع : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعده بعض الناس حمقـى في دينهم ، فإما أن يضاف إليه " من ، ال " فيكون حتى يعده الناس من الحمقى ...)

---

١ . الإحياء ٣ / ٢٣٠

٢ . مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ١١٧ ، مكتبة الرشد ، ط١ ١٤٠٩هـ تحقيق كمال يوسف الحوت .

٣ . الحلية لأبي نعيم ١ / ٣٠٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ

٤ . الزهد والرقائق لابن المبارك ١ / ٢٩١ رقم ٢٨١ ، تحقيق أحمد فريد ، دار المعـراج الدوليـة للنشـر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ

5 . الزهد لوكيع بن جراح ٢ / ٥٤٠ رقم ٢٧٦ ، تحقيق د . عبد الرحمن الفريوائي ، ط١ ، ١٤٠٤هـ

أي أنه لقوة غضبه على ما يحدث الناس من منكرات ، يظن الناس أنه أحمق لخفة دينهم وجرأتهم على المعصية ، بينما هو قد بلغ به من تعظيم الله وخشيته ما يجعله يغضب غضباً شديداً ، ويوضح ذلك ما جاء عن الإمام أحمد قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو معمر القطيعي قال : (لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة وكان أحمد بن حنبل قد أحضر ، فلما رأى الناس يجيبون وكان رجلاً ليناً فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه وذهب ذلك اللين ، فقلت : إنه قد غضب لله ، فقلت : أبشر حدثنا بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي سلمة قال : كان من أصحاب النبي - ﷺ - من إذا أُريد على شيء من أمر دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون)[1] وأثر أبي سلمة هذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وابن أبي شيبة وعند عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد[2] .

وسياق البخاري : (لم يكن أصحاب رسول الله - ﷺ - متحزقين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حماليق عينيه كأنه مجنون) .

الثاني : أن تكون الهاء زائدة في أثر وكيع كما هي عند ابن المبارك وأبو نعيم والغزالي (حتى يعد الناس حمقى في دينه أو دينهم أو في ذات الله) والمعنى : أنه يعد بعض الناس حمقى لتقصيرهم وعدم انشغالهم بما خُلقوا له[3] .

المسألة الخامسة :

ذكر الغزالي في باب علاج الحسد أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تتمنى الشر لعثمان - رضي الله عنه - ، حيث قال : ((وقلّ ما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها ، حتى قالت عائشة – رضي الله عنها - : ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقُتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان ...))[4] .

---

١ . رواه ابن الجوزي في مناقب أحمد ٤٢٠ ، والذهبي في السير ١١ / ٢٣٨

٢ . انظر الأدب المفرد ، باب الكبر ١ / ١٩٥ ، ح ٥٥٥ ، وابن أبي شيبة ٢ / ٢٥٥ ، والزهد لأحمد ٢١٥ .

٣ . ينظر الزهد لوكيع ٢ / ٥٤٠ ، بتحقيق الدكتور الفريوائي

٤ . الإحياء ٣ / ٢٥٤ .

التعليق :

هذا الأثر لم أجد له أصلاً ويبعد صحته وحري بالغزالي لـو كـان هـذا الأثـر صحيحاً أن لا يرويه ، لأن منهج أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين الصحابة ، فكيف وهو أثر لا وجود له في الكتب المسندة بل ولا حتى في كتب السير والتراجم المعروفة ، مع ذلك يورده الغزالي في باب الحسد موهماً أن عائشة تحسد !! وتحسد من ؟! تحسد الخليفة الراشد وأحد السابقين للإسلام والمبشرين بالجنة ، عثمان بـن عفان - رضي ا عنهم أجمعين - ولو علم الغزالي منهج السلف في الكـف عمـا شجر بين الصحابة لما أورد هذا الكلام الذي يحمل القدح في خيار الصحابة وكبارهم ، أما أهل السنة فمنهجهم الكف عما شجر بين الصحابة ونشر محاسنهم - رضـي ا عنهم أجمعين - جاء في عقيدة السلف أصحاب الحديث ما نصه : ((ويرون الكـفّ عما شجر بين أصحاب رسول ا على رسول ا - ﷺ - وتطهير الألسنة من ذكر ما يتضمنه عيباً لهم ونقصاً فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكـافتهم ، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه - رضي ا عنهن - والـدعاء لهـن ، ومعرفـة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين ...))[1] .

قال شيخ الإسلام - رحمه ا - : ((ومن أصول أهل السنة والجماعة سـلامةُ قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول ا - ﷺ - ... ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ... ويحبون أهل بيت رسول ا - ﷺ - ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول ا - ﷺ - حيث قال : (يوم غديرخُم أذكركم ا في أهل بيتي)[2] وقال أيضاً للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفـوا بنـي

---

١ . عقيدة السلف أصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمـان الصـابوني ، ص١٠١ ، تحقيـق أبـو اليمـين المنصوري ، دار المنهاج ، القاهرة ، ط١ ١٤٢٣هـ

٢ . رواه مسلم ، فضائل الصحابة ، باب من فضل علي بن أبي طالب ١٥ / ١٨٨ ، وغدير خُم : هو ماء على ثلاث أميال من الجحفة بين مكة والمدينة ، انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٩ ، ٤ / ١٨٨ .

هاشم – فقال : (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم ولقرابتي)[1] ، ويتولـون أزواج رسول ا - ﷺ - أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة))[2] .

وقال في منهاج السنة ، قال أبو زرعة : ((إذا رأيت الرجل ينـتقص أحـداً مـن أصحاب رسول ا - ﷺ - فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول ا - ﷺ - عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول ا - ﷺ - ، وإنمـا يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة))[3] .

وقال شيخ الإسلام في منهاج السنة : ((ما ينقل عن الصحابة من المثالب فهـو نوعان : أحدهما ما هو كذب كله ، وإما محرف قد دخله من الزيـادة والنقصـان ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويه الكذابون المعرفون بالكذب ، النوع الثاني ما هو صدق ، وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد ، وما قُدر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة ، كالتوبة ...))[4] .

هذا وقد صح في الثناء على عائشة أحاديث كثيرة معلومة ، فهـي أم المـؤمنين وحبيبة رسول ا - ﷺ - ، وأعلم نساء الأمة على الإطلاق ، قال عنها الـذهبي : ((لم يتزوج النبي - ﷺ - بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة حبها ، ولا أعلم في أمـة محمد - ﷺ - بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها))[5] .

ومما ورد في فضلها حديث أنس - رضي ا عنه - قال : قال رسول ا - ﷺ - : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[6] متفق عليه .

---

١ . رواه الترمذي في المناقب ، باب مناقب العباس ١٠ / ٢٦٤ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وصححه أحمد شاكر

٢ . العقيدة الوسطية بشرح الهراس ٢٧١

٣ . منهاج السنة ١ / ١٨ ، فتنة مقتل عثمان ١ / ١١ ، الدكتور محمد الصبحي ، الجامعة الإسـلامية ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ

٤ . منهاج السنة ٥ / ٨١ ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٥ . السير ٢ / ١٤٢

٦ . أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم ، باب فضل عائشة رضـي ا عنهـا ٧ / ٧٣ ، وأخرجه مسلم كذلك برقم ٢٤٤٦ في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي ا عنها .

وعن أبي موسى عن النبي - ﷺ - قال : (كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1] .

وعن عمرو بن العاص - رضي ا عنه - قال : (قلت يا رسول ا : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : من الرجال ، قال : أبوها)[2] .

قال الذهبي : (فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول ا - ﷺ - فهو حري أن يكون بغيضاً إلى ا ورسوله ، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمراً مستفيظاً ، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته[3])[4] .

فكيف يتَوهم في مثلها - رضي ا عنها - أنها تحسد وتتمنى الشر لأحد من الناس ، ناهيك أن يكون المحسود هو عثمان بن عفان - رضي ا عنه - ، وهل اختلافها مع علي - رضي ا عنه - إلا مطالبة بدم عثمان ، فأين الغزالي عن الإسناد ؟ وأين الغزالي عن منهج السلف في التعامل مع الصحابة ؟ وأين الغزالي من معرفة سيرة عائشة وعثمان - رضي ا عنهما - ؟

---

١ . أخرجه البخاري ٢ / ١٣٥٢ ، ح ٣٢٣٠ ، كتاب الأنبياء ، باب قول ا تعالى : (وضرب ا مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) ، وأخرجه مسلم ٤ / ١٨٨٦ ، ح ٢٤٣١ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة .

٢ . أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم ، باب قول النبي صلى ا عليه وسلم " لو كنت متخذاً خليل " ٧ / ١٩ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر برقم ٢٣٨٤

٣ . أخرجه البخاري ٢ / ٩١٠ ، ح ٢٤٣٥ ، كتاب الهبة وفضلها ، باب قبول الهدية ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة ٤ / ١٨٩ ، ح ٢٤٤١ .

٤ . السير ٢ / ٢٤٥ .

الفصل الثالث : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الدنيا والبخل وحـب المـال ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية على كتاب ذم البخل وحب المال .

الفصل الثالث

المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا وكتاب ذم البخل وحب المال ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا ويحتوي على :

١ - تمهيد : فيه عرض لمحتوى الباب ، والإشارة إلى المسائل التي تقدمت .

٢ - المسألة الأولى : ما ذكره عن الجنيد من قوله : ((إن الشافعي من المريدين)) .

٣ - المسألة الثانية : ما ذكره من قصة أويس القرني مع هرم بن حيان وما فيها من مخالفات .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية على كتاب ذم البخل وحب المال ويحتوي على :

١ - تمهيد فيه عرض لمحتوى الباب والإشارة إلى المسائل التي تقدمت .

٢ - المسألة الأولى : حصره الشرك الخفي في الأصغر .

٤ - المسألة الثانية : ما أورده من حديث الأبدال .

٥ - المسألة الثالثة : إيراده لقصة فيها الحلف بغير ا تعالى ولم ينكرها .

٦ - المسألة الرابعة : إيراده لقول المتصوفة : ((نعبدك لا نبتغي أجراً على العبادة)) .

٧ - المسألة الخامسة : إقراره لزوايا الصوفية .

٨ - المسألة السادسة : ما أورده من أن عبد الرحمن بن عوف - رضي ا عنه - يدخل الجنة حبوا .

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الدنيا

بالغ الغزالي في ذم الدنيا وذكر أنها عدوة ، وأن ا لم ينظر إليها ، وأنها عدوه لعباد ا ، ثم حشد الأدلة على ذم الدنيا وبيان حقارتها ، ومنها الحديث الموضوع (حب الدنيا رأس كل خطيئة)[1] وغيرها من الأحاديث الضعيفة بل ذكر التحذير منها حتى من الكتب السابقة ؟!

فذكر أنه مكتوب في صحف إبراهيم - عليه السلام - : (يا دنيا ما أهونك على الأبرار ...)[2] .

ونقل ذمها عن آدم وعيسى ونوح - عليهم السلام جميعاً - وهذا كما تقدم من أخذه عن أهل الكتاب ، وزاد في مبالغته لما روى حديثاً باطلاً وهو : (لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب) قال عنه العراقي : لم أجد له أصلاً ، ثم أعقبه بقصة موسى - عليه السلام - لما رأى رجلاً يدعو ويبكي ، فقال : يا رب عبدك يبكي من مخافتك ، فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا[3] .

وهذا كله من الغلو والتكلف المقيت عند زهاد المتصوفة الذين لم يتوقفوا مع النصوص في بيان حقارة الدنيا وقلة شأنها ، بل بالغوا في ذلك حتى جعلوها منافية للإيمان ، وسبب لعدم مغفرة الذنوب ، وأيضاً كرر في الآثار وصايا لعلي بن أبي طالب - رضي ا عنه - ، مكرراً بعد اسمه " كرم ا وجهه " وقد تقدم أن تخصيصه بذلك دون سائر الصحابة أمر خاطئ .

---

١ . الإحياء ٣ / ٢٥٨ ، قال العراقي أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلاً ، قلت : حكم عليه الألباني بأنه موضوع ، السلسلة الضعيفة ١٢٢٦ .

٢ . الإحياء ٣ / ٢٦٠ .

٣ . الإحياء ٣ / ٢٦٤ .

وكما أورد المبالغات أورد أيضاً الغرائب فساق عن أبي هريرة - رضي ا عنه - قوله : (الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي ، تنادي ربها منذ خلقهـا إلى يوم يفنيها : يا رب يا رب لم تبغضني ؟ فيقول : أسكتي يا لا شيء)[1] .

وهذا الأثر لم أجد له أصلاً ، ولا يمكن معرفة مثل ذلك إلا عن طريق الـوحي ، ثم ذكر بعد ذلك مواعظ الدعاة في ذم الدنيا ، ثم ذكر أمثلة للـدنيا وأنهـا كـالحلم وكالعجوز وأنها معبر وأنها مثل الحية السامة وغير ذلك[2] .

وبعد أن أورد الغزالي في ذم الدنيا الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وبالغ في ذمها مما نقله عن أهل الكتاب والكتب السابقة لهم ، وبعد أن حشد الآثار المملوءة بالغرائب ، يأتي في آخر الكتاب ليوضح طرائق الناس في التعامل مع الدنيا ويقرر في آخر الكتاب أن الحق في التعامل مع الدنيا هو ما كان عليه النبي - ﷺ - وأصحابه فيقول : (وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول ا - ﷺ - ، وهو ألا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية ، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشـهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ، ولا يتبع كل شهوة ولا يتـرك كـل شهوة ، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا ، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده ...)[3] .

وكانت غالب المآخذ عليه قد تقدم الجواب عنها سواء في استشـهاده بالأحاديـث الضعيفة والموضوعة .

أو فيما يذكره من غرائب أو المبالغة في ذم الدنيا أو في نقله عن بني إسـرائيل وأما المآخذ التي تحتاج إلى التعليق عليها فهي في مسألتين :

١ - أنه ذكر عن الجنيد قوله : ((كان الشافعي من المريدين)) .

٢ - ذكر قصة أويس القرني مع هرم بن حيان وفيها ملاحظات كثيرة .

---

١ . الإحياء ٢٦٨/٣

٢ . الإحياء ٢٧٦/٣

٣ . الإحياء ٣ /٢٩٤

المسألة الأولى : ما ذكره عن الجنيد أنه قال : ((كان الشافعي من المريدين)) :

في أثناء كلام الغزالي عن ذم الدنيا نقل عن الجنيد قوله : ((كان الشافعي - رحمه ا - من المريدين الناطقين بلسان الحق ثم ذكر أنه وعظ أخا له في ا وحذره من الدنيا))[1] .

التعليق :

المريد في اصطلاح المتصوفة : هو من انقطع إلى ا عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده ا تعالى لا ما يريده غيره ، فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق .

لذا ألزموا المريد بقطع أي شغل يشغله عن ا ، فقالوا : المريد لا ينشغل بالتزويج ، وعلى المريد أن يتأدب بشيخ ويلازمه ، فإذا لم يكن له أستاذ فلا يصلح أبداً[2] .

فهاهم المتصوفية يعتبرون المريد تلميذاً مبتدأ في الطريق ، ويلزمونه بأمور حتى يحقق الطريقة ، ومما ذكره الغزالي عن المريد وأنه يعتبر طالب في أول الطريق قوله : ((ينبغي – أي المريد - أن لا يشغل نفسه بالتزويج فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير ا شغل عن ا تعالى))[3] .

فأجاب عنه ابن الجوزي فقال : ((وأني لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود الولد أو عفاف زوجته فإنه لم يخرج عن جادة السلوك ، أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة ا تعالى ، وا تعالى قد من على الخلق بقوله : ﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] ، وفي الحديث الصحيح عن جابر - رضي ا

---

١ . الأحياء ٢٦٩/٣

٢ . معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حنيفي ، ص ٢٤٢ ، دار المسيرة – بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .

٣ . الإحياء ٣ / ١٣١ .

عنه - أن النبي - ﷺ - قال له : (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك)[1] وما كان بالذي يدله على ما يقطع أنسه با تعالى ، أترى رسول ا - ﷺ - لما كان ينبسط إلى نسـائه ويسـابق عائشة - رضي ا عنها - أكان خارجاً عن الأنس با هذه كلها جهالات بالعلم[2])) .

بل ترى الغزالي يعتبر المريد شاباً صغيراً تائهاً يحتاج إلى شيخه ويتمسـك بـه كتمسك الأعمى بقائده على شاطئ نهر ، وأن شيخه يلزمه زاوية للذكر والانقطـاع عن الخلق ، وأنه يعرض كل ما خطر له على شيخه ، وأنه ينبغي للشيخ أن يتفرس في مريده فيعطيه من الرياضة ما يناسبه حتى قال : ((فكـم مـن مريـد اشـتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد حتى سقط في البطالة والإباحة فإن علم أنه كـذلك فليلزمه بالأوراد الظاهرة ويشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم))[3] .

فإذا كان المريد عندهم هو السالك في بداية الطريق ، الملازم لشيخٍ يلزمه بأوراد معينة وعبادات معينة ويلزمه بالخلوة والذكر والفكر ، فكيـف يحكـي الغزالـي أن الشافعي وهو الإمام الكبير العالم البحر إمام المذهب الشافعي الفقيه الأصولي المفسر النحوي ، كيف يجعله من المريدين وهل هذا إلا تلبيساً على العـوام والسـالكين ألا يستوحشوا من الطريق ، فإن الشافعي الإمام العالم كان أحد المريدين .

بل نص أهل العلم على أن هذه الألفاظ المريد والأبدال ونحوها ما ظهرت إلا فـي القرون المتأخرة ، أما القرون الثلاثة الأولى والتي عاش فيها الشافعي فلم تكن معروفة هذه الألفاظ ولم تكن الطرق الصوفية منتشرة ، يقول شيخ الإسلام : ((أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم بعد ذلك...))[4] .

وأيضاً فإن لفظ المريد لما استحدثته الصوفية واخترعوا له طريقة يلتزمها وسبيل يسلكه ، وضح أهل السنة أن المريد كغيره لا بد أن يلازم الاخلاص والمتابعة لمـا جاء به الرسول - ﷺ - ، لذا وضح شيخ الإسلام - رحمه ا - أن المريـد عنـد الصوفية هو السالك للطريق ، وأنه لا بد لصحة هذه الإرادة من شرطي قبول العمل ،

---

١ . أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء للمتزوج ٥ / ٢٣٤٧ ، رقم ٦٠٢٤ ، وأخرجه مسـلم فـي صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحية المسجد بركعتين ٢ / ٥٤ رقم ١٠٨٦

٢ . تلبس أبليس ص ٣٦٠ .

٣ . الإحياء ٩٨/٣-١٠٠ ملخصاً

٤ . مجموع الفتاوى ١١ / ٥

وهما : الإخلاص والمتابعة لرسول ا - ﷺ - فقـال : ((وكمـا أن الطريقـة العلمية بصحة النظر في الأدلة والأسباب هي الموجبـة للعمـل ، كتـدبر القـرآن والحديث ، فالطريقة العلمية بصحة الإرادة والأسباب هي الموجبة للعمـل ، ولهـذا يسمون السالك في ذلك " المريد " كما يسميه أولئك " الطالب " والنظر جنس تحتـه حق وباطل ومحمود ومذموم ، وكذلك الإرادة فكما أن طريق العلم لا بد فيـه مـن العلم النبوي الشرعي ، بحيث يكون معلومك المعلومات الدينية النبويـة ، ويكـون علمك بها مطابقاً لما أخبرت به الرسل ، وإلا فلا ينفعك أي معلـوم علمتـه ولا أي شيء اعتقدته فيما أخبرت به الرسل ، بل لا بد من الإيمان با وملائكتـه وكتبـه ورسله واليوم الآخر ، فكذلك " الإرادة " لا بد فيها من تعيين " المراد " وهـو ا ، والطريق إليه هو ما أمرت به الرسل ، فلا بد أن تعبد ا وتكون عبادتك إياه بمـا شرع على ألسنة رسله ، إذ لا بد من تصديق الرسول فيما أخبر علماً ولا بـد مـن طاعته فيما أمر عملاً ... فالسالكون طريق الإرادة قد يغلطون تارة في المراد وتارة في الطريق إليه ، وقد يريدون ا لكن لا يتبعون الأمر الشرعي في إرادته ، فتـارة يعبده أحدهم بما يظنه يرضيه ولا يكون كذلك ، وتارة ينظرون إلى القـدر لكونـه مراده فيقعون في المخالفات الشرعية تبعاً لذوق أحدهم ووجده أو اعتباره بالقـدر ، وهذا يبتلى به كثير من خواصهم))[1] .

المسألة الثانية : مخالفات وغرائب فيما ذكر من قصة أويس القرني[2] مع هرم بن حيان[3] :

في أثناء كلام الغزالي في ضرورة التجافي عن الدنيا ذكر غرائب عـن أويـس القرني مما لا يتوافق مع كتاب ا وسنة النبي - ﷺ - وصحابته وأيضاً لـم ينقلـه المحققون في السير كالذهبي وابن كثير - رحمهما ا - والذي جـاء فـي أويـس القرني في الأحاديث أنه رجل من قرن من أهل اليمن بار بأمه كان به برص فـدعا

---

١ . مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٨٦ بتصرف

٢ . أويس القرني : هو القدوة الزاهد سيد التابعين في زمانه ، أخبر عنه النبي ﷺ بأنه خير التابعين وأمر عمـر إذا لقيه أن يطلب منه أن يستغفر له ، مات سنة ٨٥هـ ، انظر السير ٤ / ١٩ ، والحلية ٢ / ٧٩ .

٣ . هرم بن حيان : العبدي البصري ، أحد العباد ، حدث عن عمر وعنه الحسن البصري ، وكان ثقة له فضل وعبادة ، سمي هرماً : لأنه بقي حملاً سنتين حتى طلعت أسنانه ، انظر السير ٤ / ٤٨ ، والحلية ٢ / ١١٩ .

فأذهبه عنه إلا قدر الدرهم في سرته ليعرف نعمة الله عليه وأن النبي - ﷺ - قال لعمر : (إذا رأيته فاطلب منه أن يستغفر لك ، فأخذ عمر يسأل عنه من حج من أهل اليمن حتى وجده فطلب منه الدعاء له بالمغفرة ، ثم انصرف منه واختفى عن الناس كي لا يظهر أمره ، وخوفاً على إخلاصه ونيته هذا هو الثابت في السنن والسير[1] ، أما المتصوفة فجعلوا أويس القرني أسطورة يعلقون عليها كل شيء كالخضر تماماً ، فيحكون عنه الكرامات والخيالات والغرائب وليس للصوفية في ترويج خرافاتهم وشطحاتهم إلا الأحاديث الموضوعة ، والقصص والحكايات عن أهل العبادة والصلاح كالخضر وكأويس القرني ونحوهم ومما يلاحظ على ما أورد الغزالي عن أويس القرني ما يلي :

١ - أنه ذكر أن أويس القرني ضيق على نفسه في الحياة حتى ظن أهله أنه مجنون وكان لا يراهم السنة والسنين وكان قوته حشفة من تمر .

٢ - أورد عنه حديثين :

الأول : قوله - ﷺ - : (أني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) قال العراقي هذا الحديث لم أجد له أصلاً .

الثاني : قوله - ﷺ - : (يدخل في شفاعته يعني أويس مثل ربيعة ومضر) .

وهذا الحديث لم يرد باسم معين بل رجل من أمتي فكان الحسن إذا سئل قال هو أويس القرني ، وذهب بعض أهل العلم كما في آخر هذا الحديث ، أنه عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

كما قال العراقي : رويناه في جزء ابن السماك من حديث أبي أمامة وإسناده حسن وليس به ذكر لأويس بل في آخره فكان المشيخة يرون أن هذا الرجل عثمان بن عفان – رضي الله عنه - .

أنه ذكر قصة هرم بن حيان لما ذهب ليطلب أويس وهي قصة طويلة فيها غرائب كثيرة ، وهي :

١ - أنه وصفه بوصف يفيد أنه ضيق على نفسه فقال : (فإذا رجل لحيم شديد

---

١ . السير للذهبي ٤ / ١٩ ، ينظر صحيح مسلم ٨ / ٣١٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضل أويس القرني ٤ / ١٩٦٧ .

الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب المنظر) .
٢ - أنه مد يده له ليصافحه فأبى أن يصافحه .
٣ - أنه عرف اسمه ولم يكن رآه قط ، فقال وأنت حياك ا يا هرم بن حيان فقال : كيف عرفت اسمي ، فقال : (نبأني العليم الخبير) وقال : عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ، وإن المؤمنين ليتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل .
٤ - طلب منه أن يحدثه فقال : ((لست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً أو مفتياً أو قاضياً في نفسي شغل عن الناس)).
٥ - أنه قرأ عليه آيات من سورة الدخان ثم شهق شهقةً ظننت أنه قد غشي عليه .
٦ - أنه أخبره بموت عمر ثم ناح عليه يا عمراه يا عمراه .
٧ - أنه لما دعا له قال : ((اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام...)) .
٨ - إنهما لما افترقا قال له : (لا تطلبني بعد اليوم فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي ، إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس)) ثم ذهب مع بعض السكك فجعل هرم بن حيان يسأل عنه فلم يجد أحداً يخبره بشيء .
قال الغزالي بعدها : ((فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا)) .

التعليق :

هذه القصة أخرجها أبو نعيم في الحلية ، واللالكائي في كتاب كرامات الأولياء ، وأخرجها الحاكم في مستدركه وسكت عنها وكذلك الذهبي ، قال الذهبي في السير بعد هذه القصة : ((أوردها أبو نعيم في الحلية ولم تصح وفيها ما ينكر))[١]
والجواب عن هذه الغرائب كما يلي :

---

١ . السير ٤ / ١١٩ ، انظر الحلية ٢ / ٨٤ ، وكرامات الأولياء ١ / ١٠٦ ، رقم ٦١ ، ومستدرك الحاكم ، ح ٥٧٢٦ .

١ - المتأمل في سيرة أويس في السير يجده يعاشر أهله ويعرفه أصحابه ويجلس لوعظهم ، لا كما ورد في هذه القصة الفريدة من أنه يجلس السنة والسنين لا يرون له وجهاً .

٢ - أن وصف هرم بن حيان له بهذا الوصف مقصوده الدعوة إلى تعذيب النفس وعدم التمتع بالمباحات ، وهذا يخالف لهدي الإسلام الذي أحل الطيبات والمباحات ، لذا لما تكلم النبي - ﷺ - عن الكبر وحذر منه سأله الصحابة – رضي ا عنهم - فقالوا يا رسول ا أن أحدنا يحب أن يكون مأكله طيب ونعله طيب فقال : (إن ا جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[١] .

وجاء أيضاً عن حديث عمران بن الحصين قال : قال رسول ا - ﷺ - : (أن ا يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)[٢] وكان - ﷺ - أجمل الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأطيبهم ريحاً[٣]، فلا حجة بما روي عن الزهاد من ترقيع ثيابهم ورثة هيئتهم وتشويه مظهرهم ، بل الحجة في سنته وهديه - ﷺ - .

٣ - جاء في القصة : (أنه مد يده ليصافحه فأبى أن يصافحه) وهذه مخالفة ظاهرة لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٨٦] ، ولما جاء عنه - ﷺ - في الترغيب في المصافحة كقوله - ﷺ - : (إذا تصافح الرجلان تحاتت ذنوبهما كما تحات الشجرة ورقها...)[٤] ، فكيف يصدق أن أويساً القرني سيد التابعين يفعل مثل ذلك .

٤ - أنه جاء في القصة أنه عرف اسمه واسم أبيه ولم يكن يعرف ذلك ، وهذا هو الكشف والإلهام الذي جعله الصوفية سلماً لهم لمعرفة ما في اللوح المحفوظ فضلاً أن يتوصلوا به لمعرفة أسماء الناس أو إخبارهم عما في ضمائرهم .

---

١ . أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ١ / ٩٣ ، ح ١٤٧ .

٢ . أخرجه الترمذي ، في كتاب الأدب ، باب ما جاء إن ا يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وحسنه الترمذي وصححه الألباني ٥ / ١٢٣ رقم ٢٨١٩ من حديث عمرو بن شعيب

٣ . انظر الرحيق المختوم ٤٨٨ وما بعدها

٤ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس ٦ / ٤٧١ رقم ٨٩٤٥ ، قال الألباني صحيح لغيره ، ينظر صحيح الترغيب والترهيب ٣ / ٣٣ رقم ٢٧٢١

ويقال لهم يقول الله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] ، ولم يرد عنه - ﷺ - أنه كان يخبر من أتاه باسمه وباسم أبيه ، مع أنه لو أراد لأعلمه الله سبحانه ، فكيف يصح هذا من غيره - عليه الصلاة والسلام - سواء كان أويساً أم غيره بل إن الصحابة - رضي الله عنهم - أفضل الخلق بعد النبي - ﷺ - لم يفعلوا ذلك بل إذا جاءهم أحد سألوه عن اسمه ولم يرد أنهم عرفوا اسمه قبل أن يخبرهم .

٥ - جاء في القصة : (قول أويس لست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً أو قاضياً أو فقيهاً في نفسي شغل عن الناس) .

وهذه الكلمات تحمل في طياتها خطورة التحديث ونفع الناس بالقضاء أو الفقه ، وفيها أن الانشغال بالنفس أولى وأتقى من الانشغال بالخلق ، وهذا مخالف للتوجيه القرآني في قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] ، قال ابن كثير : ((وقوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس : أئمة يقتدى بنا في الخير ، وقال غيرهم : هداة مهتدين دعاة إلى الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم بالنفع ، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية))[1] .

وللتوجيه النبوي بقوله - ﷺ - : (أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده)[2] وقوله - ﷺ - : (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم)[3] .

وكذا جاء في ترجمته أنه كان يحدث الناس ويعظهم مما يدل على عدم صحة هذه

---

١ . انظر تفسير ابن كثير ٦ / ١٣٠ .

٢ . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٤٥٣ ، رقم ١٣٦٤٦ عن ابن عمر ، قال الألباني حسن لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٣٥٩ ، رقم ٢٦٢٣

٣ . تقدم تخريجه .

القصة ، ومن ذلك ما قاله الذهبي في سيرة أويس من قول أسير بن جابر : ((... قال فكنا نجتمع في حلقة فنذكر ا فيجلس معنا ، فكان إذا ذكّر هو وقع في قلوبنا لا يقع حديث غيره))[1] ، وتقدم تقرير كلام شيخ الإسلام في أيهما أفضل العزلة أم الخلطة وأن الأصل مخالطة الناس ودعوتهم ، إلا إذا فسد الزمان وكثرت الفتن وخاف على نفسه هنا تشرع له العزلة .

٦ - جاء في القصة : (أنه قرأ آيات من سورة الدخان ثم شهق حتى ظن أنه غُشي عليه ..) .

وهذا الأمر من محدثات أهل التصوف الغشي والشهق والصعق عند قراءة القرآن ، وهذا مخالف لحال الرسول - ﷺ - وصحابته الذين قال ا فيهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] ، وقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] ، وقال : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٩] ، فكان حالهم مع القرآن أن تخشع له قلوبهم ، وأن تذرف منه عيونهم ، وتقشعر منه جلودهم[2] .

٧ - وأما أنه أخبره بموت عمر وناح عليه فقال : واعمراه واعمراه ، فكيف يدعى ذلك مع أن النبي - ﷺ - مات في عهده عدد من أصحابه ولم يأته الوحي يخبره حتى يكون الناس هم الذين يخبرونه ، ففي الصحيحين أن أمة سوداء كانت تقم

---

١ . انظر السير ٤ / ٢٠ .

٢ . مجموع الفتاوى ١١/ ص٧ ، ٨

المسجد ماتت فصلى عليها الصحابة ، فلما كان الغـد أخبـر رسـول ا - ﷺ - بخبرها فقال : (أفلا كنتم آذنتموني ثم ذهب إلى قبرها فصلى عليها)[1] .

وأما النياحة بقوله واعمراه واعمراه ، فهذه من كبائر الذنوب التي يذم بها المرء فكيف يمدح بها سيد التابعين أويس القرني ، فقد قال رسول ا - ﷺ - : (اثنتـان في الناس هما بهم كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت)[2] .

٨ - وأما ما جاء في القصة من أن أويساً قال في دعائه : (اللهم فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام) .

فهذا شهادة وقطع لأويس بالجنة ، وأويس القرني وإن كان يرجـى لـه عظـيم الدرجات والمنازل العالية في الجنة ، إلا أنه لا يقطع له بالجنة كما هي عقيدة أهـل السنة والجماعة .

قال اللالكائي : (ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار ، بل يرجو للصالح ، ويخاف على المسيئ المذنب ، ويرجو له رحمة ا)[3] .

بل إن العشرة المبشرين بالوحي أنهم من أهل الجنة ورد عنهم ما يدل على خوفهم من عدم دخولهم فيها ، فها هو عمر – رضي ا عنه - جاء عنه أنه قـال : (لـو نادى منادي يوم القيامة يا أهل الموقف كلكم في الجنة إلا واحداً لظننت أنه أنـا ولـو نادى منادي يوم القيامة يا أهل الموقف كلكم في النار إلا واحداً لظننت أنـه أنـا)[4] .

وها هو عثمان – رضي ا عنه - جاء عنه أنه قال : (لو أنني بـين الجنـة والنار ولا أدري إلى أيهما أصير لاخترت أن أكـون رمـاداً قبـل أن أعلـم إلـى أيهما أصير)[5] .

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ١٧٥ ، ح ٤٤٦ ، كتاب أبواب المساجد ، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقـذى والعيدان ، وأخرجه مسلم ٢ / ٦٥٩ ، ح ٩٥٦ ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر .

٢ . أخرجه مسلم ١ / ٨٢ ، ح ١٢١ ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة .

٣ . أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي ١ / ١٦٢

٤ . ينظر للتخويف من النار ص ٢١ ، وقال أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ص .

٥ . ينظر للتخويف من النار ص ٢١ ، أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٦٠ ، وهو عند الطبرانـي ٩ / ١٠٢ ، ح ٨٥٣٥ ، وابن أبي شيبة ٧ / ١٠٥ ، ح ٣٤٥٤١ .

فكيف يصدق أن أويساً يدعوا ربه قاطعاً بأنه في الجنة وهل هذا إلا من الغلو في الأولياء والصالحين .

٩ - الملاحظة الأخيرة : أنهم لما افترقوا ذهب أويس مع أحد السكك ثم سأل عنه ولم يجد من يخبره .. هذه كلها من ترهات الصوفية وحثهم على الاختفاء والعزلة ، وتمجيدهم لأهل الخفاء ولم يكن أويس القرني كذلك ، لكنهم كما أسلفت يعلقون شطحاتهم بالعباد والعلماء حتى تروج على العوام وا المستعان.

المبحث الثاني : المآخذ العقدية على كتاب ذم البخل وحب المال

بعد أن أورد الغزالي كتاب ذم الدنيا ، عقد كتاباً في ذم البخل وذم حب المال ، وبين أن المال أعظم فتن الدنيا على العبد ، لأنه إن فقده حصل له الفقر وكاد الفقر أن يكون كفراً ، وإن وجده – أي المال – لم يأمن الإنسان على نفسه من الطغيان والشهوات ، فبين أولاً ذم المال وأنه يلهي عن ذكر ا وأن الأموال والأولاد فتنة ، ثم ساق أحاديث في ذم المال وفيها جمع من الأحاديث الضعيفة ، مثل حديث : (قيل يا رسول ا أي أمتك أشر ، قال : الأغنياء) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ ، وكذا حكم العراقي على بعضها بالضعف ، ثم ذكر بعد ذلك الآثار عن الأنبياء والصالحين في ذم المال ، ومما أورده قصة محمد بن كعب القرظي حيث تصدق بماله كله ولم يترك لولده شيئاً ، وهذا مخالف لقوله - ﷺ - لسعد ابن أبي وقاص - رضي ا عنه - : (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)[1] .

ثم ساق نصوصاً في مدح المال وبين وجه الجمع بين مدحه وذمه وأنه يمدح إذا حقق المقصود منه واجتنبت آفاته وغوائله ، ومما أورده في ضمن ذلك تفسيراً إشارياً لقول ا تعالى : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، فذكر أن مقصود إبراهيم بهما الذهب والفضة ، وقد تقدم الجواب عن ذلك ، ثم رغب في

١ . الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففون الناس ، حديث ٢٧٤٢ ، ومسلم ، باب الوصية بالثلث ، رقم ١٦٢٨

القناعة وقصر الأمل وأن يقتصر العبد على قدر الضرورة من المطعـم والمشـرب والمسكن ، وهذا من جملة تضييق المتصوفة على أنفسـهم ومنعهـا ممـا أباحـه ا تعالى .

ثم تكلم عن فضيلة السخاء والإيثار وصنائع المعروف ، وأورد في ذلك قصصاً ومنامات[1] ، وقد كان غالب كلام الغزالي جميل ومؤثر يستفيد منه قارئه الحذر من المال ، ويحرص على السلامة من البخل ، ويتربى به على القناعة ، وينافس على السخاء ، وكان ثم مآخذ عليه تقدم الجواب عنها ، ومن المآخذ التي تحتاج إلى رد وتعليق ما يلي :

١ – حصره الشرك الخفي في الأصغر .

٢ – ما أورده من حديث الأبدال .

٣ – أورد قصة فيها حلفٌ بغير ا ولم ينكرها .

٤ – أورد قول المتصوفة : ((نعبدك لا نبتغي على ذلك أجراً)) .

٥ – إقراره لزوايا الصوفية .

٦ – ما أورده من أن عبد الرحمن بن عوف - رضي ا عنه - يدخل الجنة حبواً .

المسألة الأولى : حصره الشرك الخفي بالأصغر :

قال الغزالي : ((الشرك شركان : شرك خفي لا يوجب الخلود في النار ، وقـلّ ما ينفك عنه المؤمنون ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، وشرك جلي يوجب الخلود في النار ، نعوذ با من الجميع))[2] .

التعليق :

هذا كلام من الغزالي يفيد حصره الشرك الخفي فـي الأصـغر دون الأكبـر ، والتحقيق أن الشرك الخفي يكون في بعض صوره شركاً أكبر ، فقد وردت أحاديث

---

١ . ينظر الإحياء ٣ / ٢٩٦ - ٣٤٠

٢ . الإحياء ٣ / ٣٠٠

في بيان الشرك الخفي منها ما جاء عن ابن عباس - رضي ا عنهما - قال : قال رسول ا - ﷺ - : (الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء)[1] .

وجاء عن أبي بكر الصديق - رضي ا عنه - أن النبي - ﷺ - قال : (الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، قال : قلنا يا رسول ا وهل الشرك إلا ما عبد من دون ا أو دعي مع ا ؟ قال : ثكلتك أمك يا صديق ، الشرك فيكم أخفى مـن دبيـب النمل ... الحديث)[2] .

وجاء عن أبي سعيد الخدري - رضي ا عنه - ، قال : خرج علينا رسول ا - ﷺ - ونحن نتذاكر المسيح الدجال ، فقال : (ألا أخبركم بما هو أخـوف علـيكم عندي من المسيح الدجال ، قال : قلنا بلى يا رسول ا ، قال : الشرك الخفـي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه)[3] .

فظاهر هذه النصوص تدل على عموم الشرك الخفي وعلى أن له صـوراً فـي الشرك الأصغر كالرياء وقول أعطاني ا وفلان ، لكنه لا يعني اختصاصه به بـل من الشرك الأكبر ما يكون خفياً ، كخوف السر ونحوه ، إذاً الشـرك الخفـي هـو وصفٌ لبعض أنواع الشرك الأصغر وبعض أنواع الشرك الأكبر .

قال ابن القيم - رحمه ا تعالى - : ((وأما الشرك الأصـغر فكيسـير الريـاء والتصنع للخلق والحلف بغير ا ، وقول الرجل للرجل ما شاء ا وشئت ، وهذا من ا ومنك ، وأنا با وبك ، ومالي إلا ا وأنت ، وأنا متوكل على ا وعليك ، ولولا ا وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده))[4] ووصف الشرك الأصغر بأنه خفي دارج عند أهل العلم ، لكنهم عند التفصيل يبينـون أنه ليس خاص بالشرك الأصغر بل قد يكون في بعض صوره شركاً أكبر .

---

١ . أخرجه أبو يعلى في مسنده ١ / ٤٧ ، ح ٥٦ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٦٢٤ .

٢ . أخرجه أبو يعلي في مسنده ١ / ٤٦ ، ح ٥٤ ، وهو صحيح بشواهده قاله الألباني ، انظر صحيح الترغيب ١ / ٢٩١

٣ . رواه أحمد في المسند ٣ / ٣٠ ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١ / ٢١٧

٤ . مدارج السالكين ١ / ٣٤٤ ، إغاثة اللهفان ١ / ٥٩ ، وتيسير العزيز الحميد ١ / ٤٧١

يقول ابن سعدي - رحمه ا تعالى - : ((الشرك نوعان ، شرك أكبـر جلـي وشرك أصغر خفي ، فالشرك الأكبر أن يجعل ندأ يدعوه كما يدعو ا أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب ا أو يصرف له نوعاً من أنواع العبـادة ، أمـا الشـرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك الأكبـر ...))[1] ، وقد قسم ابن القيم - رحمه ا - الشرك عدة تقسيمات : تارة باعتبار أنواع التوحيد كالشرك في الربوبية والشرك في الألوهية ، وتارة باعتبار حكمه كالأكبر والأصغر ، وتارة باعتبار تعلقه بذات الإله أو بمعاملته وكلها تفيد أن الشرك الخفي وإن كان في غالب أحواله شركاً أصغر إلا أنه يكون في بعض صوره شركاً أكبر[2] .

المسألة الثانية : حديث الأبدال :

من الألفاظ المنتشرة عند المتصوفة لفظ الإبدال والأوتاد ونحوها ، لـذا كررهـا الغزالي في كتابه في مواضع كثيرة[3] ، وفي وصايا العباد كما في كتاب كسر شهوتي البطن والفرج في فضل الجوع حيث ذكر عن سهل التستري أنه قال : مـا صـار الأبدال أبدالاً إلا بإخماص البطون والسهر والصمت والخلوة[4] .

وأورد في فضل السخاء حديث : (أن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنـة بصـلاة ولا صيام ، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين)[5] .

وروى أثر عن أبي الدرداء في وصف الأبدال وأنهم أربعون رجلاً ثلاثون مـنهم على قلب إبراهيم الخليل ، وأطال في وصفهم وزهدهم وسلامة صدرهم[6] ، كـذلك جاء ذكر الأوتاد في غير ما موضع .

---

١ . القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي ص٣٨ ، دار المغني للنشر ، الرياض ، ط١ ١٤٢٠هـ

٢ . ينظر لأنواع الشرك لابن القيم ص ١٢ – ٣٨ ، تعليق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة الطبرية ، بالرياض ، ط١ ١٤١٣هـ

٣ . الإحياء ١ / ٣٧ ، ٣ / ٣٥٧ – ٤٠٣ ، ٤ / ٣٩٣ .

٤ . الإحياء ٣ / ١٠٨ .

٥ . الإحياء ٣ / ٣١٣

٦ . الإحياء ٣ / ٤٥٤

التعليق :

هذه الألفاظ والمنازل التي أحدثها الصوفية من مريد وسالك وأبدال وأقطاب وأوتاد هو تحكم محض ودعوى بلا دليل ، لأن أحاديث الإبدال على تنوعها فيها ضعف وبعضها منكر وموضوع.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : ((كل حديث يروى عن النبي - ﷺ - في عدة الأولياء والنقباء والأوتاد والأقطاب ونحو ذلك فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي - ﷺ - ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال روى فيهم حديث أنهم أربعون وأنهم في الشام وهو في المسند من حديث علي وهو حديث منقطع ليس بثابت))[1] .

وقال ابن القيم : ((أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله - ﷺ -))[2] .

قال العراقي أخرجه الدار قطني وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينوي ، أورد ابن عدي له مناكير ، وفي الميزان أنه ضعيف منكر الحديث[3] .

أحاديث الإبدال كلها ضعفها الألباني في ضعيف الجامع [4]، ولأجل حديث علي الضعيف في الإبدال وجد عند أئمة السلف توجيه لهذا الاسم .

فقال ابن مفلح في الآداب الشرعية : ((ونص أحمد - رحمه الله - على أن أبدالاً في الأرض قيل من هم قال : إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف أبدالاً))[5] .

وقال الإمام أحمد أيضاً : ((أن لم يكونوا هؤلاء يعني أهل الحديث فلا أدري من الناس))[6] .

---

١ . الفتاوى : ٤٣٣/١١

٢ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ت : عبد الفتاح أبو عبيد ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، ح ٣٠٧

٣ . الإحياء ٣ / ٣١٣ .

٤ . أنظر أرقام الأحاديث ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٥٥٣ ، ٢٨٦٩

٥ . انظر الآداب الشرعية ، لابن مفلح ، ١ / ٢٦٨ .

٦ . تلبيس إبليس ص٤٠٠ .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : ((أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثيـر من النساك والعامة مثل " الغوث " الذي بمكة ، و " الأوتاد الأربعة " و " الأقطـاب السبعة " و " الأبدال الأربعين " و " النجباء الثلاثمائة " فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب ا تعالى ولا هي أيضاً مأثورة عـن النبـي - ﷺ - بإسـناد صـحيح ، ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال ، فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عـن علي بن أبي طالب - رضي ا عنه - مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - أنه قـال : (إن فيهم – يعني أهل الشام – الأبدال الأربعين رجلاً ، كلما مات رجل أبدل ا تعـالى مكانه رجلاً) ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيـب ، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشائخ المقبولين عند الأمة قبـولاً عاماً ، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشائخ وقد قالهـا إما آثراً لها عن غيره أو ذاكراً .

وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقـه بباطلـه ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده ، وصار كثير مـن الناس على طرفي نقيض ، قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه مـن الباطـل ، وقـوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق ، وإنما الصواب التصديق بالحق والتكـذيب بالباطل ... فالكتب المنزلة من السماء والأثارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبيـاء يميز ا بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وبذلك يتبـين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقاً في كل زمان ، بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل ، فإن المؤمنين يقلـون تـارة ويكثـرون أخرى ، ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ويكثرون أخرى ، وينتقلون في الأمكنة ، وليس من شرط أولياء ا أهل الإيمان والتقوى ومن يـدخل فـيهم مـن السـابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة ، وليس من شـرط أوليـاء ا أهـل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد ... " وأما الأوتاد " فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول : فلان من الأوتاد ، يعني بـذلك أن ا تعـالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم ا به كما يثبـت الأرض بأوتادهـا ، وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء ، فكل من حصل به تثبيـت

العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان بدونه كان بحسبه ، وليس ذلك محصوراً في أربعة ولا أقل ولا أكثر ، بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض ... " وأما القطب " فيوجد أيضاً في كلامهم فلان من الأقطاب ، أو فلان قطب ، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطناً أو ظاهراً فهو قطب ذلك الأمر ومداره ، سواء كان الدائر عليه أمر داره أو دربه أو قريته أو مدينته ، أمر دينها أو دنياها ، باطناً أو ظاهراً ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر ، لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدنيا والدين دون مجرد صلاح الدنيا ، فهذا هو القطب في عرفهم ، فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره ، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء ، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقاً ... والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان : منها أنهم أبدال الأنبياء ، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً ، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض ، وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم " النجباء " ... فالغرض أن هذه الأسماء تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ...))[1] .

المسألة الثالثة : أورد قصة فيها الحلف بغير الله تعالى :

ذكر الغزالي في حكايات البخلاء ، أن أحدهم قال لضيفه بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك ؟ وقد أخذ معه العود ، فقال الضيف : صوت المقلي[2] .

التعليق :

هذه القصة فيها ملاحظتان ، ومع ذلك أوردها الغزالي ولم يبين إنكاره لها :

الأولى : أنه أخذ العود ليعزف له مع أن المعازف محرمة وقد جاءت النصوص الشرعية بتحريمها ، يقول تعالى : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن

---

١ . مجموع الفتاوى ١١ / ٤٣٣ – ٤٤٤ مقتبساً .

٢ . الإحياء ٣ / ٣٢٧

سبيل ا) قال ابن مسعود - رضي ا عنه - : وا الذي لا إله إلا هو إنه الغناء[1] ، وقال النبي - ﷺ - (ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)[2]

فينبغي من أمثال الغزالي الذي يقرأ له الكثير أن ينبه على مثل هذا وأن ينكر هذه الأفعال حتى ولو ساقها على سبيل الحكاية والطرفة أو النقل عن الغير .

الثانية : أن هذا البخيل حلف له فقال بحياتي ، وهذا حلف بغير ا وهو شرك كما جاء في الحديث (من حلف بغير ا فقد كفر وأشرك)[3] وجاء عن ابن عباس في بيان الشرك قوله : (الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول : وا وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص)[4] .

المسألة الرابعة : أورد قول المتصوفة نعبدك لا نبتغي أجراً :

ذكر الغزالي في بيان فضل السخاء عن بعض المتعبدات أنها سألت أحد العباد ما السخاء في الدين ؟ قال : أن نعبد ا سخية بها أنفسنا غير مكرهة ، قالت : فتريدون على ذلك أجراً ؟ قالوا : نعم ، قالت : ولم ؟ قال : لأن ا تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها ، قالت : سبحان ا ، فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه ؟ قالوا لها : فما السخاء عندك يرحمك ا ؟ قالت : السخاء عندي أن تعبدوا ا متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ! ألا تستحيون من ا أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء ؟ أن هذا في الدنيا لقبيح[5] !

---

١ . انظر تفسير الطبري ٢١ / ٣٩ ، وانظر تفسير ابن كثير ٦ / ٣٤٨

٢ . أخرجه البخاري ٥ / ٢١٣٣ ، رقم ٥٢٦٨ ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء في من يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه

٣ . أخرجه الترمذي ٤ / ١١٠ ، ح ١٥٣٥ ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهة الحلف بغير ا ، والحاكم في المستدرك ١ / ١٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

٤ . رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، رقم ٢٣٠ ، وسنده حسن كما في هامش تفسير ابن كثير ١ / ١١٠

٥ . الإحياء ٣ / ٣٣٢

التعليق :

سبحان الله كيف يرغب الله عز وجل عباده في ابتغاء الأجر عنده ، ويحثهم بأن الحسنة بعشر أمثالها وأن الله يضاعف لمن يشاء ، كما قال تعالى : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، وقال : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، وجاء من حديث ابن عباس : (إن الله كتب الحسنات والسيئات ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، ومن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات ... الحديث)[1] .

ثم يأتي عباد المتصوفة ويبالغون في الفناء في المحبة حتى لا يريدون على عبادتهم أجراً بل يزعم بعضهم أنه لو أدخل في النار مع عبادته فلا يبالي .

يقول شيخ الإسلام : ((فإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها ، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه ، والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب ، قال تعالى : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، ورحمته اسم جامع لكل خير ، وعذابه اسم جامع لكل شر ، ودار الرحمة الخالصة الجنة ، ودار العذاب الخالص النار ، وأما الدنيا فهي دار امتزاج فالرجاء وإن تعلق بالجنة فالجنة اسم جامع لكل نعيم وأعلاه النظر إلى وجه الله الكريم ثم ذكر حديث رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وفيه : (فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة)[2] ومن هنا تبين زوال الاشتباه في قول من قال ما عبدتك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك ، وإنما عبدتك شوقاً إلى رؤيتك فإن هذا القائل ظن هو

---

١ . أخرجه البخاري ٥ / ٢٣٨٠ ، رقم ٦١٢٦ ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو سيئة ، ومسلم ١ / ١١٨ ، رقم ٢٠٧ ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسئة لم تكتب

٢ . أخرجه مسلم ١ / ١٦٣ ، ح ١٨١ ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .

ومن تابعه أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكـل والشـرب واللبـاس والنكـاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات ، كما يوافقه على ذلك من ينكر رؤية ا من الجهمية أومن يقر بها ويزعم أنه لا تمتع بنفس رؤية ا كما يقول طائفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون على أن مسمى الجنة والآخـرة لا يـدخل فيـه إلا التمتـع بالمخلوقات ، ولهذا قال بعض من غلط من المشايخ لما سمع قوله : (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ، قال : فأين من يريد ا ؟ وقال آخر في قـول ا تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] ، قال : إذا كانت النفوس والأموال بالجنة فأين النظر إليه ، وكل هذا لظنهم أن الجنة لا يـدخل فيها النظر إلى وجه ا .

والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم ، وأعلى ما فيها النظر إلى وجـه ا ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن المتصوفة مع إقرارهم بالمحبة غلوا فـي طلبهـا وفنوا في إدراكها حتى احتقروا بها نعيم الجنة ، فقـال : (وصـار أحـدهم يعنـي المتصوفة يقول : ما عبدتك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك ولكن لأنظر إليك) وأمثال هذه الكلمات ، ومقصودهم بذلك طلب ما هو أعلى من الأكل والشرب والتمتع بالمخلوق ، ولكن غلطوا في إخراج ذلك من الجنة ، وقد يغلطون أيضاً فـي ظـنهم أنهم يعبدون ا بلا حظ ولا إرادة ، وأنهم كل ما يطلب منه فهو حـظ الـنفس ... والواجب أن نعلم أن كل ما أعده ا لأولياءه من نعيم بالنظر إليه وما سوى ذلك فهو في الجنة ، كما أن كل ما توعد به أعداءه هو في النار ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السـجدة : ١٧] ، وفي الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - قال : (يقول ا تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[١] ... وطلب الجنة والاستعاذة من النار طريق أنبيـاء ا ورسله وجميع أولياء ا السابقين المقربين وأصحاب اليمين ، كما فـي السـنن أن النبي - ﷺ - سأل بعض أصحابه : (كيف تقول في دعائك ؟ قال : أقول اللهم إني

---

١ . أخرجه البخاري ٣ / ١١٨٥ ، ح ٣٠٧٢ ، من حديث أبي هريرة ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جـاء عـن صفة الجنة وأنها مخلوقة ، وأخرجه مسلم ٤ / ٢١٧٤ ، ح ٢٨٢٤ ، كتاب الجنة وصفها ونعيمها وأهلها .

أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، أما إني لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقـال النبي - ﷺ - : حولها ندندن)[1] ، فقد أخبر أنه هو - ﷺ - ومعـاذ وهـو أفضـل الأئمة الراتبين بالمدينة في حياة النبي - ﷺ - إنما يدندنون حول الجنـة ، أفيكـون قول أحد فوق قول رسول ا - ﷺ - ومعاذ ومن يصلي خلفـه مـن المهـاجرين والأنصار ، ولو طلب هذا العبد ما طلب كان في الجنة فلا طاقة لمخلوق بعذاب ا ولا غنى به عن رحمته ... والعدوان في الإرادة والعبـادة والعمـل حصـل مـن إعراضهم عن العلم الشرعي واتباع الرسول - ﷺ - ، قال بعضهم : ليس الشأن أن تحبه ، الشأن في أن يكون هو يحبك ، وهو إنما يحب من اتبع الرسول - ﷺ -))[2] .

المسألة الخامسة : إقراره لزوايا الصوفية :

من ضمن تأثر الغزالي بالمتصوفة ودعوته لمبادئهم أنه وجد في كلامه إقـراره بالزوايا الصوفية التي يلزمون بها المريدين للذكر والفكر ، مما قالـه فـي ذلـك : (وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل فـي المريـدين أنـه يمنعهم من الاختصاص بزواياهم ، وكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيهـا نقله إلى زاوية غيرها ...)[3] .

التعليق :

تقدم الكلام في نقد دعوة المتصوفة للخلوة ، ورد أدلتهم عليها وبيان مفاسدها في الغالب ، وهنا نسوق من كلام أهل العلم وأئمة السلف ما يدل على أن الزوايا لم تكن معروفة عندهم وليست بمحمودة لديهم ، لأنهم أهل اتباع للنبي - ﷺ - ، لم يرد عنه - ﷺ - تخصيص مكان لذكره وعبادته إلا في حال الاعتكاف في رمضان ، فإنـه كان يتخذ له خباءاً في المسجد[4] .

---

١ . الحديث أخرجه أحمد ٣ / ٤٧٤ ، ح ١٥٩٩٣ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب في تخفيف الصـلاة ١ / ٢٧٠ ، ح ٧٩٢ ، وصححه الألباني .

٢ . الفتاوى : ١٠ / ٦٢ - ٢٤٠ ، الاستقامة : ١٠٤/٢ ، النبوات ١ / ٣٤٢ وما بعدها .

٣ . الإحياء ٣ / ٣٣٤ .

٤ . كما في حديث عائشة عند البخاري ٢ / ٧١٥ رقم ١٩٢٨ كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف النبي صـلى ا عليه وسلم .

أما غير ذلك فقد كان النبي - ﷺ - يذكر الله على كل أحيانه[1] ، ويقرأ الصحابة القرآن على كل أحواله ما لم يكن جنباً[2] ، وقد نقل ابن القيم - رحمه الله - كلاماً لابن عقيل - رحمه الله - في ذم المتكلمين والمتصوفة ، ثم أثنى على أصحاب الحديث وأئمة السلف فقال : (... أصحاب الحديث رسل السفير إلينا ، والفقهاء تراجم لمعاني كلامه ، ولا يتم اتباع إلا بمنقول ولا فهم منقول إلا بترجمان ، وما عداهما تكلف لا يفيد إلا التعب والعناء ، وإلى هذين القسمين انقسم أصحاب رسول الله - ﷺ - نقلة وفقهاء ، ولا يعرف فيهم ثالث إلا أصحاب المعاش والتجارات لا مشايخ ربط ولا مناخات البطالات ولا أصحاب زوايا ينتظرون الفتوحات ولا رقاصون على الغناء والأصوات المطربات ، ولا متكلمون بالتخيلات والشبهات ...)[3] .

فإذا لم يكن للنبي - ﷺ - زاوية أو رباط يلازمه ولم يكن كذلك معهوداً عند الصحابة ولا أئمة السلف وأصحاب الحديث ، فلماذا يوردها الغزالي عن المتصوفة دون أي تعليق عليها أو إنكار لها مع ما فيها من المفاسد كالعجب والرياء وما يحصل لأصحابها من التلبسات الشيطانية والأحوال النفسية والخيالات الفاسدة والله المستعان .

المسألة السادسة : ما أورد من أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنة حبوا :

في معرض كلام الغزالي عن ذم الغنى نقل كلاماً للمحاسبي وذكر فيه : (وبلغنا أن النبي - ﷺ - قال لعبد الرحمن بن عوف : أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها إلا حبواً) ثم قال : (فهذا عبد الرحمن بن عوف مع فضله وتقواه وصناعته المعروف وبذله الأموال في سبيل الله ومع صحبته لرسول الله وبشراه بالجنة يوقف في عرصات القيامة .. إلخ)[4] .

---

١ . حديث عائشة أخرجه مسلم ٣ / ٢٩٠ ، ح ١١٧ ، كتاب الحيض ، باب ذكر الله تعالى حال الجنابة .

٢ . كما في حديث علي أخرجه أحمد ١ / ٢٥٩ ، ح ٦٢٧ ، والترمذي ١ / ٧٣ ، ح ١٤٦ ، في أبواب الطهارة ، باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل أحيانه ما لم يكن جنباً ، وقال حديث حسن صحيح ، وضعفه الألباني .

٣ . الصواعق المرسلة لابن القيم ٤ / ١٣٤٨ تحقيق د . علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٨هـ

٤ . الإحياء ٣ / ٣٣٩

التعليق :

لقد دافع ابن الجوزي في " تلبيس أبليس " عن عبد الرحمن ابن عوف ورد علـى الصوفية ما تزعمه من هذا الحديث الباطل في كون عبد الرحمن بن عـوف يـدخل الجنة حبواً ، وبين أن هذا الكلام هو كلام المحاسبي وأن أبا حامد الغزالي شـيده ، ونصره ثم قال : ((والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه ، ومن كلام المحاسبي فـي النهي عن جمع المال [... وما ينفعك الاحتجاج بحال الصحابة وابن عـوف فـي القيامة يتمنى أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً ، قال : ولقد بلغني أنه لما توفي عبـد الرحمن بن عوف - رضي ا عنه - قال ناس من الصحابة : إنّا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك من المال فقال كعب : سبحان ا تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً ثم رد عليه أبو ذر بحديث (الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة ...)[1] قال الحارث : فهذا عبد الرحمن بن عوف مع فضله يوقف في عرصـات القيامـة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنـة مع فقراء المهاجرين وصار يحبوا في أثارهم حبوا] ... ثم قال ابن الجوزي : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه قال يحي : لا يحتج بحديثه .

والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة ٢٥هـ وعبد الرحمن بن عوف تـوفي سنة ٣٢هـ ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين ، ثم لفظ ما ذكروا من حـديثهم يـدل على أنه حديث موضوع ، ثم كيف تقول الصحابة - رضي ا عنهم - إننا نخـاف على عبد الرحمن أوليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله فمـا وجـه الخوف مع الإباحة ؟! أويأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه ؟! وهذا قلة فهم وفقه .

ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسر سير الصحابة فإنه قـد خلـف طلحة ثلاثمائة بهار وفي كل بهار ثلاثة قناطير والبهار الحمل ، وكان مال الزبيـر خمسين ألف ألف ومائتي ألف وخلف ابن مسعود - رضي ا عنه - تسعين ألـف وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

---

١ . أخرجه البخاري ٢ / ٨٤١ ، رقم ٢٢٥٨ ، كتاب الاستقراض وأداء الـديون والحجـر والتفلـيس ، بـاب أداء الديون .

وأما قول : إن عبد الرحمن بن عوف يحبوا حبواً يوم القيامة فهذا دليل على أنـه لا يعرف الحديث أو كان هذا مناماً وليس هو في اليقظة أعوذ با من أن يحبوا عبد الرحمن في القيامة ، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عـوف وهـو مـن العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى .

ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان وقال البخاري : أنه ربما اضطرب حديثـه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال الدار قطني : ضعيف))[1] .

قال شيخ الإسلام : ((ما روي أن ابن عوف يدخل الجنة حبوا كلام موضوع لا أصل له ، فإنه قد ثبت بأدلة الكتاب والسنة أن أفضل الأمة أهل بدر ، ثم أهل بيعـة الرضوان ، والعشرة مفضلون على غيرهم والخلفاء الأربعة أفضل الأمة)) .

---

١ . تلبيس إبليس ص٢١٨

الفصل الرابع : المآخذ العقدية في كلامه عن ذم الجاه والرياء والكبر والعجب والغرور ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المآخذ العقدية في كتاب ذم الجاه والرياء .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتاب الكبر والعجب والغرور .

الفصل الرابع

المآخذ العقدية في كتاب ذم الجاه والرياء والكبر والعجب والغرور وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

*** المآخذ العقدية في كتاب ذم الجاه والرياه وفيه مسائل :**

* تمهيد وفيه الإشارة إلى المسائل السابقة .

١ – ما ذكر عن ابن المبارك من قوله : ((الرجل يطوف بالبيت وهو بخراسان)) .

٢ – ما ذكره عن المتصوفة من الصياح والزعق والرقص والسماع .

٣ – ما ذكره من قول إبراهيم بن أدهم تعلمت المعرفة من الراهب .

المبحث الثاني :

*** المآخذ العقدية في كتاب الكبر والعجب والغرور وفيه مسائل :**

* تمهيد وفيه إيضاح محتوى الكتب والمسائل السابقة .

١ – إيراده لقصة داود المكذوبة .

٢ – قوله إن سبعين حجاب .

المبحث الأول : المآخذ العقدية على كتاب ذم الجاه والرياء

تمهيد :

في كتاب ذم الجاه والرياء سلك الغزالي طريقته في كل باب في بيان ذم هذين المهلكين وهما الرياء والجاه ، وفي بيان فضل ضدهما وهما الخمول والإخلاص ، ثم تطرق لبيان حقيقة الجاه والأسباب الجالبة له ، وأسباب العلاج منه ثم تكلم عن حقيقة ما يحمد عليه العبد وما يمدح به وهو الإخلاص والبر ، وبين علاج كراهة الذم وأن الذم في الحقيقة علاج لعيوب الإنسان إن كان الذي قاله صادقاً فيه ، أو أنه ابتلاء يؤجر عليه إن كان مظلوماً ، وهكذا بين درجات الرياء وأحواله ، وكان كلامه كلام مدقق متيقظ لما يعتري القلب من أحوال وما يأنس به من أقوال ، فكانت توجيهاته سديده ووصاياه نافعة ، ولكن سلوكه طريق التصوف أوقعه في مآخذ عدة

تقدم الإجابة على كثير منها ، فقد كرر قصص تؤيد الغلو في المشايخ والصالحين[1] ، وكرر كلاماً يوهم بوحدة الوجود[2] ، وذكر ما يقرر أن معنى الروح من أسرار المكاشفة[3] ، وأورد قصصاً في محو الجاه وإسقاطه[4] ، مع ما ذكره من الأحاديث الموضوعة[5] ، واعتمد في بعض نقوله على الحارث المحاسبي[6] ، وكل هذا قد تقدمت الإجابة على مثله وبيان أخطائه في كل هذه الأمور .

وهنا نورد المآخذ التي تحتاج إلى التعليق عليها والرد عليها ، وهي :

١ – ما نقله عن ابن المبارك - رحمه ا - من قوله : ((إن الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان)) .

٢ – إقراره الصياح والزعق والسماع والرقص .

٣ – ما ذكره عن إبراهيم بن أدهم من قوله : ((تعلمت المعرفة من راهب)) .

المسألة الأولى : ما نقله عن ابن المبارك من قوله : ((إن الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان)) :

المتصوفة يدعون في أوليائهم المخاريق ، وأن أحدهم تحمله الريح أو الجن إلى مكة ليصلي بها الصلوات الخمس ، أو يشهد يوم عرفة ، وقد ذكر الغزالي عن ابن المبارك أثراً غريباً ، حيث قال : ((قال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان ، فقيل له : فكيف ذاك ؟ قال : يحب أن لا يذكر أنه مجاور بمكة))[7] .

---

١ . الإحياء ٣ / ٣٥٠ - ٣٨٠

٢ . الإحياء ٣ / ٣٥٨ - ٤٢٤

٣ . الإحياء ٣ / ٣٥٨

٤ . الإحياء ٣ / ٣٥٤ - ٣٦٧

٥ . الإحياء ٣ / ٣٥٧

٦ . الإحياء ٣ / ٣٩٢ - ٤٠٠

٧ . الإحياء ٣ / ٣٧٨

التعليق :

هذا الأثر لم أجد له أصلاً ، وليس من كلام ابن المبارك قطعاً ، وإنما هـو كمـا أسلفت من حيل الصوفية وتعليقهم خرافاتهم وأحوالهم الشيطانية بالعباد والصـالحين ومن يقتدى بهم ليروج ذلك على العوام ، والمتصوفة يزعمون في أولياءهم أشـياء كثيرة غريبة ، بل يزعمون أنهم يتصرفون في الحوادث الكونية ، وقد لبس علـيهم الشيطان أحوالاً غريبة في أولياءهم سواء حقيقية أو يتوهمونها ، وقد أوضح شـيخ الإسلام هذه الأحوال الشيطانية وبين : ((أن الشياطين قد تحمل بعض أولياءهم في الهواء وتطير بهم إلى عرفات في يوم عرفة فيقف مع الناس ، ثم تحمله فترده إلـى المدينة التي كان فيها في تلك الليلة ، أو أن يتصور الشيطان بصورته ويقـف فـي عرفات فيظن من يحسن الظن به أنه وقف بعرفات ، بل إن كثيراً من هؤلاء الجهال من حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا إحـرام ولا تلبية ولا طواف ولا سعي ، ومنهم من لا يعبر مكة ، ومنهم من لا يرمي الجمار ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان ، ومثل هؤلاء يظنون أنهم حجوا وفي الحقيقة أنهم لم يحجوا الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله من إحرام وتلبية وطواف وسعي ووقوف بعرفات ومبيت بمزدلفة ومنى ورمي الجمار والطواف والذبح والحلق وغير ذلك ، وهذه كلها أحوال شيطانية سببها البعد عن الله - عـز وجـل - وعن سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام[1] - ، يقول تعـالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخـرف : ٣٦] ، وكثير من العباد الجهـال يـرى الكعبة تطوف به ، ويرى عرشاً عظيماً وعليه صورة عظيمة ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل فيظنها الملائكة ، ويظن أن تلك الصورة التي رآها على العرش هي الله - تعالى وتقدس - بينما يكون ذلك شيطان ، وقد جرت هذه القصة إيهام رؤية الله لغير واحد

---

١ . انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٨٣ ، ١٩ / ٤٨ ، ١١ / ٢٠٨ .

من الناس ، فمنهم من عصمه ا وعرف أنه الشيطان كالشيخ عبـد القـادر[1] فـي حكايته المشهورة ، حيث قال : كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً عليه نور فقال لي : يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك ، قال : فقلت له أأنت ا الذي لا إله إلا هو ؟؟ اخسأ يا عدو ا ، قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، وقال يا عبد القادر : نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك ومخازلاتـك فـي أحوالك ، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً ، فقيل له : كيف علمت أنه الشيطان ؟ قال بقوله لي : حللت لك ما حرمت على غيرك ، وقد علمت أن شريعة محمد - ﷺ - لا تنسخ ولا تبدل ولأنه قال أنا ربك ولم يقدر أن يقول أنا ا الذي لا إله إلا أنا))[2] .

وقال أيضاً : ((ولذلك فإن كثيراً من الجهال يتفانون في حب شـيوخهم ويملـك عليهم قلوبهم وعقولهم ويضلوا على محبته وطاعته حتى بعد مماته ، ويذكرونه في السفر والحضر ، فيستغل الشيطان فرصة وجود مثل هؤلاء الأشخاص فـي مكـان بعيد قفر لا طعام فيه ولا ماء ويتزيا بصورة ذلك الشيخ فيطعمهم ويسقيهم ويـدلهم على الطريق أو يخبرهم ببعض الأمور الغائبة التي ستقع ، فيظنون أن نفس الشـيخ الميت فعل ذلك ، وقد يقولون أن هذا سر الشيخ أو هذه قرينته أو شبحه أو حقيقته ، أو هذا ملك جاء على صورته ، بل في الحقيقة هو جني تمثل لهم في هذه الصـورة لإغوائهم ، فإن الملائكة لا تفعل مثل هذا))[3] .

ولو فكروا قليلاً في مثل هذه الأمور وردوها إلى الكتاب والسنة ، وتركوا الهوى لتَبين لهم أن هذه الأمور الخارقة من الشيطان ، والشيطان عدو الإنسان منـذ بـدء الخليقة إلى يوم القيامة ، وأنه يوم القيامة سوف يتبرأ من كل هذه الأعمال ويـنكس

---

١ . هو عبد القادر الجيلاني ، أبو صالح ، ابن موسى بن عبد ا بن يحيى الزاهد ويتصل نسبه بالحسـين بـن علي بن أبي طالب رضي ا عنهم أجمعين وهو من أعلام الصوفية ، ومن الأولياء المعروفين ، ولـد ٤٧٠هـ ، توفى ٥٦١هـ ودفن ببغداد ، انظر : جمهرة أولياء وأعلام أهـل التصـوف ٢ / ٢٠١ ، وحكايتـه المشـهورة ص ٢٠٣ ، وانظر خوارق العادادت وحقيقة الولاية ص ١٣٤ .

٢ . انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ١٧٢ .

٣ . انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / ١٧ .

على عقبيه ، وأنما أعدها لابن آدم استدراجاً ومكراً به وإغواء له ، فهي في الحقيقة من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية .

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه ا - يؤكد بطلان هذه الأحـوال إذ يقـول : ((فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لتؤذيهم وتفسد عليهم عبادتهم ، فيدفعهم ا تعالى بما يؤيد به أنبياءه من الدعاء والذكر والعبادة والجهـاد باليد ، فكيف من هو دون الأنبياء))[1] .

ولقد وقع مثل هذا لرسول ا - ﷺ - حين عرض الشيطان له في الصلاة ليقطـع عليه العبادة ، فعن أبي هريرة - رضي ا عنه - عن النبي - ﷺ - أنه صلى صلاة فقال : (إن الشيطان عرض لي فشد علي يقطع الصلاة عليّ فأمكنني ا منه)[2] .

ويذكر - رحمه ا - قول أبي يزيد البسطامي[3] : ((لو رأيـتم الرجـل يطيـر في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به ، حتى تنظـروا كيـف وقوفـه عنـد الأوامر والنواهي))[4] .

ويتبين من كلام شيخ الإسلام - رحمه ا - أن الشياطين تتعرض لابن آدم لتفسد عليه دينه ، وقليل هم الذين ينتصرون على الشيطان ويتمكنون منه ، ويتبين أيضـاً أن كل ما يفعله أولياء الشيطان من الخوارق لا يدل على صحة ما ادعوه ولا علـى إبطال الشرع .

وأيضاً فإنه إذا حصل مثل هذه الخوارق يجب علينا أن نعرضها علـى الكتـاب والسنة قبل الحكم عليها لنرى أهي موافقة للشرع ؟ أم مخالفة له ؟ ومن ثـم نحكـم بصحتها أو بطلانها .

---

١ . مجموع الفتاوى ١ / ١٧١ .

٢ . صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦ / ٣٣٧ ، كتاب بدء الخلق – صفة إبليس وجنوده .

٣ . هو طيفور بن عيسى بن آدم بن علي البسطامي ، الزاهد المشهور ، كان جده مجوسياً ثم أسلم وكـان لـه أخوان زاهدان هما آدم وعلي ، وكان أبو يزيد أجلهم ، وبسطام بلدة مشهورة في أول بلاد خراسان مـن جهـة العراق ، توفي سنة ٢٦١هـ أو ٢٦٤هـ – انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢ / ٥٣١ ، وقولـه هـذا : موجود في كتاب جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ٢ / ١٣٨ .

٤ . الفتاوى ١١ / ٤٦٦ .

المسألة الثانية : ما ذكره عن المتصوفة من الصياح والزعق والسماع والرقص وإقراره بذلك :

ذكر الغزالي في ربع المهلكات ما يفيد إقراره للصعق والأنين والصياح والزعق عند قراءة القرآن أو مجالس الذكر والوعظ ونحوها وأن من آداب المتصوفة الصادقين السماع والرقص .

فقال : ((وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال ، تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف ، وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتجاذب وذلك محمود ... وقد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف ويسقط ثم يستحي أن يقال له : أنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد ... فيستديم الزعق والرقص ليرى دوام حاله ...))[1] .

وقال : إن من الناس من يتشبه بالمتصوفة الصادقين في زيهم وهيئتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص[2] ..

التعليق :

هذه التكلفات من مشايخ التصوف مخالفة تماماً لحال النبي - ﷺ - وحال الصحابة - رضي ا عنهم - عند سماع القرآن حيث كانت حال الصحابة - رضي ا عنهم - هي وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، وقال : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] ، وقال : ﴿ إِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ

---

١ . الإحياء ٣ / ٤٢٠

٢ . الإحياء ٣ / ٥١٣

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائـدة : ٨٣] ، وقـال : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام ا ، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - وخير القرون فيهم ، وأن أفضل الطرق والسبل إلى ا ما كان عليه هو وأصحابه ... ولهذا قال شيخ الإسلام : ((فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع))[1] .

وقد أوضح شيخ الإسلام أن غالب ما يحكى من المبالغة فـي العبـادة هـي مـن محدثات عباد البصرة ، وأن منهم من مات أو غشي عليه من سـماع القـرآن مثـل زرارة بن أوفى[2] قاضي البصرة ، فإنه مات في صلاة الفجر لما قرأ (فإذا نقر فـي الناقور) ومات كثير منهم لسماع قراءة صالح المري[3] وكان فيهم طوائف يصعـيحون عند سماع القرآن ثم قال : ولم يكن في الصحابة من هذا حاله ، فلما ظهر ذلك أنكـر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر – رضي ا عنها - وابنهـا عبد ا – رضي ا عنه - ومحمد بن سيرين – رحمهم ا - لأن ذلك يعـد تكلفـاً وتصنعاً من جهة ، ومن جهة أخرى مخالفته لحال النبي - ﷺ - .

وقال قال ابن سيرين : (ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القـرآن إلا أن يقرأ على أحدهم وهو على حائط فإن خر فهو صادق) ... ثم قال : والـذي عليه الجمهور أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليـه ، وإن كـان حال الثابت أكمل منه لأنه ورد مثل هذا عن أناس أئمة لا يستراب في صدقهم كمـا

---

١ . مجموع الفتاوى ١١ / ١٤ - ١٥

٢ . زرارة بن أوفى : الإمام الكبير قاضي البصرة ، أبو حاجب العامري البصري ، سمع من أبي هريرة ومـن عباس ، وعنه أيوب السختياني وقتادة ، وثقفه النسائي وغيره ، مات سـنة ٩٣هـ ، أنظـر السـير ٤ / ٥١٥ ، والحلية ٢ / ٢٥٨ .

٣ . صالح المري : هو الزاهد الخاشع واعظ أهل البصرة ، حدث عن الحسن وقتادة وعنه مسلم بـن إبـراهيم وعبيد ا العيشي ، ضعيف الرواية ، كان الغالب عليه كثرة الذكر والقراءة بالتحزين ، كان قاصـاً مشـهوراً ، مات سنة ١٧٢هـ . أنظر السير ٨ / ٤٦ ، والحلية ٦ / ١٥٦ .

حكى الإمام أحمد : أنه غشي على يحي بن سعيد القطان لما قُرئ عليه القرآن وكذا نقل عن الشافعي مثله وعلي بن الفضيل قصته مشهورة))[1] .

ويتلخص من كلام شيخ الإسلام على هذه الأمور ما يلي :

١ - أنها لم تكن معروفة عند الصحابة - رضي ا عنهم - ولم يكن هذا حال النبي - ﷺ - وأصحابه عند سماع القرآن مع أن حالهم أكمل الأحوال .

٢ - أن من حصلت له مغلوباً عليها فإنه لا ينكر عليه مع أن الثابت أكمل حال منه .

٣ - أن من تصنع ذلك وتكلفه فإنه ينكر عليه ، ولا يعذر به بل هو من المبتدعة الضالين .

أما مسألة السماع والرقص :

فإن الغزالي قرر مسألة السماع عند الصوفية وذهب إلى أنه مباح ما لم يعترضه محرم ، كان يكون بصوت امرأة أجنبية أو بآلات المزامير والأوتار والطبل وأن لا يكون فيه شيء من الغناء[2] .

وما عدا ذلك فهو مباح عند الغزالي ، بل شعار للعباد والصالحين مع الرقص والاضطراب ونحوها ، وقد ذكر الغزالي أدلته على السماع نقلاً عن أبي طالب المكي وبعضها مأخوذ من رسالة القشيري ، واللُمع لأبي نصر السراج[3] ، وكلها مبنية على آثار ضعيفة أو موضوعة .

بل ذكر الغزالي أن السماع أشد أثراً وتهيجاً من القراءة من سبعة أوجه حاصلها أن النفوس تطرب به أكثر من القرآن نظراً لتكرر القرآن عليها وتعودها عليه ،

---

١ . مجموع الفتاوى ١١ / ٧ وما بعدها

٢ . الإحياء ٢ / ٢٤٨ .

٣ . انظر الرسالة للقشيري ، ص ٣٣٥ ، وما بعدها ، واللُمع ، ص٣٤٤ ، وما بعدها .

ولأن السماع يصاحبه الضرب بالدف أو القضيب وهذا لا يليق مـع القـرآن ، وأن القرآن فيه مواضع ليس فيها ما يثير كآيات الأحكام أو نحوها[1] .

التعليق :

ليس السماع والرقص من دين الله في شيء ، بل هو محدث مبتدع وفيـه تشـبه باليهود ، فإنهم أول من أحدثه حين اتخذوا العجل إلهاً من دون الله ، فجعلوا يغنـون بين يديه ويصفقون ويرقصون[2] ، لذا شدد السلف النكير على أهل السماع .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : ((خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير[3] ، يصدون به الناس عن القرآن))[4] .

وروى أبو بكر الخلال : ((أن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – أنه سئل عن هذا السماع الذي تنشد فيه القصائد ؟ فقال : بدعة لا يجالسون))[5] .

وروى أبو بكر الأثرم قال : ((سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – يقول : التغبير محدث ، وقال أبو الحارث : سألت أبا عبد الله عن التغبير وقلت : أنه تـرق عليه القلوب ، فقال : هو بدعة ، ونهى عن استماعه))[6] .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : ((سألت أبي عن الغناء ؟ فقال : الغنـاء ينبـت النفاق في القلب ، لا يعجبني ؟ ثم ذكر قول مالك : إنما يفعلـه عنـدنا الفسـاق))

---

١ . الإحياء ٢ / ٢٦٢ .

٢ . الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة ، ص ٣٧ ، تأليف : محمد بن صفي الدين الحنفـي ، تحقيق : عبد الرحمن دمشقية ، دار عالم الكتب – الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .

٣ . سمي (تغبيراً) لأنهم إذا تناشدوا الأشعار بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا غبار الأرض ، فسموا مغبرة لهذا المعنى ، انظر : لسان العرب : ١٠ / ٩ .

٤ . مجموع الفتاوى ١١ / ٥٦٩ ، وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأبي بكر الخـلال (١٥١) ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع (٨٢) .

٥ . انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، للخلال (١٠٥) تحقيق : عبد القادر عطـا ، ط الأولـى ، ١٤٠٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦ . انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٥٦٩) .

ونص أحمد على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره ، إذ رآها مكشوفة وأمكنه كسرها[1] .

وقال الحافظ ابن رجب : ((سماع القصائد الرقيقة المتضمنة للزهـد والتخويـف والتشويق كان كثير من أهل السلوك والعبادة يستمعون ذلك ، وربما أنشدوها بنوع من الألحان استجلاباً لترقيق القلوب بها ، ثم صار منهم من يضرب مع إنشادها على جلد ونحوه بقضيب ونحوه ، وكانوا يسمون ذلك التغبير ، وقد كرهه أكثر العلماء))[2] .

وقال أبو بكر الطرطوشي - رحمه ا - : ((إن فعل هذه الطائفة مخالف لإجماع المسلمين ، فإنه ليس في المسلمين من جعله – أي السماع – قربة وطاعة وديناً ، ولا رأى إعلانه في المساجد ، ولا حيث كان من البقاع الكريمة والجوامع الشريفة ، فكل مذهب هذه الطائفة مخالف لما أجمعت عليه العلماء ، نعوذ با من الخذلان))[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إن أبا حنيفة ومالكاً والثوري ونحـوهم أعظـم كراهة للسماع وأشد إنكاراً لذلك من الشافعي وأحمد))[4] .

وقال الإمام أبو عبد ا بن بطة - جواباً لسؤال عن حكم السماع - : ((سـألني سائل عن استماع هذا الذي يسمونه القول ، وهو الغناء والإصغاء إليه ومجالسة أهله فنهيته عن ذلك ، وأنكرته عليه ، وأعلمته أن ذلك مما حرمه الكتـاب ، وحرمتـه السنة ، وأنكرته العلماء ، وتجافاه العقلاء ، واستحسنه السفهاء والسخفاء))[5] .

وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من العلماء الإجماع علـى تحـريم السماع المعتاد في هذه الأزمان على وجه المعتاد ، قال : ((ومن نسب إباحتـه إلـى

---

١ ، انظر : إغاثة اللهفان (١ / ٣٥١ – ٣٥٢) .

٢ . نزهة الأسماع في مسألة السماع ، لابن رجب ، ص ٧١ ، تحقيق : الوليد الفريان ، ط الأولى ، ١٤٠٧هـ ، دار طيبة ، الرياض .

٣ . إغاثة اللهفان (١ / ٣٥٣) .

٤ . رسالة في السماع والرقص (٤٥) .

٥ . كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء (٧٠) .

أحد من العلماء يجوز الإقتداء به في الدين فقد أخطأ ، وما جاء عن بعض المشايخ من استباحته ففي غير هذا السماع وبشروط شرطوها غير موجودة في هذا السماع))[1] .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أن كبار المشائخ مثل إبراهيم بن أدهم[2] ، والفضيل بن عياض[3] ، ومعروف الكرخي[4] ، والسري السقطي[5] ، وأبو سليمان الداراني[6] والشيخ عبد القادر ونحوهم[7] ، كانوا ينهون عن السماع ويحذرون منه[8] .

.

وإليك تلخيص لكلام شيخ الإسلام حول هذه المسألة العظيمة والخطيرة :

ذكر شيخ الإسلام أن السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم ، فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة ، قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ

---

١ . أنظر نزهة الأسماع في حكم السماع لابن رجب ، ص ٧٨ .

٢ . هو إبراهيم بن أدهم بن منصور ، أبو إسحاق الخراساني ، نزيل الشام ، من كبار الزهاد وأهل العبادة في عصره ، توفي سنة ١٦٢هـ ، انظر : حيلة الأولياء ، لأبي نعيم (٧ / ٣٦٧) وشذرات الذهب (١ / ٢٥٥) .

٣ . أبو علي الفضيل بن عياض ، كان عابداً زاهداً ، من أئمة أهل السنة ، مات سنة ١٨٧هـ ، انظر : تذكرة الحفاظ ، للذهبي (١ / ٢٤٥) ، وحلية الأولياء (٨ / ٨٤) .

٤ . هو : معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ ، أحد الإعلام المشهورين بالزهد العبادة والورع ، وهو أستاذ السري السقطي ، توفي سنة ٢٠٠هـ ، انظر : طبقات الحنابلة ٢ / ٤٧٧ ، وتاريخ بغداد (١٣ / ١٩٩) .

٥ . هو : سري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن البغدادي ، وهو خال الجنيد وأستاذه ، مات سنة ٢٥١هـ ، انظر انظر : حلية الأولياء (١٠ / ١١٦) ، وطبقات الصوفية ، للسلمي (٤٨ – ٥٥) .

٦ . هو : عبد الرحمن بن عطية العبسي الداراني – نسبة إلى داريا – قرية قرب دمشق ، كان عالماً عابداً زاهداً ، مات سنة ٢٠٥هـ ، انظر : تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٨) ، وحلية الأولياء (٩ / ٢٥٤) .

٧ . هو : الشيخ عبد القادر بن عبد الله الجيلاني ، نسبة إلى جيلان ويقال كيلان وهي بلاد وراء طبرستان ، من من كبار علماء عصره ، وينتسب إلى الحنابلة والسنة ، وتنسب إليه القادرية من طرق الصوفية المشهورة ، مات سنة ٥٦١هـ ، انظر : شذرات الذهب (٤ / ١٩٨) .

٨ . انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٥٩٢) .

آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] ، وقـال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

وبهذا السماع أمر ا تعالى ، كما قـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعـراف : ٢٠٤] ، وعلى أهله أثنى كما في قوله تعـالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧ - ١٨] ، وقال في الآية الأخـرى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنـون : ٦٨] ، فالقول الذي أمروا بتـدبره هـو القول الذي أمروا باستماعه ، وقد قـال تعـالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩] ، وكما أثنى على هذا السماع ، ذم المعرضين عن هذا السماع ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمـان : ٧] ، وقال تعـالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦] .

وهذا هو السماع الذي شرعه ا لعباده في صلاة الفجر والعشاءين وغير ذلك ، وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول ا - ﷺ - يجتمعون ، وكانوا إذا اجتمعـوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب - رضـي ا عنه - يقول لأبي موسى : يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون .

وقد أخبر ا سبحانه أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض عنه ضـال شقي ، وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طـه : ١٢٣ - ١٢٦] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شـرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد

وهذا مذكور في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة ، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة هي : الاضطراب والصراخ والإغماء والموت في التابعين ، وبالجملة فهذا السماع هو أصل الإيمان فإن ا بعث محمد - ﷺ - إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ، ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى .

وأما سماع المكاء والتصدية وهو التصفيق بالأيدي ، والمكاء مثل الصفير ونحوه فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره ا تعالى في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] ، فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربةً وديناً ، ولم يكن النبي - ﷺ - وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ، ومن قال أن النبي - ﷺ - حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته ، والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في - مسألة السماع وفي صفة التصوف - ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف : أن النبي - ﷺ - أنشده أعرابي :

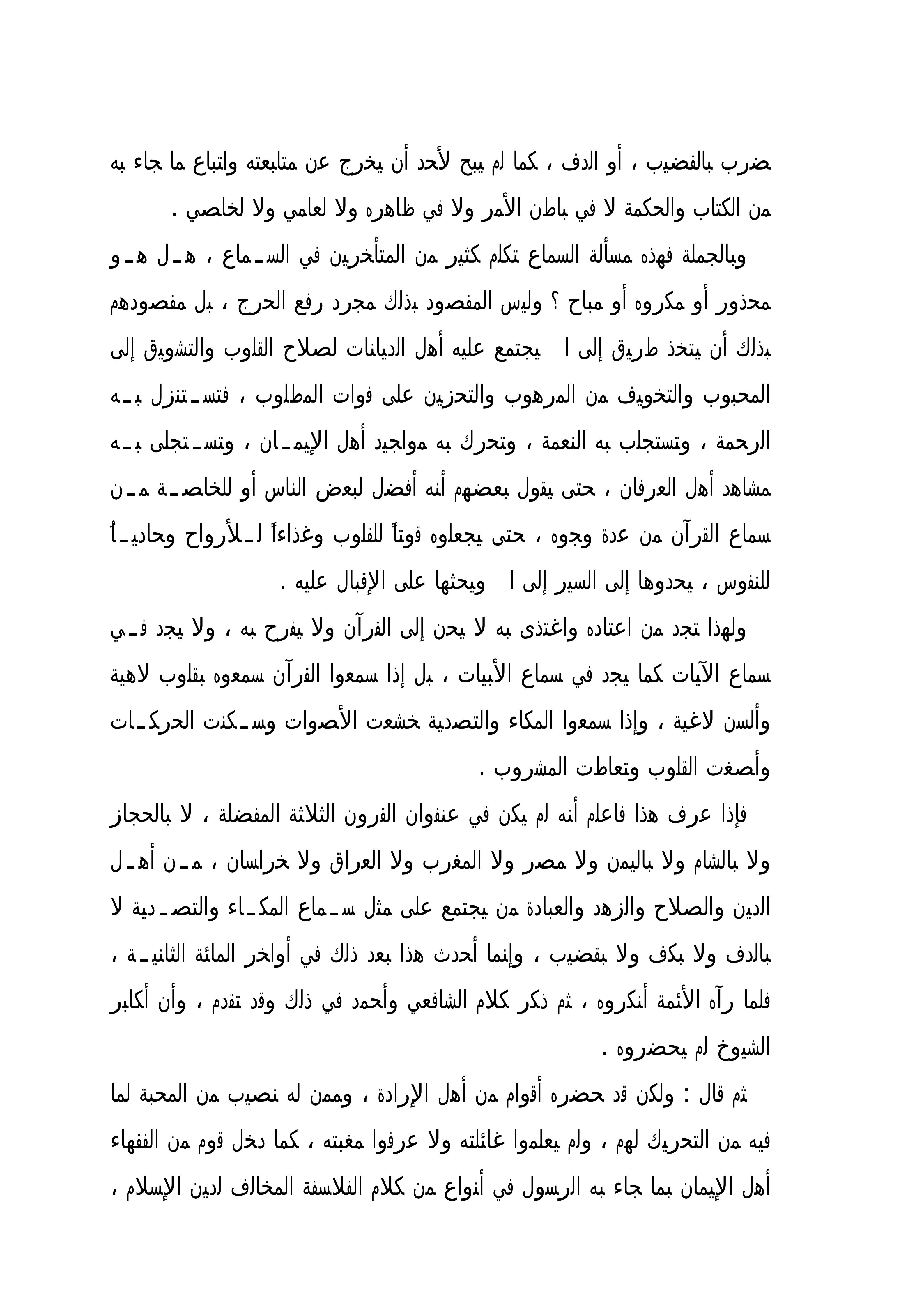
لقد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي[1]

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه ، فقال له معاوية : ما أحسن لهوكم ؟ فقال له مهلاً يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب " فهو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن .

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي - ﷺ - لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف ، أو

---

١ . عوارف المعارف لأبي حفص السهروردي ، ص ١٢١ ، ثم قال بعد ذلك : فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما كما سمعناه ووجدناه ، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث ، وما وجدنا شيئاً نُقل عن رسول ا صلى ا عليه وسلم يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم ، إلا هذا ، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ألو صح ؟؟ وا أعلم ، ويخالج سري أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى ا عليه وسلم مع أصحابه ، وما يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ، ويأبى القلب قبوله ، وا أعلم بذلك .



ضرب بالقضيب ، أو الدف ، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ولا لعامي ولا لخاصي .

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم كثير من المتأخرين في السـماع ، هـل هـو محذور أو مكروه أو مباح ؟ وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج ، بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريق إلى ا يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب والتشويق إلى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات المطلوب ، فتسـتنزل بـه الرحمة ، وتستجاب به النعمة ، وتحرك به مواجيد أهل الإيمـان ، وتسـتجلى بـه مشاهد أهل العرفان ، حتى يقول بعضهم أنه أفضل لبعض الناس أو للخاصـة مـن سماع القرآن من عدة وجوه ، حتى يجعلوه قوتاً للقلوب وغذاءً لـلأرواح وحاديـاً للنفوس ، يحدوها إلى السير إلى ا ويحثها على الإقبال عليه .

ولهذا تجد من اعتاده واغتذى به لا يحن إلى القرآن ولا يفرح به ، ولا يجد فـي سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وإذا سمعوا المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسـكنت الحركـات وأصغت القلوب وتعاطت المشروب .

فإذا عرف هذا فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة ، لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا مصر ولا المغرب ولا العراق ولا خراسان ، مـن أهـل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سـماع المكـاء والتصـدية لا بالدف ولا بكف ولا بقضيب ، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانيـة ، فلما رآه الأئمة أنكروه ، ثم ذكر كلام الشافعي وأحمد في ذلك وقد تقدم ، وأن أكابر الشيوخ لم يحضروه .

ثم قال : ولكن قد حضره أقوام من أهل الإرادة ، وممن له نصيب من المحبة لما فيه من التحريك لهم ، ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته ، كما دخل قوم من الفقهاء أهل الإيمان بما جاء به الرسول في أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الإسلام ،

ظناً منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته ، فإن القيـام بحقـائق الدين علماً وحالاً وقولاً وعملاً ومعرفةً وذوقاً وخبرة ، لا يستقل بها أكثـر النـاس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، فإن ا بعـث محمـداً - ﷺ - بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى با شهيداً ، وقد قال ا تعـالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ومن كان لهم خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها ، عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجاب للقلوب منفعة ولا مصلحة ، بل في ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد يفعـل فـي النفوس فعل حميا الكؤوس ، ولهذا يورث أصحابه سكراً أعظم من سكر الخمر .

ولا تحصل لهم هذه الحال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن ، لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية ، تطرد الشيطان وتلك عبـادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجاب الشياطين ، قال النبـي - ﷺ - فـي الحـديث الصحيح : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت ا يتلون كتاب ا ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم اللهم فيمن عنـده)[1] وقد ثبت في الحديث الصحيح أن أسيداً بن حضير لما قرأ سـورة الكهـف تنزلـت الملائكة لسماعها كالظلة فيها السرج[2] .

ولهذا كان المكاء والتصدية يدعو إلى الفواحش والظلم ويصد عن حقيقة ذكر ا تعالى والصلاة كما يفعل الخمر .

والمقصود هنا أن المذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات ، ينبغي للإنسـان أن يميز بين صحيحه وضعيفه ، كما ينبغي ذلك في المعقولات والنظريات ، وكذلك في الأذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات ، فإن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة فيها حق وباطل ولا بد من التمييز في هذا وهذا ، وجماع ذلك أن ما وافق كتـاب ا

---

١ . أخرجه مسلم ٤ / ٢٠٧٤ ، ح ٢٦٩٩ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر .

٢ . أخرجه مسلم من حديث البراء ١ / ٥٤٧ ، ح ٢٤٠ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطـل ، فإن ا يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النسـاء : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وجماع الدين أن لا نعبد إلا ا ولا نعبده إلا بما شـرع ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود : ٧] ، قال الفضيل بن عياض : أخلصـه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصـاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبـل حتـى يكـون خالصاً وصواباً ، والخالص أن يكون والصواب أن يكون على السنة ، وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشائخ ، كما قال أبو سليمان الداراني : إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة ، وقال الشيخ أبو سليمان أيضاً : ليس لمن أُلهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر ، فإذا سمع بأثر كان نوراً على نور ، وقال الجنيد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا ، وقال سهل بن عبد ا التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، وقال : كل عملٍ على ابتداع فإنه عذاب على النفس ، وكل عمل بلا اقتداء فهو غش للنفس .

وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، لأن ا يقـول : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] ، ومثل هذا كثير في كلامهم ، وإذا كان كذلك فليس لأحـد أن يسلك إلى ا إلا بما شرعه الرسول لأمته ، فهو الداعي إلى ا بإذنه الهادي إلـى صراطه ، الذي من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، فهو الذي فـرق ا به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي - ﷺ - لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به ، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به ، وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله ، فإن الله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه .

وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] ، وقال في كتابه : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، أي : بسكينة ووقار .

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود ، بل الدف والرقص في الطابق لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من سلف الأمة ، بل أمروا بالقرآن في الصلاة ، والسكينة ، ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن المشروع ، وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن ونحوه ، سلم إليه ذلك الحال كما تقدم ، فأما إذا تكلف من الأسباب ما لم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له مثل : شرب الخمر مع علمه أنها تسكره ، وإذا قال : ورد علي الحال وأنا سكران قيل له : إذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً .

فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ضال ، من جنس خفراء العدو وأعوان الظلمة ، من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضارعوا عباد النصارى والمشركين الصابئين ، في بعض ما لهم من الأحوال ومن كان كاذباً فهو منافق ضال ... وقال الفضيل : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ، من زوج كريمته لصاحب بدعة فقد قطع رحمها ، ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً ، وأكثر إشارته وإشارات غيره من المشائخ بالبدعة ، إنما هي إلى البدع في العبادات والأحوال ، كما قال عن النصارى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد : ٢٧] ...)[1] .

---

١ . الفتاوى ١١ / ٥٩٩ .

المسألة الثالثة : قول إبراهيم بن أدهم تعلمت المعرفة من راهب .

تقدم فيما أخذ عن الغزالي أخذه عن أهل الكتاب ، ومما ذكره في ذلك أنه نقل عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - قوله : ((تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلتُ عليه صومعته ثم أخبره أن صبره على العبادة والترهب هو لأجل عز ساعة ، يأتونه النصارى فيها كل سنة يزينون صومعته ويطوفون حولها ويعظمونه ، قـال : فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرت عز تلك الساعة ، فأنا أحتمل جهد سـنة لعـز ساعة ، فاحتمل أنت يا حنفي جهد ساعة لعز الأبد))[1] .

التعليق :

هذا الكلام الذي أشاد به الغزالي ونقله عن العبد الصالح إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - وأنه استفاده من راهب أمر غريب ، وليس الغرابة أن يأخذ الحق عـن أهـل الكتاب فإن الحق ضالة المؤمن ، وقد أمر النبي - ﷺ - أبا هريرة بتصديق الشيطان لما أعلمه أن آية الكرسي تحرسه من الشيطان ، فقال : (صدقك وهو كـذوب)[2] ، لكن الغريب أن في ديننا ما يغنينا عن وصايا الرهبان وأهل الكتاب ، بل قد غضب النبي - ﷺ - من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو من هو فـي إيمانـه وتقواه لما رأى معه ورقة من التوراة ، فقال : (أمتهوك يا ابن الخطاب ، والله لـو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي)[3] .

فلماذا يحكي الغزالي في إحيائه لعلوم الدين قصةً تفيد أن عند الرهبـان وصـايا نافعة وفوائد ماتعة ، حتى إن خير العباد كإبراهيم بن أدهم دخل عليهم في صوامعهم ليستفيد منهم ؟! فيا ترى ما أثر مثل هذا على العوام البسطاء ، الـذين لا يعلمـون الضوابط الشرعية في النقل عن بني إسرائيل ؟!! ثم إن هذا المعنى الذي في كـلام

---

١ . الإحياء ٣ / ٤٢٤

٢ . أخرجه البخاري ٢ / ٨١٢ ، رقم ٢١٨٧ ، كتاب الوكالة ، باب إذا وكل رجل فترك الوكيل شـيئاً فأجـازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز .

٣ . أخرجه أحمد ٣ / ٣٨٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١ / ١٩٩ ، رقم ١٧٩ ، وحسنه الألباني فـي مشـكاة المصابيح ١ / ٣٨ ، رقم ١٧٧

الراهب وأن الدنيا تعدل ساعة موجود بنصه في كتاب ا تعالى وفي سنة رسـوله - ﷺ - وفي وصايا السلف الصالح أهل الحق والسنة ، يقول سـبحانه : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، ويقول - ﷺ - : (ثم أتى ا بكم – يعني أمة محمد – فعملتم ما بين العشي إلى الغروب ، فأتاكم قيراطين قيراطين)[1] وفي وصايا أهل العلم في كتب الزهد والرقائق من ذلك شيء كثير ، فالواجب على الغزالي وأمثاله وخاصة في مؤلف وسمه بأنـه دعـوة للخلق لإحياء علوم دينهم أن يرشدهم إلى المصدر الأصيل للتلقي وهـو كتـاب ا وسنة رسوله - ﷺ - وأقوال الصحابة ومن تبعهم من السلف الصـالح ، كالأئمـة الأربعة رحمهم ا جميعاً .

ويا ليت الغزالي إذا نقل مثل هذه الأمور يعلق عليها بما يصوبها إن كانت خطأ ، أو ما يشهد لها من الكتاب والسنة إن كانت حقاً ، كما فعل النبـي - ﷺ - : (لمـا جاءه حبر من الأحبار ، وقال يا محمد : إنّا نجد أن ا يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت نواجذه ، وقرأ قوله تعالى - تصديقاً لقول الحبر - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧])[2] ، هذا هو منهجه - ﷺ - ، فيما إذا أتى أهل الكتاب بحق أو فائدة قبلها وقررها بمـا يشهد لها من الكتاب والسنة ، لكن الغزالي يورد ما يورد بلا تعليـق ولا تصـويب ولا توضيح .

المبحث الثاني : المآخذ العقدية في كتب الكبر والعجب والغرور

من حسن ترتيب الغزالي لكتابه أنه ختم ربع المهلكات بكتاب ذم الكبر وكتاب ذم العجب وكتاب ذم الغرور ، وذلك لأن من امتثل لتوجيهات الغزالي فـروض نفسـه

---

١ . أخرجه البخاري ١ / ٢٠٤ ، رقم ٥٣٢ ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من العصـر قبـل غروب الشمس

٢ . أخرجه البخاري رقم ٤٨١١ ، ومسلم رقم ٢٧٨٦

على العبادة والطاعة والصوم والذكر وعودها على الخلوة ، وحفظ لسانه من آفـات اللسان ، وكان على حذر من الدنيا والجاه والرياء ، فمثل هذا قد يرى فـي نفسـه كمالاً فيتكبر ، وقد يرى في صفاته جمالاً فيعجب بها ، وقد يحمله على الغرور ، لذا نبه الغزالي في آخر ربع المهلكات على هذه الأدواء المهلكة ، فبين ذم الكبـر مـن نصوص الكتاب والسنة ، وإن كان في بعضها ضعف كما وضـحه العراقـي فـي تخريجه لهذه الأحاديث ، ثم عقد باباً في بيان فضيلة التواضع وقد كان فهم الغزالي للتواضع سليماً وأن التواضع وسط بين طرفين المذلة والكبر ، وكانت المآخذ علـى هذه الأبواب كالأبواب السابقة من وجود الأحاديـث الضـعيفة ، والإسـرائيليات ، والغرائب وبعض ألفاظ الصوفية كالأوتاد ، وكرر السماع والرقص[1] ، ومن المآخـذ عليه التي تحتاج إلى بيان :

١ – ما أورده من قصة داود عليه السلام المكذوبة .

٢ – قوله إن سبعين حجاباً .

المسألة الأولى : ما أورده من قصة داود عليه السلام المكذوبة :

كما تقدم في المآخذ عن الغزالي نقله عن أهل الكتاب أخبارهم وقصصهم ، ومما ذكره الغزالي قصة داود عليه السلام وفتنته بالمرأة ، حيث أوردها في كتابه الإحياء في ربع المهلكات في ثلاثة مواضع ، قال في الموضع الأول : عن سعيد بن جبيـر أنه قال : (إنما جاءت الفتنة لداود - عليه السلام - من قبل النظرة)[2] ، وذكر فـي باب العجب أن داود - عليه السلام - قال لربه : (لو ابتليتني صـبرت ، فـابتلي بالمرأة فوقع فيما وقع فيه)[3] ، ثم ساق آخر القصة في آخر الكتاب وأن داود عليـه السلام أراد التحلل ممن ظلمه وهو " أوريا " فدعا ا أن يحييه فأحياه له ، فقال : يا

---

١ . ينظر ٣ / ٥١٢ - ٥١٣

٢ . الإحياء ٣ / ١٣٢

٣ . الإحياء ٣ / ٤٧٤

أوريا ، فقال : لبيك يا نبي ا ، أخرجتني من الجنة فماذا تريد ؟ قال : إني أسأت إليك في أمرٍ فهبه لي ، قال : فعلت ، ثم إنه أوحي إلى داود أنك ما أخبرته بشأنك مع المرأة ، فدعاه مرة أخرى فأخبره بما حصل فسكت أوريا ولم يجبه ، ثم دعاه مرة ثانية : يا أوريا لما لا تجبني ، فقال له : ما هكذا تفعل الأنبياء[1] ؟!

التعليق :

هذه القصة باطلة ، بل في غاية البطلان وفيها جرأة على نبي ا داود ، وإساءة الأدب معه ، لذا استنكرها الأئمة وبينوا زيفها وذلك لما احتوته من عدة أباطيل ومنها :

أ – تهجم داود على امرأة أجنبية .

ب – انتهاك حرمة الجوار .

ج – الغدر بزوج المرأة ، وتدبير المكيدة لقتله .

د – الخضوع لشهوته الجنسية .

والمحققون من المفسرين يردون هذه القصة ويحكمون عليها بالكذب والفساد :

قال البيضاوي : ((وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوج امرأته ، هزؤ وافتراء ، ولذلك قال علي – رضي ا عنه - : من حدث بحديث داود على ما يرويه القُصاص جلد مائة وستين))[2] .

وقال النسفي : ((وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزو البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوج امرأته ، فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء))[3] .

أما الخازن فقد أورد الروايات ثم أتبعها بفصل يقول فيه : ((فصل في تنزه داود عما لا يليق به وما ينسب إليه ، ثم قال : أعلم أن من خصه ا تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وأمنه على وحيه وجعله واسطة بينه

---

١ . الإحياء ٣ / ٥٠٨ .

٢ . المعروف بتفسير البيضاوي ، ص ٦٠٢ ، دار الجيل – بيروت ، طُبع ١٣٣٤هـ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار صادر – بيروت ، ٥ / ١٨ .

٣ . تفسير النسفي ، دار الكتاب العربي ، ٤ / ٣٨ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ .

وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نُسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك))[1] .

ويقول أبو حيان : ((ويعلم قطعاً أن الأنبياء - عليهم السلام - معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة ، إذ لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى ا به إليهم ، فما حكى ا في كتابه ، يمر على ما أراده تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه))[2] .

وقال أبو السعود : ((وأما ما يذكر أنه تزوج امرأة أوريا فهو إفك مبتدع مكروه ، ومكر مخترع تمجه الأسماع ، وتنفر عنه الطباع ، ويل لمن ابتدعه وأشاعه ، وتبـاً لمن اخترعه وأذاعه))[3] .

قال ابن كثير : ((ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها من الإسرائيليات ، ومنها ما هو مكذوب لا محالة ، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً ، اكتفاء واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم ، وا يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم))[4] .

وقد نقل العلامة القاسمي - رحمه ا - في محاسن التأويل عن ابن حزم رده على من اتهم نبي ا داود بهذه الفرية ، فقال : ((ما حكاه ا تعالى عن داود - عليه السلام - قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك ، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغى أحدهم على الآخر على نص الآية ، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على ا - عز وجل - وقوّله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب على ا

---

١ . الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار المعرفة – بيروت ، ٦ / ٤١ ، بتصرف .

٢ . البحر المحيط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / الأولى ١٤١٣هـ ، ٧ / ٣٧٨ .

٣ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، إحياء التراث العربي – بيروت ، ٤ / ٥٧١ ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديث – بالرياض .

٤ . البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١٣

- عز وجل - وأقر على نفسه بالخبيثة ، أنه كذّب الملائكة لأن ا تعالى قال : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ [ص : ٢١] ، وقال هؤلاء لم يكونوا قط خصمين ، ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان قطٌّ لأحدهما تسعة وتسعون نعجة ، ولا كان للآخر نعجة واحدة ، ولا قال له إكفلنيها ، فاعجبوا لما يقحمون بالباطل أنفسهم ؟ ! ونعوذ با من الخذلان ، ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوة مجردة ، وتا ا أن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، وهذه أفعال السفهاء والمتهوكين الفساق المتمردين ، لا أفعال أهل البر والتقوى ، فكيف برسول ا داود - عليه السلام - الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه ، لقد نزهه ا عز وجل أن يمر هذا الفُحش بباله فكيف يضاف إلى أفعاله ، وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة ا له فالأنبياء - عليهم السلام - أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة ، والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب ... انتهى))[1] .

قال ابن الجوزي في زاد المسير : (وهذا لا يصح من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى لأن الأنبياء منزهون عنه ...)[2] .

قال فخر الدين الرازي في نقده لهذا القول : والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه :

الأول : أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها ، والرجل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا لبالغ في تنزيه نفسه ، فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه .

الثاني : أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع في زوجته ، أما الأول : فأمر منكر ، قال - ﷺ - : (من سعى

---

١ . محاسن التأويل للقاسمي ١٤ / ١٥٧ ، تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ .

٢ . زاد المسير ٧ / ١١٥ ، المكتب الإسلامي لزهير الشاويش ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ .

في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس مـن رحمـة ا)[1]
وأما الثاني فمنكر عظيم ، قال - ﷺ - : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2] .
الثالث : إن ا وصف داود قبل ذكر هذه القصة بالصـفات العشـر المـذكورة ، ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد هذه القصة ، وكل هذه القصة تنافي كونه - عليـه السلام - موصوف بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح ، ومن هذه الصفات هي :

١ – إن ا أمر محمداً بأن يقتدي بداود في المصابرة والمكابدة ، ولو قلنـا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم امرئ مسلم لغـرض شـهوته ، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة ا .

٢ – وصفه بكونه عبداً له ، وقد بينا أن المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلـك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام بأداء الطاعات والإحتراز عـن المحذورات ، ولو قلنا بأن داود اشتغل بتلك الأعمال الباطلة فحينئذ مـا كـان داود كاملاً في عبوديته ، بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة .

٣ – إن ا مدح داود وغيره من الأنبياء ، فقـال : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، ومن مدح بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نُبالغ في الطعن فيه .

٤ – أن ذكر القصة محرم ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

٥ – روى سعيد بن المسيب عن علي - رضي ا عنه - قال : ((من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين)) وهو حد الفرية على الأنبياء .

٦ – روى أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب ا فقال : ((لا ينبغـي أن يزاد عليها وإن كانت الواقعة على ما ذكر ، ثم إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يسـتر

---

١ . أخرجه ابن ماجة ٢ / ٨٧٤ ، ح ٢٦٢٠ ، من حديث أبي هريرة ، كتاب الديات ، باب التغليظ في قتل مسلم ، وقال الألباني ضعيفٌ جداً .

٢ . البخاري ، ٢ كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ١ / ٥٣ ، وفي ٧٤ الرقائق ، ٢٦ باب الانتهاء عن المعاصي .

تلك الواقعة على داود ، فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك ذلك الستر بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر ، فقال عمر بن عبد العزيز : سماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، فثبت بهذه الوجوه أن القصة التي ذكروها باطلة))[1] .

بل إن بعض الباحثين أورد كلاماً في أسفارهم يدل على بطلان هذه القصة ، ومما ذكره :

١ – أن هذه القصة ذُكرت في سفر صموئيل الثاني فقط ، ولم تذكر في سفر الملوك ولا في سفر الأخبار ، ولعل واضع سفر صموئيل قد انتحل هذه القصة ولو كان أهل الكتاب جميعاً يؤمنون بها كغيرها من القصص التي تكررت لذكرت في باقي الأسفار .

٢ – ورد في الإصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني ، قول الله لداود : ((إن يكن بنوك يحفظون طرقهم حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي)) فهل يريد الله لأبناء داود الذين يقويهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة قتلة !! تعالى الله عما يقولون .

٣ - وكذلك ورد في المزمور السادس بعد المائة يشكو داود من اليهود الذين اتهموه بالزنا .

٤ - ومما يدل على إفترائهم ، اعتراف بعض اليهود الذين أسلموا بأن هذه القصة مكذوبة ، قال البقاعي : ((وأخبرني بعض من أسلم منهم أي اليهود أنهم يعتمدون ذلك في حق داود لأن عيسى من ذريته ، ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه))[2] .

المسألة الثانية : قوله إن لله سبعين حجاباً :

قال الغزالي في كلامه عن أصناف المغترين : ((وأن منهم من ظن أنه وصل إلى الله فوقفوا وغلطوا ، فإن لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، واستدل على ذلك بقول الله

---

١ . الرازي ، فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ٢٥ / ١٨٩ – ١٩٢ .

٢ . القاسمي ، جمال الدين ، محاسن التأويل ، ١٣ / ١٥٨ ، وانظر داود عليه السلام بين خبر العهد القديم ونبأ القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، إعداد : عبد الله محمد الفيفي ، جامعة الملك سعود – كلية التربية ، قسم الثقافة الإسلامية ، ١٤١٩هـ .

تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦ - ٧٧] .

فذكر أنه ليس المقصود الكواكب المعروفة والشمس والقمر المعروفين ، فإبراهيم يراها في الصغر ومعلوم أنها ليست بآلهة حتى عند الجهال والعوام ، فكيف بإبراهيم ، بل المقصود الحجب النورانية ، وسمى النور بالكوكب لأن الكواكب منيرة ، ففي طريق السالك إلى ا تعالى حجب من نور بعضها أكبر من بعض إذا وصل أحدهم إلى أحد هذه الحجب ورأى النور ظن أنه هو ا تعالى ، لذا قال بعضهم : أنا الحق ، فإذا لم يتضح له ما وراء النور اغتر بذلك ووقف عليه وهلك ... وهذا هو عين ما فعلت النصارى التي رأت إشراق نور ا في عيسى ، فظنوه إلهاً))[1] .

التعليق :

قد أنكر شيخ الإسلام هذا التفسير لقصة إبراهيم ، وبين أن المقصود هو هذه الشمس المعروفة والقمر المعروف والكوكب المعروف ، فقال : ((... المقصود أن هذا مما يعلم بالاضطرار ، أنه ليس المراد بالآية ، ولم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، بل قد اتفق كل من تكلم في تفسير القرآن من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين على أن المراد بالكوكب والشمس والقمر ما هو معروف بمسميات هذه الأسماء وهذه الأعيان المشهودة المشتهرة ... ولفظ الكوكب والشمس والقمر معرفاً بلام التعريف والبزوغ والأفول لا يحتمل ما يذكرونه من العقول والنفوس في لغة العرب بوجه من الوجوه ، والذين نقلوا القرآن لفظه ومعناه عن الرسول - ﷺ - قد علم بالتواتر والاضطرار عنهم أن المراد بالشمس والقمر هما الشمس والقمر كما أن هذا هو المراد بهذين الإسمين في عامة القرآن ...))[2] .

---

١ . الإحياء ٣ / ٥١٧

٢ . بغية المرتاد ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

وأهل التصوف ومنهم الغزالي يفسرون هذه الحجب بحجب شهوات النفس وحظوظها ، ويتصورون أن ما يعرض لأحدهم من أنوار هي أنوار انكشاف تلك الحجب ، وقد وضح ابن القيم - رحمه الله تعالى - هذا الأمر فقال : ((الحجاب في " لسان الطائفة " : النفس وصفاتها وأحكامها ، وهم مجمعون على أن النفس من أعظم الحجب ، بل هي الحجاب الأكبر ، فإن حجاب الرب سبحانه عن ذاته هو النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[1] ، وحجابه من عبده هو نفسه وظلمته ، فلو كشف عنه هذا الحجاب لوصل إلى ربه ، والوصول عند القوم عبارة عن ارتفاع هذا الحجاب وزواله ، فالحجاب الذي يشتد على المحب ويشتد عطشه إلى زواله هو حجاب الظلمة والنفس وهو الحجاب الذي بينه وبين الله .

وأما الحجاب الذي بين الله وبين خلقه – وهو حجاب النور – فلا سبيل إلى كشفه في هذا العالم البتة ، ولا يطمع في ذلك بشر ، ولم يكلم الله بشراً إلا من وراء حجاب ، وهذا الحجاب كاشف للعبد ، موصل له إلى مقام الإحسان الذي يعبر عنه القوم بمقام " المشاهدة " والأول ساتر للعبد ، قاطع له حائل بينه وبين الإحسان وحقيقة الإيمان ، هذا وسنُبين – إنشاء الله تعالى – أنه لا يصح لأحد في الدنيا مقام " المشاهدة " أبداً ، وأن هذا من أوهام القوم وترهاتهم ، وإنما غاية ما يصل إليه العبد : الشواهد ، ولا سبيل لأحد قط في الدنيا إلى مشاهدة الحق سبحانه ، وإنما وصوله إلى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه وحسن ظنه بترهات القوم وخيالاتهم .

ولله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة ؟ فقال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق ، هذا هو صاحب الشطحات المعروفة وهذا من أحسن كلامه وأبينه .

---

١ . أخرجه مسلم ١ / ١٦١ ، ح ١٧٩ ، من حديث أبي موسى ، في كتاب الإيمان ، باب قوله عليه السلام إن الله لا ينام ، وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

وأراد بشاهد الحق : ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية مـن ذكـره ومحبته وإجلاله وتعظيمه وتوقيره ، بحيث يكون ذلك حاضراً فيها مشهوداً لها غير غائب عنها ، ومن أشار إلى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون في خفارة صدقه وضعف تمييزه وعلمه .

ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً بحسب استعدادها ، تقوى تارة وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار الأعمال والإيمان والمعارف ، وصفا البواطن والأسرار ، لا أنهـا أنوار الذات المقدسة ، فإن الجبل لم يثبت لليسير من ذلك النور حتى تدكدك وخـر الكليم صعقاً ، مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟

فإياك ثم إياك وترهات القوم وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحكامها ، فإن المحجوب بنفسه معترف بأنه فـي ذلـك الحجـاب ، وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ، ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك مـن حجـاب أولئك ، ولا يقر لنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور السنة المحمدية ، فرأى ما الناس فيه وما أعز ذلك في الدنيا وما أغربه بين الخلق ! وبا المستعان .

فالصادقون في أنوار معارفهم وعباداتهم وأحوالهم ليس إلا ، وأنوار ذات الـرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ، وهذا الموضع من مقاطع الطريق ، و كم زلت فيه أقدام ! وضلت فيه أفهام ! وحارت فيه أوهام ! ونجا منـه صـادق البصـيرة تـام المعرفة علمه متصل بمشكاة النبوة ، وبا التوفيق[١] .

---

١ . ينظر مدارج السالكين ٧٧١ ، تحقيق محمد المعتصم با البغدادي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤٢٥هـ


الخاتمة

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات ، والحمد الذي تفرد بالكمال والجـلال وأشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله - ﷺ - ، أما بعد :

فلا شك أن النظر والبحث في كتاب " إحياء علوم الدين " قد استفدت منه بعـض التوجيهات والرقائق والمواقف الإيمانية ، مع ما وجدت عليه من ملاحظات كثيـرة ومآخذ عديدة كان التعامل معها على نهج (إلتمس لأخيك عذراً) إلا ما كان منهـا ظاهر المخالفة وبعيداً عن الموافقة ، فتم الجواب عنها والكشف لبطلانها ، وفي ختام هذا البحث ألخص ما توصلت له من النتائج :

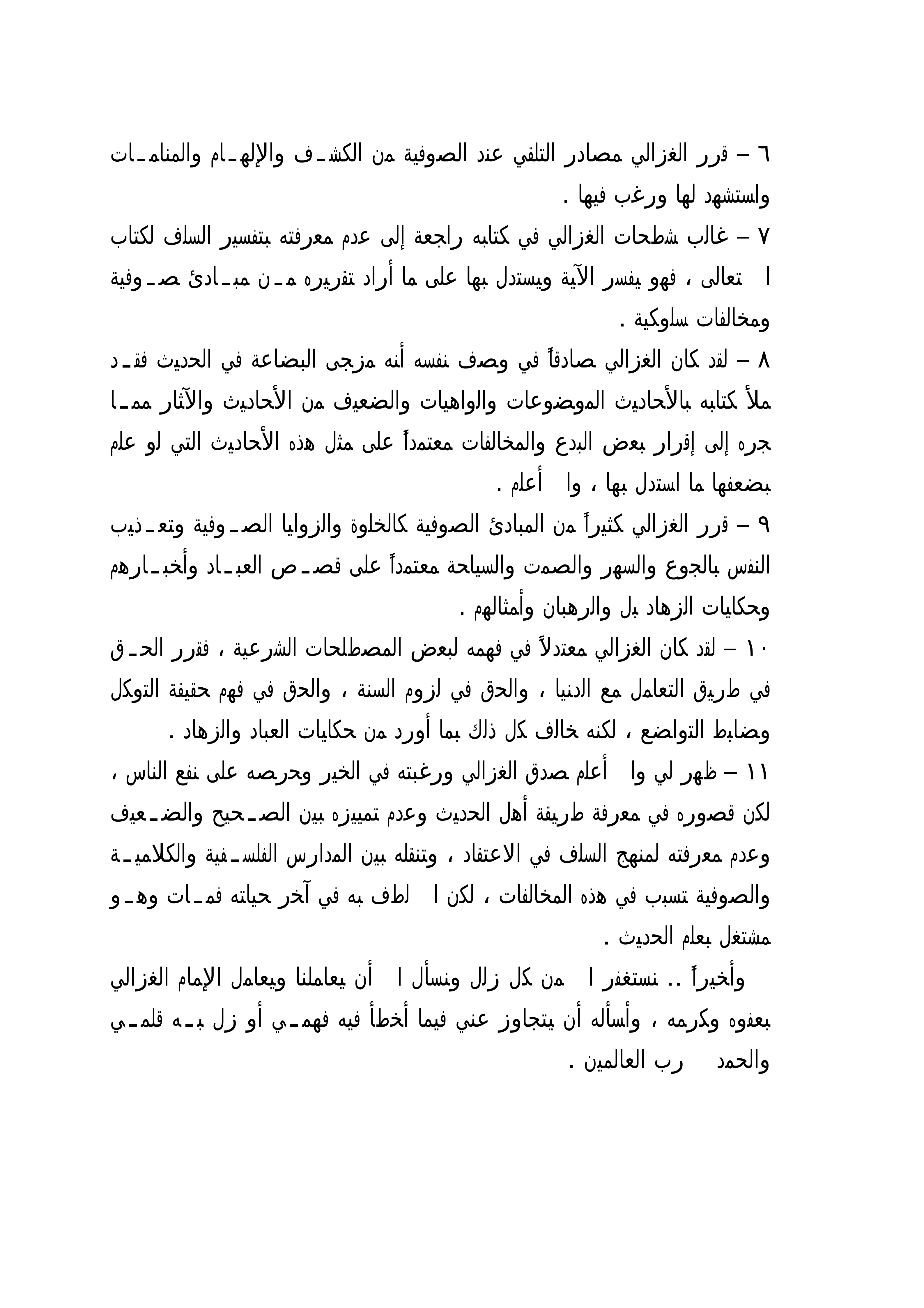
١ – أن سيرة الغزالي وتقلبه في أطوار الفلسفة وعلم الكلام ثـم التصـوف لـدليل واضح على اضطرابه واحتمال الخطأ فيما ألفه وكتبه ، فلا داعـي إذاً لاعتـراض المتعصبين له والغالين فيه .

٢ – أن الرد على الغزالي وخاصة في كتابه إحياء علوم الدين كـان منـذ عصـر المؤلف ، وبعد وفاته ، وعلى أيدي أئمة معتبرين ، كشيخ الإسلام فـي عـدة مـن مؤلفاته وفي مواضع متعددة من كلامه ، ومثل ابن الجوزي والذهبي وابن الصـلاح وغيرهم ، فليس هذا البحث إلا جمعاً لملاحظاتهم عليه وسيراً على نهجهم في التنبيه على ما وقع فيه الغزالي ، فليس هذا البحث بدعاً في موضوعه .

٣ – أن كتاب إحياء علوم الدين وإن كان الظاهر كثرة المعجبين به ، ولكن الصواب أنه متعقب منذ زمن طويل ، بل أحرق في زمن لعظيم ما احتوى عليه من أخطاء ، ولأئمة السلف موقف في التحذير من أخطائه وبيان محدثاته .

٤ – أن الأطوار التي مر بها الغزالي جعلت في شخصيته مزيجاً من الأفكار ، فتجـد في كلامه أنواعاً من الأفكار الفلسفية ، وأنواعاً من المسائل الكلاميـة ، وأنواعـاً مـن الشطحات الصوفية ، مما يجعل هناك صعوبة في تحديد مقصده أو معرفة حقيقة مذهبه .

٥ – أن الغزالي أسهم إسهاماً كبيراً في ترويج الفكر الصوفي ، وصـبغه بالصـبغة الشرعية التي تجعله أمراً مستساغاً ، بل مشروعاً مستحسناً ، لذا وجـب التصـدي لمثل هذا الأمر الخطير على العقيدة الإسلامية الصافية .



٦ – قرر الغزالي مصادر التلقي عند الصوفية من الكشف والإلهام والمنامات واستشهد لها ورغب فيها .

٧ – غالب شطحات الغزالي في كتابه راجعة إلى عدم معرفته بتفسير السلف لكتاب ا تعالى ، فهو يفسر الآية ويستدل بها على ما أراد تقريره من مبادئ صوفية ومخالفات سلوكية .

٨ – لقد كان الغزالي صادقاً في وصف نفسه أنه مزجى البضاعة في الحديث فقد ملأ كتابه بالأحاديث الموضوعات والواهيات والضعيف من الأحاديث والآثار مما جره إلى إقرار بعض البدع والمخالفات معتمداً على مثل هذه الأحاديث التي لو علم بضعفها ما استدل بها ، وا أعلم .

٩ – قرر الغزالي كثيراً من المبادئ الصوفية كالخلوة والزوايا الصوفية وتعذيب النفس بالجوع والسهر والصمت والسياحة معتمداً على قصص العباد وأخبارهم وحكايات الزهاد بل والرهبان وأمثالهم .

١٠ – لقد كان الغزالي معتدلاً في فهمه لبعض المصطلحات الشرعية ، فقرر الحق في طريق التعامل مع الدنيا ، والحق في لزوم السنة ، والحق في فهم حقيقة التوكل وضابط التواضع ، لكنه خالف كل ذلك بما أورد من حكايات العباد والزهاد .

١١ – ظهر لي وا أعلم صدق الغزالي ورغبته في الخير وحرصه على نفع الناس ، لكن قصوره في معرفة طريقة أهل الحديث وعدم تمييزه بين الصحيح والضعيف وعدم معرفته لمنهج السلف في الاعتقاد ، وتنقله بين المدارس الفلسفية والكلامية والصوفية تسبب في هذه المخالفات ، لكن ا لطف به في آخر حياته فمات وهو مشتغل بعلم الحديث .

وأخيراً .. نستغفر ا من كل زلل ونسأل ا أن يعاملنا ويعامل الإمام الغزالي بعفوه وكرمه ، وأسأله أن يتجاوز عني فيما أخطأ فيه فهمي أو زل به قلمي والحمد رب العالمين .

الفهارس العلمية

فهرس الآيات

٥	﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨]	١٥٩ – ١٦١
٦	﴿ لَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]	٢٤٥
٧	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً . . . ﴾ [آل عمران : ١٦٤]	٦١
٨	﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ . . . ﴾ [آل عمران : ١٨٧]	٢٣٩

سورة النساء		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء ﴾ [النساء : ٣]	٩٣
٢	﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [النساء : ٥]	١٨٢ – ١٨٣
٣	﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء : ٦]	١٨٣
٤	﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨]	٢١١
٥	﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ . . . ﴾ [النساء : ٤٨]	٢
٦	﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ . . . ﴾ [النساء : ٥٩]	٢٣٨ – ٢٣٩ ٣٠٤
٧	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ . . . ﴾ [النساء : ٦٠ - ٦٣]	٢٣٩
٨	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ . . . ﴾ [النساء : ٦١]	٢ – ٢٣٩
٩	﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ [النساء : ٦٥]	٢
١٠	﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٨٦]	٢٧٠
١١	﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ . . . ﴾ [النساء : ١١٤]	٢١٦
١٢	﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧]	١٣٦
١٣	﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٦٠]	٩٩ – ٢٣٥

١٤	﴿ لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦]	٢٣٧
15	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : ١٧١]	١٧٤

سورة المائدة		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢]	١٩٦
٢	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . . . ﴾ [المائدة : ٣]	٣٠٣ – ٣٠٥
٣	﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤]	١٢٨ – ١٣٦
٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ . . . ﴾ [المائدة : ٦٤]	٢٣٦
5	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة : ٧٧]	٩٣ – ١٧٤
٦	﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ . . . ﴾ [المائدة : ٨٣]	٢٧٢ – ٢٩٥
٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا . . . ﴾ [المائدة : ٨٧ - ٨٨]	٢٠٩
٨	﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا ﴾ [المائدة : ٨٨]	٢١٠
٩	﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ . . . ﴾ [المائدة : ١١٨]	٢٢٠

سورة الأنعام		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ . . . ﴾ [الأنعام : ٥٠]	١٧٩
٢	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ . . . ﴾ [الأنعام : ٦٨]	١٩٨
٣	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي . . . ﴾ [الأنعام : ٧٦ - ٧٧]	٣١٤
٤	﴿ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام : ٩١]	١٩٤

٥	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢]	٢٣٤
٦	﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١]	٢٣٤
٧	﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي . . . ﴾ [الأنعام : ١٢٢]	١٦٦
٨	﴿ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤]	١٧٠ - ٣١٢
٩	﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ . . . ﴾ [الأنعام : ١٢٥]	٢٣٧
١٠	﴿ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩]	٢٣٢
١١	﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠]	٢٨٢

سورة الأعراف

م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢]	٢٣٦
٢	﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف :٣١]	٢٠٤ – ٢٢١
٣	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ . . . ﴾ [الأعراف : ٣٢]	٩٣ – ٢٠٤
٤	﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩]	٨٢
٥	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا . . . ﴾ [الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧]	٩٩
٦	﴿ مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي . . . ﴾ [الأعراف : ١٨٦]	٢٣٧
٧	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ . . . ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]	٢٣٦ – ٢٩٩

سورة الأنفال

م	الآية	الصفحة
١	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا . . . ﴾ [الأنفال : ٢]	٢٣٦ – ٢٧٢ ٢٩٤ – ٢٩٩

٢	﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩]	١٥٨
٣	﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥]	٣٠١
٤	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠]	٩٥

سورة التوبة		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٢٤]	١٢٨
٢	﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢]	٥
٣	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧]	٢٣٣
٤	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ . . . ﴾ [التوبة : ٧١]	٢٣٣
٥	﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ . . . ﴾ [التوبة : ٩٧]	٦٨
٦	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣]	٦٢
٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١]	٢٨٣
٨	﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢]	٢١٣

سورة يونس		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦]	١٥٩

سورة هود		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١]	٢٣٢

٢	﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧]	١٣١
٣	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤]	٢٣١
٤	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]	٦٤

سورة الإسراء		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . . ﴾ [الإسراء : ١]	١٤٢
٢	﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا . . . ﴾ [الإسراء : ٢٩]	٩٣
٣	﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ . . . ﴾ [الإسراء : ٥٧]	٢٨٢
٤	﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ . . . ﴾ [الإسراء : ٦٠]	١٤٢
٥	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠]	١٨٩
٦	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي . . . ﴾ [الإسراء : ٨٥]	١١٥
٧	﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦]	٢٣٦
٨	﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٩]	٢٣٦ – ٢٧٢ ٢٩٥

سورة الكهف		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ١٦]	١٩٨
٢	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ . . . ﴾ [الكهف : ٢٢]	٢٣٠
٣	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا . . . ﴾ [الكهف : ٥٧]	٢٣٦

٤	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف : ١١٠]	٢٤٥

سورة مريم		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ . . . ﴾ [مريم : ٤٩]	١٩٨
٢	﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢]	٢٣٦
٣	﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨]	٢٧٢ – ٢٩٥ ٢٩٩
٤	﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا . . . ﴾ [مريم : ٥٩]	٢٢١
5	﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥]	٢٣٧

سورة طه		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩]	٢٣٦
٢	﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه : ١٢٣]	٦٥
٣	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا . . . ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٦]	٦٥ – ٣٠٠

سورة الأنبياء		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠]	١٧٨
٢	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩]	١٥٨ – ١٦٢

سورة الحج		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥]	١٧٠
٢	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨]	٦٩

سورة المؤمنون		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]	٣٠٠
٢	﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [المؤمنون : ٨٨]	١٣٧

سورة النور		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ [النور : ١٩]	٣١٢
٢	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم . . . ﴾ [النور : ٢١]	٦٢
٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ . . . ﴾ [النور : ٢١]	١٩٣
٤	﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . . . ﴾ [النور : ٣٠]	٦٣
5	﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥]	١٤٥
٦	﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤]	٣٠٤

سورة الفرقان		
م	الآية	الصفحة

١	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا . . . ﴾ [الفرقان : ٣٠ - ٣١]	٢٣٥
٢	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣]	٣٠٥
٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا . . . ﴾ [الفرقان : ٧٣]	٢٣٦
٤	﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤]	٢٧١

سورة الشعراء		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ . . . ﴾ [الشعراء : ٩٤ - ٩٨]	٢٣٧
٢	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦]	٦٠
٣	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٤]	٦٠
٤	﴿ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . . . ﴾ [االشعراء : ١٤٢ - ١٤٤]	٦٠
٥	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ . . . ﴾ [الشعراء : ١٦٠ - ١٦١]	٦٠
٦	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٧٧]	٦٠
٧	﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥]	٩٥

سورة النمل		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ . . . ﴾ [النمل : ٦٥]	١٤٥ - ٢٧١

سورة القصص		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [القصص : ٢٧]	١٨٣

٢	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ . . . ﴾ [القصص : ٧٧]	٩٣

سورة العنكبوت		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩]	١٥٩
٢	﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩]	١٥٩ – ٢٣١
٣	﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ . . . ﴾ [العنكبوت : ٥١]	١٦٣
٤	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ . . . ﴾ [العنكبوت : ٦٩]	١٥٧ – ١٦٠

سورة الروم		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا . . . ﴾ [الروم : ٢١]	٢٦٥

سورة لقمان		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا . . . ﴾ [لقمان : ٧]	٣٠٠
٢	﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩]	٣٠٥

سورة السجدة		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣]	٢٣٦
٢	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧]	٢٨٣

سورة الأحزاب		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [الأحزاب : ٦٦]	٢٣٨
٢	﴿ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٨]	٢٣٨

سورة فاطر		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر : ٢]	١٤٨
٢	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨]	١٦٨
٣	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ . . . ﴾ [فاطر : ٣٢]	١١٩

سورة ص		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ [ص : ٢١]	٣١١
٢	﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص : ٢٩]	٣٠٠
٣	﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص : ٣٣]	١٨٥
٤	﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ . . . ﴾ [ص : ٧٥]	٢٣٦

سورة الزمر		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ . . . ﴾ [الزمر : ١٨]	٢٣٥ - ٣٠٠
٢	﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢]	١٥٧

سورة الدخان		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان : ٢١]	١٩٨

سورة الأحقاف		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً ... ﴾ [الأحقاف : ٣٥]	٣٠٧

سورة محمد		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤]	١٥٩ – ٣٠٠

سورة الفتح		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠]	١٤٠

سورة الذاريات		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨]	٢٣٦

سورة النجم		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١]	١٤٣

سورة التغابن		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦]	٧٢

سورة الطلاق		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ . . . ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣]	١٥٧ – ١٥٩

سورة التحريم		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [التحريم : ٥]	٢١٢

سورة القلم		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣]	٨٤ – ٢٤٨

سورة الجن		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧]	١٤٦ - ١٧٠

سورة النبأ		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ : ٩]	٢١٧

سورة النازعات		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ . . . ﴾ [النازعات : ١٨ - ١٩]	٦٠

سورة عبس		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [عبسى : ٢٤]	٨٣

سورة البروج		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦]	٢٣٧

سورة الأعلى		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١]	١٩٥
٢	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥]	٦٠ – ١٩٥

سورة الشمس		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا . . . ﴾ [الشمس : ٧ – ١٠]	٦٠

سورة التين		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤]	١٨٩

سورة العلق		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٤ - ٥]	١٢٨

سورة البينة		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧]	١٧٨

سورة النصر		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ٣]	١٢٠

سورة الإخلاص		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص]	١٣٧

سورة الفلق		
م	الآية	الصفحة
١	﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق : ٣]	٨٤

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

٢٤	أحمد بن محمد الغزالي	٢٠
٢٥	آلب أرسلان	١٠
٢٦	الحارث المحاسبي	٢٩٠
٢٧	الحكيم الترمذي	١٦٣
٢٨	الربيع بن خثيم	٢٢٥
٢٩	السري السقطي	٧٨
٣٠	السهروردي	٥٢
٣١	الشبلي	٥١
٣٢	القائم بأمر ا	٩
٣٣	المازري	٣٥
٣٤	المستظهر با	٩
٣٥	المستنصر با العبيدي	١١
٣٦	المقتدي بأمر ا	٩
٣٧	النصراباذي	٧٨
٣٨	الوزير الكندري	١٥
٣٩	أويس القرني	٢٦٨
٤٠	بشر المريسي	٤٠
٤١	بيركياروق بن ملكشاه	١١
٤٢	تتش بن ألب أرسلان	١٢
٤٣	حاتم الأصم	٤٩
٤٤	زرارة بن أوفى	٢٩٥
٤٥	سهل التستري	٧٨
٤٦	شقيق البلخي	٤٩
٤٧	صالح المري	٢٩٥
٤٨	طغرلبك	١٠

فهرس المواقع والبلدان

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الألفاظ الغريبة

المصادر والمراجع

١ - ابن تيمية والتصوف ، مصطفى حلمي .
٢ - ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف ، د . عبد ا الغُفيلي ، دار
٣ - المسير – الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
٤ - أبو حامد الغزالي ، بحوث في مهرجان الغزالي في دمشق ، عام ١٣٨٠م ، في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده ، رعاية المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .
٥ - أبو حامد الغزالي ، عقيدته وتصوفه ، عبد الرحمن دمشقية ، دار المسلم – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
٦ - أبو حامد الغزالي والتصوف ، لعبد الرحمن دمشقية ، دار طيبة ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ .
٧ - أبو نعيم حياته وكتابه الحلية ، محم لطفي الصباغ ، دار الاعتصام ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .
٨ - إتحاف السادة المتقين ، للزبيدي ، دار الفكر – بيروت .
٩ - إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين ، لعلي حسن علي عبد الحميد ، مكتبة ابن الجوزي – بالإحساء ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
١٠ - إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ، تحقيق : سيد عمران ، دار الحديث بالقاهرة ، ١٤٢٥هـ .
١١ - آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها (الصوفية) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، إعداد : محمد بن عبد الرحمن العريفي ، إشراف : د . عبد الرحمن بن صالح المحمود .
١٢ - آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين ، الشيخ عبد العزيز السدحان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
١٣ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، إحياء التراث العربي – بيروت .

١٤ - اصطلاحات الصوفية ، لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني ، من صوفية القرن الثامن الهجري ، تحقيق : محمد كمال إبراهيم جعفر ، طُبع في الهيئـة المصـرية العلمية للكتاب ، ١٩٨١م ، مركز تحقيق التراث .
١٥ - أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، تحقيق : د . أحمد الحمدان ، دار طيبة – الرياض .
١٦ - أصول التفسير ، لابن عثيمين ، دار ابن القيم – الدمام ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
١٧ - أصول الدين عند أبي حامد الغزالي ، رسالة دكتوراه للـدكتور أحمـد بـن عوض ا الحربي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الـدين ، قسم العقيدة .
١٨ - إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم ، تحقيق : محمد عفيفي ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ .
١٩ - اقتضاء الصراط المستقيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد حامـد الفقي ، مطبعة السنة المحمد _ بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٦٩هـ .
٢٠ - اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . ناصر بـن عبد الكريم العقل ، دار العاصمة – بالرياض ، ط ٦ ، ١٤١٩هـ .
٢١ - الأخلاق عند الغزالي ، د . زكي مبارك ، منشورات الكتب العصرية ، صيدا – بيروت .
٢٢ - الآداب الشرعية ، لابن مفلح ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسـالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ .
٢٣ - الأدب المفرد ، للبخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مذيلـة بأحكـام الألباني عليهم ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ .
٢٤ - الأذكار للنووي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الفيصلية – بمكة .
٢٥ - الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
٢٦ - الإسماعيلية المعاصرة ، محمد أحمد الجوير ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٢٧ - الأصفهانية ، لابن تيمية ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
٢٨ - الإعتمام للشاطبي ، تحقيق : د . مصطفى الندوي ، دار الحاني – الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
٢٩ - الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، د . يوسف القرضاوي ، دار الرسالة – بيروت ، ط٤ ، ١٤١٤هـ .
٣٠ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأبي بكر الخلال ، تحقيق عبد القـادر أحمد عطى ، دار الاعتصام – دار النصر – للطباعة الإسلامية بمصر .
٣١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، للخلال ، تحقيق : عبد القادر عطـا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
٣٢ - الإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، رسالة دكتـوراه ، إعـداد : لطـف ا خوجه ، إشراف : د . أحمد بن ناصر الحمد ، جامعة أم القـرى ، كليـة الـدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة ، ١٤٢٣هـ .
٣٣ - الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، تأليف : عبد الكريم الجيلـي ، المطبعة العامرة – بمصر ، ١٢٩٣هـ .
٣٤ - الإيمان لابن تيمية ، تحقيق : الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
٣٥ - الإيمان لابن تيمية ، تحقيق : الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ .
٣٦ - الإيمان لابن منده ، تحقيق : د . علي بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
٣٧ - البحر المحيط لأبي حيان ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
البداية والنهاية لابن كثير ، دار المعرفة – بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ .
٣٨ - التخويف من النار والتعريف بدار البوار ، لابن رجب ، تحقيـق : إبـراهيم رمضان ، دار الندوة الجديدة – بيروت .

٣٩ - الترغيب والترهيب ، للمنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ .
٤٠ - التزكية بين أهل السنة والصوفية ، أحمد فريد ، مكتبة رياض الجنة – القاهرة .
٤١ - التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، د . زكي مبارك ، المكتبة العصرية – بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦م .
٤٢ - التصوف العقلي عند ابن سينا ، طاهر كوليبالي ، دار الهادي ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
٤٣ - التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، والرد على ابن عربي في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف عبد القادر بن حبيب ا السندي ، مكتبة ابن القيم – المدينة ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٤٤ - التصوف منشأه ومصطلحاته ، لأسعد السحمراني ، دار النفائس – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٤٥ - التصوف والصوفية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد طاهر الزين ، مكتبة السندس – بالكويت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
٤٦ - التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، د . عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي – بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠م .
٤٧ - التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف : أبو بكر محمد الكُلاباذي (ت ٣٨٠هـ) حققه : د . عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، طُبع بدار إحياء الكتب العربية ، لجنة نشر التراث الصوفي ، ١٣٨٠هـ .
٤٨ - التعريفات للجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .
٤٩ - التوثيق والتحصيل لردود ابن عقيل على الصوفية ، جمع : د . محمد بن أحمد الجوير ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .
٥٠ - الجامع الصحيح للترمذي ، إعداد هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤١٥هـ .

٥١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . علي بن حسن بن ناصر ، د . عبد العزيز العسكر ، د . حمدان بن محمد الحمدان ، دار العاصمة – الرياض ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .
٥٢ - الحقيقة في نظر الغزالي ، د . سليمان دنيا ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٣٩١هـ .
٥٣ - الحلية ، لأبي نعيم ، دار الكتب الربي – بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ .
٥٤ - الحوادث والبدع ، للطرطوشي ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، دار ابـن الجوزي – الدمام ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .
٥٥ - الدراسات الأدبية (حي بني يقضان – أيها الولد – رسائل إخـوان الصـفا) تأليف عبد الملك السليمان – عمر الدسوقي – محمد الصادق عفيفي ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٧٠م .
٥٦ - الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المبارك فوري ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .
٥٧ - الرد على الجهمية ، للإمام الدارمي ، تحقيق : بدر بن عبد ا البـدر ، دار ابن الأثير – الكويت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ .
٥٨ - الرد على المخالف من أصول الإسلام ، للشيخ بكر أبو زيد ، دار الهجرة – بالدمام ، ط ٢ ، ١٤١١هـ .
٥٩ - الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، إدارة تُرجمان السـنة – لاهـور ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ .
٦٠ - الرسالة القُشرية للأستاذ القُشيري ، شرح نـواف الجـراح ، دار صـادر – بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م .
٦١ - الرسالة للقُشيري ، تحقيق : عبد الحليم محمود – محمود الشريف ، مطـابع دار التأليف ، ط١ ، ١٣٨٥هـ .
٦٢ - الرعاية لحقوق ا ، للمحاسبي ، تحقيق : د . عبـد الحلـيم محمـود ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٩٠م .

٦٣ - الرهص والوقص لمستحل الرقص ، تأليف : إبراهيم بن محمد الحلبـي ، ت (٩٥٦هـ) تحقيق : الشيخ / صالح بن غانم السدلان ، دار طيبة – الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٦٤ - الزهد لوكيع بن جراح ، تحقيـق : د . عبـد السـلام الفيـراواي ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .
٦٥ - الزهد والرقائق لابن المبارك ، تحقيق : أحمد فريد ، دار المعـراج الدوليـة للنشر – الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .
٦٦ - السلاجقة في التاريخ والحضارة ، د . أحمد كمال الدين حليمي ، دار البحوث العلمية – الكويت .
٦٧ - السلسلة الأحاديث الصحيحة ، ناصر الدين الألباني ، المكتبـة الإسـلامية – بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ .
٦٨ - السلوك وأثره في الدعوة إلى ا ، أ . د . فضل إلهي ، مطبعـة السـفير ، مكتبة المعارف بالرياض ، إدارة ترجمان الإسلام - باكستان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
٦٩ - السماع عند الصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعـة ، رسالة ماجستير ، إعداد : عبد الرحمن القُرشي ، إشراف : د . عبد ا الـدميجي ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة ، ١٤٢١هـ .
٧٠ - الشرك الأكبر ، حقيقته وأنواعه ، رسالة ماجستير : أسماء بنت عبد العزيـز السلمان ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة ، ١٤١٥هـ .
٧١ - الشرك مظاهره وآثاره ، رسالة ماجستير : إعداد / فايز بن سـعيد عـزام ، إشراف / الشيخ صالح الفوزان ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية ، كليـة أصول الدين ، قسم العقيدة ، ١٣٩٩هـ .
٧٢ - الشريعة للآجري ، تحقيق : د . عبد ا الدميجي ، دار الوطن – الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .

٧٣ - الشفاء لابن سينا ، تحقيق : الأب قنـواتي – محمـود الخضـري – فـؤاد الإهواني – مراجعة د / إبراهيم مدكور ، نشر وزارة المعارف العموميـة ، الإدارة العامة للثقافة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٥١م .
٧٤ - الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية ، تحقيق : محمد الحلـواني ومحمد شودري ، تقديم : بكر أبو زيد ، دار الرمـادي للنشـر – الـدمام ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
٧٥ - الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتنزندقة ، تأليف : محمـد بـن صفي الدين الحنفي ، تحقيق : عبد الرحمن دمشقية ، دار عالم الكتب – الريـاض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٧٦ - الصفدية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشـاد سـالم ، جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ .
٧٧ - الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، تحقيق : د . علي بن محمد الـدخيل ا ، دار العاصمة – بالرياض ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ .
٧٨ - الصوفية معتقداً ومسلكاً ، د . صابر طعيمة ، مكتبة المعارف – بالطـائف ، دار عالم الكتب – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ .
٧٩ - الصوفية نشأتها وتطورها ، د . محمد العبدة ، دار الصفوة – بمصر ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٨٠ - الصوفية والوجه الآخر ، د . محمد جميل غازي ، مطبعة المدني – بمصر ، ١٤٠٠هـ .
٨١ - الضعفاء والمتروكين ، لابن الجوزي ، تحقيق : عبد ا القاضي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
٨٢ - الطبقات الكُبرى ، للشعراني ، أحمد بن عبد الوهاب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط١ ، ١٣٧٣هـ .
٨٣ - العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : محمد سـعيد العريان ، المكتبة التجارية الكُبرى .

٨٤ - العقيدة السلفية ، مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات ، القسم الخامس ، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي ، دار المنار ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
٨٥ - العلل ، للدارقطني ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، دار طيبة – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
٨٦ - العلل ومعرفة الرجال ، للإمام أحمد ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، المكتب الإسلامي ، دار الخاني – بيروت ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
٨٧ - العلل ومعرفة الرجال ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : د . وصي الله بن محمد عباس ، المكتب الإسلامي – دار الخاني – الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ .
٨٨ - العواصم من القواصم ، لأبي بكر بن العربي .
٨٩ - الغزالي فلسفته الأخلاقية والصوفية ، د . محمد البهي ، دار التضامن الطباعة ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .
٩٠ - الغزالي لأبي الحسن الندوي ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر – بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ .
٩١ - الغزالي محمد فريد الرفاعي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٥٥هـ .
٩٢ - الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المعرفة ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
٩٣ - الفتوحات المكية ، لابن عربي ، دار صادر بيروت .
٩٤ - الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . حمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ .
٩٥ - الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، اعتنى به إبراهيم رمضان ، دار المعرفة – بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٤هـ .
٩٦ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن بن عبد الخالق ، مكتبة ابن تيمية – بالكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .
٩٧ - الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ، د . عبد القادر محمود ، دار الفكر العربي .
٩٨ - الفوائد ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ .

٩٩ - الفيلسوف الغزالي ، د . عبد الأمير الأعسم ، دار الأندلس – بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١م .

١٠٠ - القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مؤسسة الرسـالة – بيـروت ، ط٦ ، ١٤١٩هـ .

١٠١ - القواعد المثلى ، للشيخ محمد بن صالح العثيمـين ، دار عـالم الكتـب – الرياض ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ .

١٠٢ - القول السديد في مقاصد التوحيد ، لابن سـعدي ، دار المغنـي للنشـر – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .

١٠٣ - الكافية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبد ا السورقي – إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة .

١٠٤ - الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر – بيروت ، طُبع ١٣٩٩هـ .

١٠٥ - الكامل في اللغة والأدب ، للعلامة محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي ، مؤسسة المعارف – بيروت .

١٠٦ - الكتاب لسيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قمبر ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – بمصر ، ط٢ ، ١٩٧٧م .

١٠٧ - الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود عبد الـرؤوف القاسم ، المكتبة الإسلامية – بالأردن ، توزيـع دار طيبـة – بالريـاض ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ .

١٠٨ - اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد ا العكبري ، تحقيـق : غازي مختار طليمان ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

١٠٩ - اللُمع ، لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق : د . عبد الحلـيم محمـود ، وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة – بمصر ، ١٣٨٠هـ .

١١٠ - المختصر في أخبار البشر ، لأبي الفداء ، تحقيق : د . محمد زينهم عـزب – يحيى سيد حسين ، دار المعارف – بالقاهرة ، ١٩٩٨م .

١١١ - المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد ا الحاكم النيسابوري ، إشراف : د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١١٢ - المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .
١١٣ - المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، عرض – نقد ، د . صـادق سـليم صادق ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ .
١١٤ - المطالب العالية لزوائد المسانيد الثمانية ، لابن حجر ، تحقيق : غنيم عباس غنيم ، وياسر بن إبراهيم محمد ، دار الوطن – الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
١١٥ - المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض ا ، دار الحرمين – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
١١٦ - المعجم الصغير للطبراني ، تحقيق : محمـد شـكور محمـود ، المكتـب الإسلامي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
١١٧ - المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبـة العلوم والحكم – الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .
١١٨ - المعجم الوسيط ، أخرجه إبـراهيم مصـطفى وآخـرون ، دار الـدعوة – اسطنبول – طُبع ١٤١٠هـ ، المكتبة العلمية – طهران .
١١٩ - المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ، د . عبد ا بن محمد القرنـي ، دار عالم الفوائد – بمكة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
١٢٠ - الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق : محمد سعيد كيلاني ، دار المعرفـة – بيروت ، ١٤٠٢هـ .
١٢١ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لابن القيم ، تحقيق : عبد الفتاح أبو عبيد ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ .
١٢٢ - المنتخب من السير لتاريخ نيسابور ، للحافظ تقي الدين أبو إسحاق إبـراهيم بن محمد الصيرفيني ، ضبط نصه : خالد حيدر ، المكتبة التجارية – بمكة .
١٢٣ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، تحقيق : محمـد عبـد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
١٢٤ - المنقذ من الضلال ، لأبي حامد الغزالي ، ضمن رسائل الغزالي .

١٢٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٤١٨هـ .
١٢٦ - الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، عناية : ديد ريتغ ، دار النشر فرانز شتايز ، ١٣٩٤هـ .
١٢٧ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ، دار الجيل – بيروت ، ١٣٣٤هـ .
١٢٨ - أنواع الشرك لابن القيم ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة الطبرية بالرياض ، ١٤١٣هـ .
١٢٩ - بدائع الفوائد ، لابن القيم ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وعـادل عبـد الحميد وأشرف أحمد ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
١٣٠ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحارث بن أبي أسامة ، تحقيق : د . حسين أحمد الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
١٣١ - بغية المرتاد ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . موسـى الـدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ .
١٣٢ - بيان تلبيس الجهمية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، دار القاسم – بالرياض ، ط٢ ، ١٤٢١هـ .
١٣٣ - تاج العروس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر – بيروت ، طبع ١٤١٤هـ .
١٣٤ - تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثـاني ، د . عبـد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات في الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٥م .
١٣٥ - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، مع ذيلـه لابن النجار .
١٣٦ - تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسـن الأشـعري ، لابـن عساكر ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .

١٣٧ - تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، عناية زكريا عميرات ، دار الكتـب العلميـة – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
١٣٨ - تزكية النفس لسعد بن محمد الطخيس ، دار الصميعي – الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
١٣٩ - تزكية النفوس كما يقررها علماء السلف ، جمع أحمد فريد ، تحقيق : ماجد بن أبي الليل ، مكتبة جدة – مكتبة الإرشاد بصنعاء .
١٤٠ - تفسير البغوي ، دار طيبة – الرياض ، تحقيق : محمد عبد ا النمر ، د . عثمان جمعة ضميرية ، سليمان بن مسلم الحرش ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
١٤١ - تفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوي ، المكتبة التجارية الكُبرى بمصر .
١٤٢ - تفسير الطبري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .
١٤٣ - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة – الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
١٤٤ - تفسير النسفي ، مطبعة البابي الحلبي .
١٤٥ - تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، عرض – وتحليل ، علـى ضـوء الكتاب والسنة ، محمد أحمد لوح ، دار الهجرة – بالرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
١٤٦ - تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، تحقيق : د . أحمد بن عثمـان الزيـد ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
١٤٧ - تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، تحقيق : د . السيد الجميلـي ، دار الكتـاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
١٤٨ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد ا بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .
١٤٩ - جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، تحقيق : طارق عوض ا ، دار ابـن الجوزي ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
١٥٠ - حجة الإسلام للغزالي ، أبو الحسن الندوي ، مكتبة المختـار الإسـلامي – القاهرة .
١٥١ - حقيقة الغلو في الدين ، د . علي الشبل ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .

١٥٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٩هـ .

١٥٣ - خوارق العادات وحقيقة الولاية والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة وأصول الدين – قسم العقيدة ، إعداد : وليد السعد ، إشراف : الشيخ العلامة صالح الفوزان .

١٥٤ - داود عليه السلام بين خبر العهد القديم ونبأ القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، إعداد : عبد ا محمد الفيفي ، جامعة الملك سعود – كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية ، ١٤١٩هـ .

١٥٥ - داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية ، عرض – نقد ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، إعداد : مي حسن محمد المدهون ، ١٤٢٠هـ .

١٥٦ - درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط ١ ، ١٣٩٩م .

١٥٧ - دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة – لاهور ، توزيع بيت السلام بالرياض ، ١٤٠٧هـ .

١٥٨ - دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، جمع محمد السيد الجليند ، دار القبلة – بجدة ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت .

١٥٩ - دلائل النبوة ، للبيهقي ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٦٠ - دولة السلاجقة ، د . عبد النعيم محمد حسين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥م .

١٦١ - ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١٦٢ - ذيل طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي ، حققه : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .

١٦٣ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، طوس البستاني ، دار صادر – بيروت .

١٦٤ - رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات والنشر بحلب ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ .
١٦٥ - رسالة في السماع والرقص ، للشيخ محمد بن محمد الحنبلي ، علق عليها وخرج أحاديثها : محمد صبحي حسن حلاق ، دار ابن حزم – بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ .
١٦٦ - رسالة في السماع والرقص ، لمحمد المنبجي ، تعليق : محمد صبحي حلاق ، دار ابن حزم – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ .
١٦٧ - روح المعاني للألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، لمحمد أبو بكر الكلاباذي ، دار الكتب العلمية – بيروت .
١٦٨ - زاد المسير ، لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي لزهير الشاويش ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ .
١٦٩ - زاد المعاد ، لابن القيم ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١٥ ، ١٤٠٧هـ .
١٧٠ - سلاجقة إيران والعراق ، د . عبد النعيم محمد حسين ، المكتبة التاريخية ، إشراف الدكتور أحمد عزة عبد الكريم ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ .
١٧١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، مكتبة المعارف – بالرياض ، طُبع ١٤١٥هـ .
١٧٢ - سلسلة الأحاديث الضعيفة ، للألباني ، مكتبة المعارف – بالرياض ، طُبع ١٤١٥هـ .
١٧٣ - سنن ابن ماجه ، ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي .
١٧٤ - سنن ابن ماجه ، دار السلام للنشر والتوزيع – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
١٧٥ - سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – بيروت .
١٧٦ - سنن أبي داود ، دار السلام للنشر والتوزيع – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
١٧٧ - سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – بمكة ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

١٧٨ - سنن الترمذي ، تحقيق : محمد أحمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التـراث العربي – بيروت .
١٧٩ - سنن الترمذي ، دار السلام للنشر والتوزيع – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
سنن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي – خالد السبع ، دار الكتاب العربـي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .
١٨٠ - سنن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
١٨١ - سنن النسائي ، دار السلام للنشر والتوزيع – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
سنن النسائي الكُبرى ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان – سيد كسرون حسن ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .
١٨٢ - سير أعلام النُبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١١ ، ١٤١٧هـ .
١٨٣ - سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، عبد الكريم العثمـان ، دار الفكـر – بدمشق .
١٨٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العمـاد الحنبلـي ، دار الآفـاق الجديدة – بيروت .
١٨٥ - شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٤ ، ١٣٩١هـ .
١٨٦ - شرح الواسطية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، شرحه : محمد بن فريد الهراس .
١٨٧ - شرح مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، د . مساعد الطيار ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .
١٨٨ - شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق : محمد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
١٨٩ - صحيح ابن حبان ، ترتيب / علاء الدين الفارسي ، تحقيق : كامل يوسـف الحوت ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
١٩٠ - صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغى ، دار ابن كثير – اليمامـة – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .

١٩١ - صحيح البخاري ، دار السـلام للنشـر والتوزيـع – بالريـاض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
١٩٢ - صحيح الترغيب والترهيب ، للألباني ، مكتبة المعارف – بالرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ .
١٩٣ - صحيح الجامع الصغير ، ناصر الدين الألباني ، إشراف / زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ .
١٩٤ - صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للألباني ، عناية : زهيـر الشـاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ .
١٩٥ - صحيح مسلم ، بشرح النووي ، اعتنى به خليل مؤمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت ، ط٤ ، ١٤١٨هـ .
١٩٦ - صحيح مسلم ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٩٧ - صحيح مسلم ، دار السلام للنشر والتوزيع – بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ .
١٩٨ - صحيح مسلم بشرح النووي ، مؤسسة قرطبة ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
١٩٩ - صفات ا تعالى الواردة في الكتاب والسنة ، لعلوي بن عبد القادر السقاف ، دار الهجرة – الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
٢٠٠ - صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، ضبطها إبراهيم رمضان – سعيد اللحـام ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
٢٠١ - صفة ضحك وبكاء النبي ﷺ ومزاحه مع أصاحبه ، أحمد مصـطفى قاسـم الطهطاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع – بالقاهرة .
٢٠٢ - ضعيف الترغيب والترهيب ، للألباني ، مكتبة المعارف – بالرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ .
٢٠٣ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، للألباني ، عناية : زهيـر الشـاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ .

٢٠٤ - طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي ، حققه : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائـة عـام على تأسيس المملكة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
٢٠٥ - طبقات الشافعية ، للآسناوي ، تحقيق : عبد ا الجبوري .
٢٠٦ - طبقات الشافعية للسبكي ، تحقيق : محمود الطُناحي – عبد الفتاح الحلـو ، دار إحياء الكتب العربية .
٢٠٧ - طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق : نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي – بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٤١٨هـ .
٢٠٨ - طريق الهجرتين لابن القيم ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابـن القيم – بالدمام ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ .
٢٠٩ - عدة المريد الصادق ، للشيخ أحمد زروق ، تحقيق : الصادق عبد الرحمن ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٢١٠ - عصر الإمام الغزالي ، د . مصطفى جواد ، ضمن بحوث مهرجان الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده في دمشق ، ١٩٦١م .
٢١١ - عقيدة السلف وأصحاب الحـديث ، للصـابوني ، تحقيـق : أبـو اليمـين المنصوري ، دار المنهاج – القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
٢١٢ - علم القلوب ، لأبي طالب المكي ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطى ، مكتبة القاهرة .
٢١٣ - عوارف المعارف لأبي حفص السهروردي ، مكتبة العلامية بجوار الأزهر ، ١٣٥٨هـ .
٢١٤ - فتاوى مهمة لعموم الأمة ، ابن باز ، ابن عثيمين ، دار العاصمة ، ابراهيم الفارس .
٢١٥ - فتح الباري ، لابن رجب ، تحقيق : طارق عوض ا ، دار ابن الجوزي – الدمام .
٢١٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، تحقيق : محـب الـدين الخطيب ، دار الريان – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .

٢١٧ - فتح القدير ، للشوكاني ، مطبعة الحلبي – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٣هـ .
٢١٨ - فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبـد الوهاب ، تحقيق : الوليد آل فريان ، دار الصميعي للنشر والتوزيـع – الريـاض ، ط٢ ، ١٤١٧هـ .
٢١٩ - فتنة مقتل عثمان ، د . محمد الصـبيحي ، الجامعـة الإسـلامية ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .
٢٢٠ - فرق معاصرة تنتسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د . دكتور غالب بن علي عواجي ، دار لينه للنشر – دمنهور ، ط٣ ، ١٤١٨هـ .
٢٢١ - فضائح الباطنية ، لأبي حامد الغزالي ، اعتنى به محمـد علـي القُطـب ، المكتبة العصرية – صيدا - بيروت ، ١٤٢٣هـ .
٢٢٢ - فضائح الصوفية ، لعبد الرحمن عبد الخالق ، مكتبة دار السلام – الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ .
٢٢٣ - فكر الحارث المحاسبي الصوفي في ميزان الكتاب والسنة ، خالد بن سليمان الخطيب ، رسالة ماجستير بجامعة الملك سـعود ، كليـة التربيـة ، قسـم الثقافـة الإسلامية ، ١٤١٧هـ .
٢٢٤ - في التصوف الإسلامي وتاريخه ، لرينولد . أ . نيكلسون ، نقالها للعربيـة أبو العلا عفيفي ، مطبقة لجنة التأليف والترجمة – بالقاهرة ، ١٣٨٨هـ .
٢٢٥ - فيصل التفرقة للغزالي ، ضمن رسائل الغزالي
٢٢٦ - قصص الأنبياء ، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، تحقيق : أشـرف عبـد المقصود ، أضواء السلف – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
٢٢٧ - قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجـار ، دار الجيـل – بيـروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
٢٢٨ - قصص الأنبياء ، محمد حامد الفقي ، مكتبـة وهبـة – القـاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ .
٢٢٩ - قصص الأنبياء لابن كثير ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطى ، دار الكتـب الإسلامية القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .

٢٣٠ - قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، د . عادل بن محمد بن علي الشيخاني ، أضواء السلف – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ .

٢٣١ - قوت القلوب ، لأبي طالب المكي ، عناية سعيد نسيب مكارم ، دار صادر – بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م .

٢٣٢ - كتاب التوابين ، لابن قدامة ، تحقيق : عبد القادر الآرناوؤط ، مكتبة دار البيان – دمشق ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ .

٢٣٣ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ، تحقيق : د . عبد العزيز الشهوان ، مكتبة الرشد بالرياض ، ط 5 ، ١٤١٤هـ .

٢٣٤ - كتاب التوحيد ومعرفة أسماء ا عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ، لابن منده ، تحقيق : د . علي بن محمد الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية – بالمدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ .

٢٣٥ - كتاب الروح لابن القيم ، تحقيق : د . بسام علي العموش ، دار ابن تيمية للنشر ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ .

٢٣٦ - كتاب الصفات ، للدارقطني ، تحقيق : محمد يحيى الوصابي ، تقديم : مقبل بن هادي الوادعي ، دار الصميعي للنشر – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .

٢٣٧ - كتاب الصمت وآداب اللسان ، لابن دنيا ، تحقيق : نجم بن عبد الرحمن خلف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .

٢٣٨ - كتاب الصمت وآفات اللسان ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .

٢٣٩ - كتاب الكبائر للذهبي ، دار الندوة الجديدة – بيروت .

٢٤٠ - كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د . عبد العزيز الطويان ، أضواء السلف للنشر والتوزيع – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .

٢٤١ - كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، لأبي طالب المكي ، الجزء الأول ، تحقيق : د . عبد السلام أحمد راجح ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي – باكستان .

٢٤٢ - كرامات الأولياء ، للالكائي ، تحقيق : د . أحمد سعد الحمدان ، دار طيبـة – الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
٢٤٣ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ، تحقيق : أحمد القلاش ، مؤسسـة الرسالة – بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ .
٢٤٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للعلامة مصطفى بـن عبـد ا القسطنطيني ، المعروف بحاجي خليفة ، دار الكتـب العلميـة – بيـروت ، طُبـع ١٤١٣هـ .
٢٤٥ - كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ، لابن القيم ، تحقيق : ربيع خلـف ، دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
٢٤٦ - لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار المعرفة – بيروت .
٢٤٧ - لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، ١٩٥٦م .
٢٤٨ - مؤلفات الغزالي ، د . عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات - بالكويت ، ط٢ ، ١٩٧٧م .
٢٤٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمـي ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٢هـ .
٢٥٠ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنـه محمد .
٢٥١ - مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، ٢٦ رسالة ، دار الكتب العلمية – لبنان .
٢٥٢ - محاسن التأويل للقاسمي ، تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد البـاقي ، دار الفكر – بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .
٢٥٣ - مدارج السالكين ، لابن القيم ، تحقيق : محمد المعتصم با البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ .
٢٥٤ - مدارج السالكين ، لابن القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقـي ، دار الكتـاب العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ .

٢٥٥ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، لأبي المظفر يوسف بن الجوزي ، تحقيق : مسفر الغامدي ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
٢٥٦ - مسند ابن الجعد ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر – بيـروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
٢٥٧ - مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .
٢٥٨ - مسند الإمام أحمد ، تحقيق : أبو المعاطي النور ، أحمد عيـد وآخـرون ، عالم الكُتب – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٢٥٩ - مسند الجعد ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نـادر بيـروت ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٢٦٠ - مسند الشاميين للطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
٢٦١ - مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد ا الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمـد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ .
٢٦٢ - مصادر التلقي عند الصوفية ، هارون بشير ، أحمد صديقي ، إشراف : د . ناصر العقل ، دار الراية .
٢٦٣ - مصرع التصوف للعلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق : عبـد الـرحمن المكيل ، طُبع برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة ، ١٤١٥هـ .
٢٦٤ - مصنف بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
٢٦٥ - مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .
٢٦٦ - مظاهر الغلو عند الصوفية ، د . محمد بـن ناصـر الشـثري ، مطـابع الحميضي ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .
٢٦٧ - معالم في السلوك وتزكية النفوس ، د . عبد العزيز العبـد اللطيـف ، دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .

٢٦٨ - معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، تحقيق : د . عمـر فـاروق الطُبـاع ، مؤسسة المعارف – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .
٢٦٩ - معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجنـدي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
٢٧٠ - معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم حنيفي ، دار المسيرة – بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
٢٧١ - معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت ، ١٤٢٠هـ .
٢٧٢ - مفتاح السعادة ومصابح الزيادة في موضوعات العلوم ، تأليف : أحمد بـن مصطفى ، الشهير بطاش كبرى زاده ، تحقيق : كامل كامل بكري – عبد الوهـاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة بمصر .
٢٧٣ - مقالة في مجال التوعية الإسلامية فـي الحـج ، عـدد ٢١٢ ، ذو الحجـة ١٤١٦هـ ، بعنوان : (الرد على المخالف ، شروطه وآدابه) الشيخ : بكر أبو زيد .
٢٧٤ - من أعلام التصوف في الإسلام ، طه عبد الباقي سرور ، مكتبـة نهضـة مصر – بالقاهرة ، ١٩٥٦م .
٢٧٥ - مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي ، تحقيق : د . عبد ا بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .
٢٧٦ - منهاج السنة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .
٢٧٧ - منهج الأنبياء في تزكية النفوس ، سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن عفان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
٢٧٨ - منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ، جـابر إدريـس أميـر ، أضواء السلف – الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٢٧٩ - موسوعات العلوم العربية وبحث عن رسائل إخوان الصفا ، أحمد زكي باشا ، المركز العربي للبحث والنشر ، المطبعة الأميريـة ببـولاق – مصـر ، ط ١ ، ١٣٠٨هـ .

٢٨٠ - موسوعة الشعر العربي ، القسم الأول ، إخراج جامعة أم القـرى ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
٢٨١ - موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرحمن بـدوي ، دار العلـم للملايـين – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م .
٢٨٢ - موطأ الإمام مالك ، تحقيق : د . تقي الدين ندوي ، دار القلـم – دمشـق ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
٢٨٣ - موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، د . أحمـد بنـاني ، دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة ، ط ٣ ، ١٤٢٦هـ .
٢٨٤ - موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتـاب والسـنة ، د . سـليمان الغصن ، دار العاصمة – بالرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
٢٨٥ - ميزان الاعتدال للذهبي ، تحقيق علي محمـد البجـاوي ، دار المعرفـة – بيروت ، ط١ ، ١٣٨٢هـ .
٢٨٦ - ميزان العمل للغزالي ، ضمن رسائل الغزالي .
٢٨٧ - نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب ، تحقيق : الوليد الفريان ، دار طيبة – الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
٢٨٨ - نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيـد ، تحقيـق : منصور بن عبد العزيز السماري ، أضواء السلف – الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٢٨٩ - هذه هي الصوفية ، د . عبد الرحمن الوكيل ، مطبعة السـنة المحمديـة – بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٣٧٥هـ .
٢٩٠ - وحدة الوجود عند الصوفية ، حقيقتها وآثارها ، عرض – نقد ، د . أحمـد بن عبد العزيز القصير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كليـة أصـول الدين ، قسم العقيدة ، ١٤٢٠هـ .
٢٩١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، إعداد مكتب التحقيق في المكتبة التدمرية ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
٢٩٢ – سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للصنعاني ، تحقيق : محمد صبحي حلاق ، دار ابن الجوزي – الدمام ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ .
٢٩٣ – تفسير ابن سعدي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

فهرس الموضوعات